تذكرة السامع والمتكلم

في

أدب العالم والمتعلم

تصنيف شيخ الإسلام
بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني
المتوفى سنة ٧٣٣هـ رحمه الله تعالى

حققه عن ثماني نسخ خطية
فادي المغربي

علق عليه من واقع الحياة العلمية
د. عبد الإله بن حسين العرفج

دار الفتح
للدراسات والنشر

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني.
كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف : بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي، تحقيق : فادي المغربي، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٠م.
٢٨٨ ص، قياس القطع : ١٧×٢٤ سم.
الواصفات : العلم/ العلماء/ الباحثون/ التقدم العلمي/ السلام.
التصنيف العشري (ديوي) : ٢١٦,٥
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٢٠/٢/٥٥٣)
الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٥٢١-٥

9 789957 235215

الطَّبعَةُ الثَّالثة

١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م

دار الفتح للدراسات والنشر
أسسها سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م
د. إياد أحمد الغوج

رقم الهاتف : ٦٤ ٣٥ ٥١٦ ٦ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال : ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@daralfath.com
الموقع الإلكتروني : www.daralfath.com

تذكرة السامع والمتكلم
في
أدب العالم والمتعلم

تصنيف شيخ الإسلام

بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني

المتوفى سنة ٧٣٣ هـ رحمه الله تعالى

حققه عن ثماني نسخ خطية

فادي المغربي

علق عليه من واقع الحياة العلمية

د. عبد الإله بن حسين العرفج

دار الفتح

للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم صاحب الفضيلة

د. عبد الإله بن حسين العرفج

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ لك الحمد على نِعمك التي لا تُحصَى، وعلى آلائك التي لا تُستقصَى، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا الله، شهادةً أدَّخِرُها ليوم لِقاك، وأرجو بها النجاةَ يوم يخشى غضبَك الرسلُ والأملاك.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا وقدوتنا محمد، النبي المؤيَّد، والرسول المسدَّد، والحبيب الممجَّد، الذي أكملتَ خَلقه، وعظمتَ خُلقه، وأدبتَه فأحسنتَ تأديبه، وعلى آله وأصحابه، وتابعيه وأحبابه، واجعلنا اللهم منهم وفيهم ومعهم.

أما بعد،

فإن الإسلام منهج كامل، ونظام شامل، يسلُك بالإنسان طريق السعادة، ويوصله إلى الحسنى وزيادة، فقد جاء بعقيدةٍ نقية، وشريعةٍ سوية، وأتى بما يصلِح العقل والروح والجسد، ونظَّم علاقات الإنسان بربه ومخلوقاته، وشرَع أعمال الجوارح الظاهرة، وأعمال القلوب الباطنة، ودعا إلى جميل الصفات، وحُسن العادات.

وهذا الكتاب - الذي بين يديك - يتناول قضيةً مهمةً مرتبطة بطلبِ العلم الشرعي وتحمُّلِه، وأدائِهِ وبذلِه، ألا وهي قضية الأدب مع كل ما يتصِل بالعلم الشرعي؛ علمائِه وطلَّابِه، ومدارسِه وكتبِه.

وقد سُمِّي الأدَب أدبًا لأنه يأدِب الناس - أي يدعوهم - إلى المحاسن والمحامد، وينهاهم عن القبائح والمعايب، وأصل الأَدْب: الدعاء، ومنه قيل لطعام الوليمة التي يُدعى إليها الناس: مَدعاةٌ ومأدُبة.

وللأدب شأنٌ عظيم في الإسلام، فقد قيل: «الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئتَ»، وقيل: «الفضل بالعقلِ والأدب، لا بالأصلِ والنسَب؛ لأن من ساء أدبُه ضاع نسبُه، ومن ضل عقلُه ضل أصلُه»، وقيل: «حُسن الأدب يستر قبيح النسَب»، وقال رُوَيم البغدادي رحمه الله (ت٣٠٣هـ) لابنه: «اجعل عملك مِلحًا، وأدبك دقيقًا»، فعلَّق الإمام القرافي رحمه الله (ت٦٨٤هـ) عليه فقال: «أيِ استكثِر من الأدبِ حتى تكون نسبتُه في الكثرة نسبةَ الدقيق إلى المِلح، وكثيرٌ من الأدب مع قليلٍ من العمل الصالحِ خيرٌ من كثيرٍ من العملِ مع قلة الأدب»[(١)].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على مراعاة الأدب في الأقوال والأفعال، ومن أمثلة ذلك نسبة الخيرِ إلى الله، وعدم نسبة الشرّ إليه، فهذا هو خليل الله إبراهيم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، ينسب إلى الله كل خير، ولا ينسب إليه شيئًا من شرّ، فقال الله المَلِك الجليل على لسان نبيه إبراهيم الخليل: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢]، فنسب

(١) «الفروق» للقرافي (٣: ٩٥).

إلى الله الخَلق والهداية، والإطعام والسقاية، والإماتة والإحياء، والمغفرة والشفاء، ولكنه لم ينسبِ المرض إليه، فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ، ولم يقل: «وإذا أمرضني».

وقال الله تبارك وتعالى على لسان الخضِر: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا... وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢]، فنسب إرادة بلوغهما أشدهما واستخراجهما كنزهما إلى الله، ولكنه نسب إرادة تعييب السفينة لنفسه، ولم ينسبها إلى مولاه، فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، ولم يقل: «فأراد ربك أن أعيبها».

وقال الله تبارك وتعالى على لِسانِ الجِنّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فنسبوا إلى الله إرادةَ الرشد بمن في الأرض، ولم ينسبوا إليه إرادة الشرّ بهم.

هذا مع العلم أن الله قدَّر الخير والشر، وخلق أفعال عباده الاضطرارية والاختيارية، فخلق الإيمان والكفر، والنفع والضر، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والصلاح والفساد، وغير ذلك من الأوصاف المتقابلة، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتبه ورسلِه واليوم الآخِر والقدَر خيره وشرّه»(١).

ومن إشارات الأدب الواردة في القرآن الكريم أيضًا الإشارة إلى المعاشرةِ الجنسيةِ بألفاظ الكناية دون الاسم الصريح، فقد وصفها الله عزَّ وجلَّ في كتابه بالرَّفَث في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]،

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي وأبو داود والترمذي.

ووصفها بالإتيان في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ووصفها بالتَّماس في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ووصفها بالإفضاء في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، ووصفها بالتغشّي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، إلى غير ذلك من أوصاف الكنايات.

وقد أشار عبد الله بن عباس رضيَ الله عنهما إلى هذا الأدب الربّاني عندما قال: «الدخول والتغشي والإفضاء والمباشرة والرفَث واللمس، هذا الجِماع، غير أن الله حَيِيٌّ كريم، يكني بما شاء عما شاء»[(١)].

وأعظم الناس خُلقًا، وأكملهم أدبًا هو رسول الله ﷺ؛ فقد قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهذا الوصف الإلهي لنبيه الكريم لا يمكن أن يحيط مخلوقٌ باتساع مداه وشمول معناه، بل إن هذا المدح العظيم من الله العظيم للنبي العظيم جعل كل مدحٍ وثناءٍ على النبي ﷺ مقصِّرًا ومتضائِلًا:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مُقَصِّرًا　　　وإنْ بالــغَ المُثنِي عليه وأكثَرا
إذا الله أثنَــى في عَزيــزِ كتابِهِ　　　عليهِ فما مِقدارُ ما تبلُغُ الوَرَى؟!

ولم يصرِّح رسول الله ﷺ باللفظ الصريح للمعاشرة الجنسية إلا في الاستفهام من الزاني، فقد سأله عما فعل بالتلميح والإشارة، ثم أعاد سؤاله بصريح العبارة؛ للحاجة إلى التصريح قبل إقامة الحدِّ عليه[(٢)]. وقد آثرتُ أن لا أسوق نصَّ الحديث، واكتفيتُ بالإشارة إليه؛ تطبيقًا لصفة الأدب.

---

(١) رواه عبد الرزّاق.

(٢) انظر نص الحديث في البخاري وأحمد وأبي داود.

وقد مدح رسول الله ﷺ نفسه باتصافه بصفة الأدب، فقال ﷺ ـ فيما رُوي عنه ـ: «أدَّبني ربي فأحسنَ تأديبي»(١)، ومعنى الحديث: أن الله عزَّ وجلَّ حفِظ رسوله ﷺ منذ صغره، وتولى تأديبه بنفسه، ولم يَكِلْه في شيءٍ من ذلك لغيره، ولم يَزَل الله يُربِّيه ويرقِّيه، ويهذِّبه ويزكِّيه، حتى كرَّه إليه أحوالَ الجاهلية، وحماه منها، ومن أصنامها وعاداتها، ولم يَجْرِ عليه شيءٌ منها، فلم يسجدْ لصنم، ولم يستقسم بأزلام، ولم يعاقر خمرًا، وعصمه الله من الوقوع في الذنوب؛ كبيرِها وصغيرها، بعد النبوة وقبلها، كل ذلك لطفٌ من الله به، وحراسة له، فاجتمعتِ الآداب كلها في رسولنا المصطفى ﷺ؛ فإنه مجمعها ظاهرًا وباطنًا، حسًّا ومعنًى، بأبي هو وأمي ﷺ.

ومما أدَّب الله عزَّ وجلّ صحابة نبيه ﷺ في كيفية نداداتهم له؛ أنه أمرهم ألّا ينادوه باسمِه الصريح، بل بوصف النبوة والرسالة، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ونهاهم الله سبحانه أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وامتدح الذين يخفِضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

فلما نزلت تلك الآياتُ قال أبو بكرٍ الصدِّيق رضيَ الله عنه: «والذي أنزل عليك الكتابَ يا رسولَ الله، لا أُكلمك إلا كأخي السِّرار ـ أي كصاحب السرِّ في خفض

---

(١) أخرجه الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في «أدب الإملاء»، والحديث ضعيف من حيث السند، صحيح من حيث المعنى، وقد رُوي بألفاظٍ أخرى، وانظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي، الحديث رقم (٤٥)، و«كشف الخفاء» للعجلوني، الحديث رقم (١٦٤).

صوته - حتى ألقى الله عزَّ وجلّ»[١]، وفعل عمر الفاروق رضيَ الله عنه فعل صاحبه أبي بكر رضيَ الله عنه، فكان إذا حدَّث النبي ﷺ بحديثٍ حدّثه كأخي السِّرار، لم يسمعه حتى يستفهمه[٢]. وبلغ من أدب الصحابة رضيَ الله عنهم مع النبي ﷺ أنهم كانوا يدقّون بابَه بالأظافير[٣].

وقد قرَّر هذا الأدبَ الإمامُ مالك بن أنس رحمه الله (٩٣-١٧٩هـ)، إمام دار الهجرة؛ فإنه تناظر يومًا مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور رحمه الله (٩٥-١٥٨هـ) في مسجد رسول الله ﷺ، فأخذ أبو جعفرٍ يرفع صوته في المناظرة، غير منتبهٍ لحُرمة المكان وهيبة المَكين، فقال له الإمام مالك: «يا أميرَ المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإنّ الله عزَّ وجلّ أدَّب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، الآية، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾، الآية، وذمَّ قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤]، الآية، وإنّ حرمتَه ميتًا كحرمته حيًّا». فاستكان لها أبو جعفر[٤].

ومن أدب الصحابة رضيَ الله عنهم مع رسول الله ﷺ أن أبا أيوب الأنصاري رضيَ الله عنه نزل عليه رسول الله ﷺ، فنزل في السُّفل، وأبو أيوب في العُلو، فانتبه أبو أيوب ليلةً فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ؟! فتنحَّوا فباتوا في جانب، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق»، فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها. الحديث[٥].

---

(١) رواه البزار، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٢) رواه البخاري وأحمد.
(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والبزار، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٤) «الشفا» للقاضي عياض (٢: ٤١).
(٥) رواه مسلم وأحمد.

ومما ورد في تأديب النبي ﷺ أصحابه رضيَ الله عنهم أنه رأى رجلًا معه غلام، فقال للغلام: «مَن هذا»؟ قال: أبي، فقال ﷺ: «فلا تمشِ أمامَه، ولا تجلسْ قبلَه، ولا تدعُه باسمه، ولا تَسْتَسِبَّ له»[1].

ومن الأدب الوارد عن سَلَفِنا مع العلماء، أنهم كانوا محل تعظيم العامة والخاصة، حتى بلغ الأمر أن أبناء السلاطين يجثون على رُكَبهم بين أيديهم، ويتسابقون إلى تقديم نعالهم إليهم، ومما ورد في ذلك أن أحد أولاد الخليفة المهدي رحمه الله (١٢٧-١٦٩هـ) دخل على القاضي شَرِيك بن عبد الله رحمه الله (٩٦-١٧٩هـ)، فاستند إلى الحائط، وسأله عن حديث، فلم يلتفت شريك إليه، ثم عاد وسأله، فلم يلتفت إليه، فقال ولد الخليفة: كأنك تستخِفّ بأولاد الخلفاء! فقال شريك: لا، ولكنّ العلمَ أجَلّ عند الله تعالى من أن أضيّعه. فجثا ولدُ الخليفة على ركبتيه، فقال شَرِيك: هكذا يُطلَبُ العلم[2].

وكان الخليفة المأمون رحمه الله (١٧٠-٢١٨هـ) قد وكَّل إمام اللغة الفرّاء رحمه الله (١٤٤-٢٠٧هـ) يلقن ابنيه النحو، وفي أحد الأيام أراد الفرّاء أن ينهضَ إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعله يقدّمانه له، فتنازعا أيهما يقدّمه، ثم اصطلحا على أن يقدّم كل واحدٍ منهما فردًا، فقدَّماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرُفع ذلك إليه في الخبر، فوجّه إلى الفرّاء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له المأمون: مَن أعزُّ الناس؟ فقال الفرّاء: ما أعرف أعزَّ من أمير المؤمنين، فقال: بلى، مَن إذا نهض تقاتلَ على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ومعنى: «لا تستسب له» أي: لا تفعل فعلًا يؤدي إلى أن يسبك أبوك؛ زجرًا لك وتأديبًا على فعلك.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١: ٣٦).

منهما أن يقدم فردًا، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما من ذلك، ولكن خَشِيتُ أن أدفعهما عن مكرُمةٍ سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفةٍ حرصا عليها، وقد يُروى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رِكابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعضُ مَن حضر: أتُمسِك لهذين الحَدَثين رِكابيهما، وأنت أسَنُّ منهما؟! فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضلَ لأهل الفضل إلا ذو الفضل. فقال المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتُك لومًا وعتبًا، وألزمتُك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدْرهما، وبيَّن عن جوهرهما، ولقد تبينتْ لي مَخِيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرًا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه ولوالده ولمعلِّمه العلم، ولقد عوّضتُهما عما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما[1].

وهكذا فإنّ الأدبَ يدخل في جميع شؤون الإنسان الدينية والدنيوية، ويجمُل به جميع ما أتى به الشرع الشريف من عبادات ومعاملات، وأخلاق وعادات، ثم إن «حسن الأدب في الظاهر هو عنوان حسن الأدب في الباطن»[2]، و«الإنسان مستورٌ بخَلْقه، مشهودٌ بخُلُقه»[3]، ويدل على سموّ خلق صاحبه، ولين جانبه، وطهارة مخبره، وجمال معشره، وصفاء سيرته، ونقاء سريرته.

أما الأدب في حياة العلماء وطلّاب العلم فهو ركنٌ رَكين وأساسٌ مَتين، لا يقِلُّ عن أهمية العلم نفسه، بل إنّ طلب العلم وتحملَه، وأداءه لطالبيه وبذلَه، بدون مراعاة آدابه، تورِد صاحبه الهلكات، وتهوي به إلى أسفل الدرَكات، وتجعله أداةً

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٦: ٢٢٤).
(٢) «الرسالة القشيرية» للإمام القشيري (٢: ٤٤٧).
(٣) المصدر السابق (٢: ٣٩٧).

لطمس معالم الدين، وتحريف سَنَنه المبين، وثغرةً لالتباس الحق بالباطل، واختلاط الحابل بالنابل، وسببًا للاختلاف والتفرق، والتنازع والتمزق، والواقع يشهد بذلك، والتلميح يكفي للإشارة إلى ما هنالك.

وقد أكَّد على تلك الآداب كثيرٌ من العلماء، وألَّفوا فيها المؤلَّفات النافعة، وجمعوا فيها الآداب الجامعة، فمنها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

- آداب المعلِّمين، لابن سَحْنون المالكي (٢٠٢-٢٥٦هـ).
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣هـ).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ).
- تعليم المتعلِّم طريق التعلُّم، للبرهان الزرنوجي (القرن السادس والسابع).
- مقدمة المجموع، للإمام النووي (٦٣١-٦٧٦هـ).
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ).

ومن الأهمية بمكان التنبيه على أن تلك الآداب ليست مجرد تنظير مثالي، يصعب تطبيقه في الواقع العملي، أو أنها آداب غَبَر ذِكرها، وغابت شمسها، بل إنها آداب مرعية منذ اليوم الأول لبُزوغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، تنبض بها المدارس الشرعية التي أُسست على التقوى، وتعبق في أرجاء المحاضن التربوية التي أُقيمت على الهدى.

ومن المدارس الشرعية المعاصرة التي ما زالت تنتهج هذا المنهج، واستقامت عليه بلا عوج، المدارس الشرعية الأحسائية، التي عُنيت بتدريس العلوم النقلية والعقلية، فألبستْ أهلها لباسَ العلم والتربية، وتوّجتهم بتيجان التقوى والتزكية، فصارت الأحساء موطنًا أصيلًا للعلم والعلماء، وقصدها الراغبون فيه من جميع

الأنحاء، من العراق شمالًا إلى عُمان جنوبًا، ومن فارس شرقًا إلى نجد غربًا.

وممن شَهِدوا بهذه المكانة العلمية العالية للأحساء من العلماء الوافدين عليها الشيخ العلّامة محمد بن أحمد العمري الموصلي رحمه الله (ت١٢١٢هـ)[١]؛ فإنه وفد على الأحساء في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، واستوطن فيها، وذكرت بعض المصادر أن إقامته في الأحساء استمرت حتى وفاته، فلما رأى في الأحساء ما لم يره في غيرها من البلاد التي طوَّف بها، من توافر علماء أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم الفقهية، مع ما يتميزون به من التنوع العلمي والتسامح المذهبي، والأدب الجميل والخلق النبيل، نظم قصيدته الهمزية في مدح الأحساء وعلمائها، ومطلعها[٢]:

قَصُـرَتْ لَعَمْـرُكَ هِمّـةُ الجَوزاءِ ... عَـنْ نَيْـلِ شَـأْوِ مَراتِـبِ العَلياءِ
وحَدَا بِذِكْرِ اسْـمي ورِفعةِ رُتْبَتِي ... حادي الـرِّكابِ بسـائِرِ الأَرْجاءِ
وشَدَتْ حَمائِمُ مجديَ السامِي الذي ... ما حامَ حـولَ حِمـاهُ ذو جَدْواءِ

إلى أن قال رحمه الله:

ما قلتُ ذلـكَ مقْصِدي فخرٌ ولا ... تعظيمُ غيـري لي مِـنَ الفُضلاءِ
بلْ مقْصِدي التحدِيثُ بالنِّعَمِ التي ... وَهَـبَ المهيمِنُ لي بِـلا إحصاءِ
لِـمَ لا أكونُ بما جـرَى قَمِنًا وقدْ ... حَفَّتنِـيَ الألطـافُ مِـنْ مَولائِي

(١) انظر ترجمته في «هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» لإسماعيل البغدادي (٢: ٣٤٤)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٨: ٢٩٨)، و«الأعلام» للزركلي (٦: ١٦).

(٢) «أضواء على الحياة العلمية في الأحساء في التاريخ الحديث» للدكتور عبد الإله العرفج (ص٢٦٧).

وغدوتُ مِـنْ عَيْنِ الإلـهِ بمَنظرٍ ... وبـدتْ علـيّ علامـةُ السُّـعداءِ
إذْ لَـم أَزَلْ مُتنقّـلًا فـي أرْضِـهِ ... حتـى عرَفـتُ حقائقَ الأشـياءِ
جُبـتُ الفيافِيَ والقِفـارَ جميعَها ... بـرًّا وبحـرًا كـيْ أنـالَ مُنائـي
وشَرعْتُ في السفرِ الحَميدِ ببلدتِي ... دارِ الأفاضـلِ مَوصِـلِ الحَدباءِ
وبَقِيـتُ منْتَقِلًا إلـى أنْ جِئتُ في ... بلـدِ الكِـرامِ معـادنِ الإسـداءِ
أعني بها الأحسـاءَ أحسنَ كلّ ما ... فـي الأرضِ مـنْ بلدٍ بغيـرِ مِراءِ
فأقمـتُ فيها مـدةً أجنـي جنَى ... ثمـراتِ روضةِ لذتـي وصفائِي
ووجدتُ أهليها مَشـايخَ سـادةً ... صافينَ مِنْ حسـدٍ ومـن بغضاءِ
ورأيتُهـم أهلَ اعتقـادٍ صـادقٍ ... وبها اجتمَعـتُ بغالـبِ العُلماءِ

ومن العلماء الذين قدموا الأحساء في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، واستوطنوا فيها لسنواتٍ طويلةٍ بلغت ثلاثين سنة، وأشادوا بما تزخر به من العلم والأدب، الشيخ عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي الشافعي رحمه الله (١١٣٠-١٢١١هـ) المولود في كردستان العراق، والمتوفَّى في البصرة، وهو أحد العلماء الكبار الذين جمعوا بين الشريعة والأدب؛ فإنه لما قدم في سنة ١١٧١هـ إلى الأحساء، وطاب له المُقام فيها، ولقيَ من حفاوة أهلها وكرمهم ما أبهره، ولقيَ من سعة علمهم وسماحة أخلاقهم وكمال أدبهم ما أدهشه، أرسل رسالةً أدبيةً رائعة لشيخه في بغداد الشيخ عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي الحيدري رحمه الله (ت١١٨٧هـ)، وكان مما جاء فيها: «وحالَ التاريخ أنا في الأحساءِ أتقلبُ في روضٍ من العيشِ أريض، وأتبخترُ في بُردٍ من العافية طويلٍ عريض، بين سادة سمحاء، يكرِمون ولا يمكُرون، ويطعِمون ولا يطمَعون، ويبهرون ولا يرهَبون، ويبتكرون ولا يرتكبون، لا تمل مُناجاتهم، ولا تخشى مداجاتهم، إلى أخلاق في رقة النسيم،

ومحاورة في عذوبة التسنيم، لا تكبو في حَلبة الفخار جِيادُهم، ولا تصلد في مشاهد النوال زِنادهم، ثابت لديهم كما أبتغي قدمي، مجرى عندهم ما نفثت به فمي أو كتبه قلمي.

لا عيبَ فيهم سوى أنَّ النزيلَ بهم يسلو عن الأهلِ والأوطانِ والحَشَمِ»[1]

ولذلك فلا عجَبَ إذا غدت المدرسة الأحسائية في تلك الفترة الذهبية واحدةً من سبع مدارس علمية رائدة على مستوى العالم الإسلامي، فقد قال الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن البسام رحمه الله (١٣٤٦-١٤٢٣هـ): «وكان يقال: لا يبلغ طالب العلم كماله ـ والكمال لله ـ حتى يتخرج أو يحضر دروسًا في سبع مدارس في سبعة بلدان: مدرسة الدويحس في الزبير، ومدرسة آل أبي بكر في الأحساء، ومدرسة الآلوسي في بغداد، والأزهر في مصر، ومدرسة المرادية في دمشق، وكان طالب العلم إذا استوفى يؤم الحرمين الشريفين لحضور بعض حلقات شيوخ الحرمين في مكة والمدينة، ثم يعرج على عنيزة والقصيم، وكان عصر العلم قد استنار في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين»[2].

وقد ذكرتُ بعض أخبار المدارس الأحسائية في اثنين من كتبي، وهما:

- أضواء على الحياة العلمية في الأحساء في التاريخ الحديث.
- الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان مجدد المدرسة الشافعية في الأحساء.

ولذلك فإنه لما أخبرني أخي الفاضل الدكتور إياد الغوج حفظه الله أن دار الفتح تعمل على تحقيق كتاب «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»

---

(١) «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» للشيخ محمد آل عبد القادر (ص٣٧٩).
(٢) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام (١: ٣٩٠).

للإمام بدر الدين ابن جماعة عن نسخٍ خطيةٍ وفيرة، وأنه يريد لهذه الطبعة أن تكون مميزة عن كل طبعةٍ أخرى للكتاب، وأنّ من أوجه التميز في نظره أن تُربَطَ تلك الآداب بأمثلةٍ من الواقع العلمي التطبيقي الحيّ، وأنّ المدرسة الأحسائية تمثّل أنموذجًا رفيعًا لذلك الواقع العلمي، وعليه فقد أبدى رغبته - من باب حسن الظن بأخيه - أن أكتب له مقدمة، وأضع له تعليقاتٍ متممةً من واقع مدرستنا الأحسائية، فعددتُ هذا منه إحسانًا، يستحِق مبادلته شكرانًا.

واستجابةً لرغبته إليَّ، وأداءً لحقه عليَّ، كتبتُ هذه المقدمة والتعليقات، ولم أقدم من خلالها شرحًا لغويًا، أو تأصيلًا نظريًا لما ذكره المؤلف، بل قدّمتُ أمثلةً عملية وتطبيقاتٍ واقعية، مستمَدة من مسيرة الحياة العلمية في الأحساء عمومًا، ومن سيرة شيخنا الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان رحمه الله (١٣٣٢-١٤٣٤هـ) خصوصًا، وهو مقصودي إذا قلتُ: شيخنا.

أسأل الله أن يحققنا بأجمل الأدب، وأن يرفعنا إلى أعلى الرتب، وأن يقيَنا التعب والنصَب، وأن يهديَنا للمنهج الأصوب، وأن يشفِّعَ فينا سيد العجم والعرب، صلى الله وسلم عليه ما خطَّ قلَم وكَتَب، وشدا شادٍ وأطرب، وقرَّر عالم حُجته بأَدَب.

د. عَبْدالإلَهِ بْن حُسَيْن العَرْفَج

١٤٤١/٦/٢٢هـ

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على إمام المعلّمين نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد،

فإنَّه لا يَخفى على اللَّبيب أهميّة الأدبِ لمن يَحيا مع العلم؛ طالبًا متعلّمًا، أو شيخًا معلّمًا، وقد وصفَ اللهُ إمام المعلمين ﷺ في كتابه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان ذلك الخُلقُ سببًا لهداية الناس واجتماعِهم حول رسول الله ﷺ، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان حقيقًا بمَن يسلُكُ هذا الطريق أن يتَّخذَ مِن رسول الله ﷺ له أُسوةً، ومن منهجه نِبراسًا وقدوةً، حتّى ينالَ النَّصيبَ الوافرَ مِن إرثِه، ويكون مُحتذِيًا خطاهُ وسائرًا على دربه.

لقد لاحظ علماءُ المسلمين أهميّة الأدب في تبليغ شرع الله وإيصاله للنّاس، فكتبوا في ذلك فُصولًا نافعة، وصنّفوا مصنَّفاتٍ ماتعة، لعلَّ من أهمّها «الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البرّ (٤٦٣هـ)، و«أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني (٥٦٢هـ)، و«التبيان في آداب حَمَلة القرآن» للنووي (٦٧٦هـ)، وكتَبَ الغزاليُّ

(٥٠٥هـ) في «إحياء علوم الدين»[١] بابًا في آداب المتعلم والمعلم، وكذا فعل النوويُّ رحمه الله في مقدمة «المجموع»[٢].

وجاء كتابُ «**تذكرة السّامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلم**» لقاضي القضاة الإمام بدر الدين ابن جماعة رحمه الله تعالى واسطةَ العقد لتلك الجهود، وخلاصةً وافيةً لما كتبَهُ مَن قبلَه.

وقد نشأ ابنُ جماعة في طلب العلم، وتقلَّب في مدارسه متعلِّمًا ومعلِّمًا، فعايشَ الطلبةَ والمعلِّمين، ولمس احتياجَهُم إلى كتابٍ يَجمعُ لهم تلك الآداب، ويذكِّرهم بها، ويحثُّهم عليها، فجمعَ ـ ممّا اتفقَ له من المسموعات، أو مرَّ به في المطالعات ـ هذا الكتابَ المختصَر.

وفيه يأخذُ المصنِّف بيد قارئه في رحلةٍ مباركةٍ يُعرِّفُه فيها على فضل العلمِ وأهلِه، وآدابِ العالم والمتعلِّم، ومِن بعدها يَذكرُ أدبَ صحبة الكتاب، ليختم بعد ذلك بآداب سُكنى المدارس وما يتعلَّق بها.

أسألُ الله أن يُحقِّقنا بتلك الآداب، وأن يأخذَ بأيدينا إلى ما يُحِبُّ ويرضى، وأن يَرزقَنا التَّوفيقَ والإخلاصَ في القول والعمل، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

---

(١) (١: ٥١-٥٨).
(٢) (١: ٢٨-٤٠).

وقفات مختصرة في ترجمة ابن جماعة

هو قاضي القُضاة، شيخُ الإسلام، بدرُ الدِّين، أبو عبد الله، محمَّدُ بن إبراهيم بنِ سعد الله بن جَماعةَ الكِنانيُّ الحمَويُّ الشّافعيُّ[1].

وُلد ليلة السَّبت رابع ربيعِ الآخر سنة (٦٣٩هـ) بحَماة.

شيوخه[2] وطلبه للعلم:

قرأ القرآنَ والفقه، وسمع الحديث في حداثةِ سنِّه، فسمع من والده، وسمع

---

(١) أهم مصادر ترجمته: ترجم له الذهبيُّ في «المعجم المختص» ص٢٠٩، و«معجم الشيوخ» (٢: ١٣٠)، و«العبر في خبر من غبر» (٦: ١٧٨)، ونثر الكلام عنه أيضًا في حوادث السنين في «تاريخ الإسلام»، وترجم له ابن جابر الوادي آشي في «برنامجه» ص٤٦-٤٧، وابن الوردي في «تاريخه» (٢: ٢٩٢)، وترجم له أيضًا الصفديُّ في «الوافي بالوفيات» (٢: ١٥-١٧)، و«أعيان العصر» (٤: ٢٠٨-٢١٣)، و«نكت الهميان» ص٢٣٥، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٩: ١٣٩-١٤٦)، والإسنوي في «طبقات الشافعية» (١: ١٨٦-١٨٧)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٦: ٢٥٢-٢٥٣)، وابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» (٢: ٣٦٩-٣٧١)، وابن حجر في «الدرر الكامنة» (٣: ٢٨٠-٢٨٣)، وابن فهد المكي في «لحظ الألحاظ ذيل طبقات الحفاظ» ص١٠٧-١٠٩، ومجير الدين الحنبلي في «الأنس الجليل» (٢: ٢٢٧-٢٢٨)، وللدكتور عبد الجواد خلف دراسة عنه عنون لها بـ«القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره» وهي في أربع مئة وثمان وثلاثين صفحة، وله أيضًا «القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره ومنهجه في تفسير القرآن مع تحقيق مخطوطه النادر في مبهمات القرآن».

(٢) لابن جماعة رحمه الله مشيخة خرَّجها تلميذه علم الدين البرزالي، وطُبعت باسم «مشيخة =

سنة خمسين وستٍّ مئة ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـ من شيخ الشيوخ ابن قاضي حماة عبد العزيز بن محمَّدٍ الأنصاريّ[١]، وأجاز له الرَّشيدُ بنُ مسلمة[٢]، وعمر ابن البراذعي، ثمَّ انتقل إلى مصر، فسمع بها من الرَّضيِّ ابنِ البرهان، والرَّشيد العطار، وإسماعيل بن عزون، وابنِ القسطلاني، وتقي الدين ابن رزين[٣]، وبدمشق من ابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، وطائفة.

وروى «الشّاطبية» في القراءات عن معين الدِّين بنِ عبد الوارث المعروف بابن فار اللَّبن، صاحبِ الشّاطبي وآخر من روى عنه[٤].

وأخذ النَّحو عن أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي صاحب «الألفيّة»[٥].

تلاميذه:

قضى ابنُ جماعة رحمه الله ردحًا من عمره مدرِّسًا في مدارسَ مختلفة، بالإضافةِ إلى تفرُّدِه بالرِّواية وعلوِّ أسانيدِه، فلا غرابةَ أن يَكثرَ طلّابه الآخذون عنه، ومن أشهرهم البرزاليُّ، والذَّهبيُّ، والصَّفدي، وابنُ جابر الوادي آشي، وتاجُ الدين السُّبكي، وأبو حيّان الأندلسي صاحب «البحر المحيط»، وغيرهم كثير.

= قاضي القضاة»، وشيوخه فيها أربعٌ وسبعون شيخًا، منهم امرأةٌ واحدة، وهو مطبوعٌ في دار الغرب الإسلامي بتحقيق: الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر.

(١) توفِّي سنة (٦٦٢هـ). انظر «مشيخة ابن جماعة» للبرزالي (١: ٣٤٣)، و«فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (٢: ٣٥٤).

(٢) تحرف في مطبوع «معجم الشيوخ» إلى: «الرشيد بن مسمنة». وإجازته له مبكرة، في سنة (٦٤٦هـ) وعمره سبع سنوات. انظر «أعيان العصر» للصفدي (٤: ٢٠٨).

(٣) وعنه أخذ أكثر علومه. «طبقات الشافعية» للإسنوي (١: ١٨٦).

(٤) انظر «نكت الهميان» للصفدي ص٢٣٥، و«تاريخ الإسلام» (١٥: ١٠٥).

(٥) «طبقات الشافعية» للإسنوي (١: ١٨٦)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢: ٣٦٩-٣٧٠).

العلوم التي برع فيها :

قال الصّفدي: «حدَّث بالكثير، وتَفرَّد في وقتِه بالرّواية، وكان قويَّ المشاركةِ في علومِ الحديثِ والفقهِ والأصولِ والتَّفسير»[١].

وقال الذَّهبيُّ: «مهرَ في التَّفسير والفقه، وشاركَ في فنون»[٢].

وذكر الإسنويُّ أنه أفتى قديمًا، وعُرِضَت فتواه على النَّووي، فاستحسنَ ما أجاب به[٣].

مؤلفاته :

له مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ مفيدة[٤]، فقد صنَّف في التَّفسير والحديث والفقه والأصول والنَّحو وعلم الميقات.

ومن مؤلفاته: «المنهل الرَّوي» في علوم الحديث[٥]، و«تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة».

ولم يكن الشيخُ منفصلًا عن عصره، وهو عصرُ هجمات المغول على بلاد

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٢: ١٦).
(٢) «العبر» (٦: ١٧٨).
(٣) «طبقات الشافعية» للإسنوي (١: ١٨٦-١٨٧).
(٤) توسع في ذكر مؤلفاته الدكتور عبد الجواد خلف في كتابه «القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره»، وفي كتابه «القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره ومنهجه في التفسير» (رسالة دكتوراه)، وكذا فعل الدكتور موفق بن عبد الله في مقدمة تحقيق «مشيخة قاضي القضاة» للبرزالي، والدكتور عبد السلام السحيمي في مقدمة تحقيق «تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة»، فانظرها ثمّة إن شئت.
(٥) طُبع غير مرّة.

المسلمين، فألَّف في الجهاد كتابين هما: «تجنيدُ الأجناد في وجهاتِ أهل الجهاد»[١]، و«مستندُ الأجناد في آلات الجهاد»[٢].

وله أيضًا «الفوائدُ اللّائحة من سورة الفاتحة»، و«غُرر التِّبيان لمبهمات القرآن»[٣]، و«مقدّمة في النَّحو»[٤]، وغيرها.

ومما يَدلُّ على اتِّساعِ معارفه أنَّه ألَّف رسالةً في الأَسْطُرلاب، روى الصفديُّ عن شمس الدين ابنِ ناظر الجيش قال: كنتُ أقرأ على ابن جماعةَ بدمشق - وهو في بيت الخطابة - رسالته في الأسطرلاب، فقال لي يومًا: إذا جئتَ تقرأ في هذا فاكتمه؛ فإنَّ اليوم جاء إليَّ مغربيٌّ وقال: يا مولانا قاضي القضاة، رأيتُ اليوم واحدًا يَمشي في الجامع وفي كمِّه آلةُ الزَّندقة، فقلت: وما هي؟ فقال: الأسطرلاب[٥].

حرصه على طلب العلم:

لا يخفى حرصُ ابنِ جماعة وحبُّه للعلمِ، وهو ظاهر في أنفاسه في «تذكرة السامع»، ووقعَ في هامش نسخة أولو جامع (ب) عند كلام المصنِّف عن الحرص على الازدياد مِن العلم ما نصُّه: «وقال القاضي شرفُ الدين خطيب المدينة الفيوميُّ رحمه الله: سمعتُه رحمه الله يقول غيرَ مرّةٍ - يعني مصنِّفَ الكتاب -: قلعُ الضُّروس ولا قطعُ الدُّروس، وأنشدَنا وقد انقطعَ عن الدَّرسِ أيامًا قلائل، وحضرَ وعليه أثرُ

---

(١) طُبع في دار البيان في القاهرة بتحقيق: عبد الجواد خلف، وطُبع أيضًا بعناية: بديع السيد اللحام.
(٢) طُبع في دار الوثائق بدمشق بتحقيق: أسامة ناصر النقشبندي، ومعه «تجنيد الأجناد» باسم: «مختصر في فضل الجهاد».
(٣) طُبع بتحقيق: عبد الجواد خلف (رسالة دكتوراه).
(٤) «برنامج ابن جابر الوادي آشي» ص٤٧.
(٥) انظر: «الوافي بالوفيات» (٢: ١٦).

ضعفٍ، فقيل له: تكلَّفتَ، أو معنى ذلك، فأنشد:

إذا مَرِضْنـا تَداوينـا بذِكركُـمُ ونقطعُ الذِّكـرَ أحيانًا فننتكِسُ

رحمه الله تعالى».

ومن شعره:

لم أطلبِ العلمَ للدُّنيا التي ابتُغيَتْ مِـنَ المَناصِبِ أو للجـاهِ والمالِ

لكنْ متابعـةَ الأسـلافِ فيه كما كانوا فقُدِّرَ ما قد كان من حالي[1]

وظائفه ومناصبه:

نشأ ابنُ جماعة في بيتِ علميٍّ، فطلب العلم مبكِّرًا على يد والدِه العالم الزّاهد إبراهيم بن سعد الله، وسمع الحديثَ في حَداثةِ سنِّه ـ كما بيَّنتُه عند ذِكر شيوخ المصنف ـ منه ومِن غيره من العلماء، وتَقلَّب في المدارسِ متعلِّمًا طالبًا، ومن بعد ذلك عالمًا مطلوبًا، فكان هذا الكتابُ ثمرةً لهذه الحياة العِلميّة.

ومع تدريس طلبةِ العلم في المدارس فإنَّه كان خطيبًا فصيحًا مِصْقَعًا، يَخطبُ مِن إنشائه، ويقرأ في المحراب طيِّبًا[2].

ووليَ مع ذلك المناصب العليّة في قضاء القدس والشّام ومصر ـ كما سيأتي ذكره ـ مع السِّيرة الحسنة، قال تلميذُه ابنُ جابر الوادي آشي: «وما عُلِمَ عليه في جميع وِلاياته إلّا خير، مع أنَّها نحو الخمسين عامًا»[3].

وقد كانت وظيفةُ التَّدريس مِن أهمِّ الوظَائف التي وليها الشيخُ بدر الدين، فدرَّس

---

(١) «تاريخ ابن الوردي» (٢: ٢٩٢).

(٢) انظر: «أعيان العصر» للصفدي (٤: ٢١٢)، و«الدرر الكامنة» (٣: ٢٨٢).

(٣) «برنامج ابن جابر الوادي آشي» ص٤٧.

في المدرسة القيمرية بدمشق سنة (٦٨١هـ)[١] مع الخطابة فيها، ودرَّس بالغزالية في سنة (٦٨٥هـ)[٢]، ثمَّ نُقِل إلى قضاء القدس مع الخطابةِ سنة (٦٨٧هـ)[٣]، ثمَّ طُلِبَ لقضاءِ الدِّيارِ المصريّة سنة (٦٩٠هـ)[٤]، وجُمع له بين قضاء البلدين مع التَّدريس في عدّة مدارس، وصُرِف من القضاء سنة (٦٩٣هـ)[٥]، فاستقرَّ في التدريس.

ثمَّ نُقل إلى قضاء الشام سنة (٦٩٤هـ)، وجُمِعَ له مع القضاءِ الخطابةُ[٦] ومشيخةُ الشُّيوخ، وازدادَ على ذلك التَّداريس الكبار ونظر الأوقاف وغير ذلك[٧].

وقد كان لأيّامه في القدس والشّام ولخطابتِه في مسجديهما وتدريسِه في مدارسهما المنزلةُ العظمى في نفسه، فقال متذكِّرًا متحسِّرًا:

يا لهفَ نفْسي لو تَدومُ خطابَتي ... بالجامعِ الأقصَى وجامعِ جِلَّقِ
مـا كان أهنـأَ عيشَـنا وألـذَّهُ ... فيها وذاكَ طرازُ عُمري لو بَقِي
الدِّيـنُ فيه سـالمٌ مِـن هفوةٍ ... والرِّزقُ فوق كفايةِ المسترزِقِ
والنّاسُ كلُّهمُ صديقٌ صاحِبٌ ... داعٍ وطالـبُ دَعـوةٍ بتَرَقُّقِ[٨]

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٤٥٧)، وولي تدريسها مرة أخرى سنة (٦٩٦هـ). انظر «تاريخ الإسلام» (١٥: ٦٩٧).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٤٢١).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٤٢٤).

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٤٣٨).

(٥) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٦٨٨).

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥: ٦٩٠).

(٧) «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي (٤: ٢١٠-٢١١).

(٨) الأبيات مما أجاز به ابنُ جماعة الصفديَّ، وذكرها في «أعيان العصر» (٤: ٢١١)، و«الوافي بالوفيات» (٢: ١٦)، و«نكت الهميان» ص٢٣٦.

ثمَّ طُلبَ لقضاءِ مصر مرّةً أخرى سنة (٧٠٢هـ)، فأقامَ فيها إلى سنة (٧٠٩هـ)، فعُزل، وتولَّى تدريسَ المدرسةِ النّاصريّة سنة (٧١١هـ)، ثمَّ أُعيدَ إلى منصبه قضاء القضاةِ بالدّيار المصريّة سنة (٧١١هـ)، واستقرَّ له مع الحكم مشيخةُ الحديثِ بالكامليّة وجامعِ ابن طولون، وتدريس الصّالحيّة والنّاصريّة[١].

ولم يَزل على حاله إلى أن استَعفى من القضاء سنة (٧٢٧هـ)، فاستمرَّت بيده الزاويةُ المنسوبةُ إلى الشّافعيّ رضي الله عنه بجامع مصر، وقرَّر له السُّلطانُ الملك النّاصرُ راتبًا في الشَّهر مبلغ ألف درهم وعشرة أرادب قمحًا، وكان قد تركَ تناولَ المعلوم قبل انفصالِه عن القضاء بمدّةٍ تعففًا.

وانقطع الشيخُ في السّنوات الأخيرةِ من عمره في بيته، وقد أضرَّ وثقل سمعه، وتركَ المخالطةَ، والنّاس يزورونَهُ للبركة، ويقصدونَه للتَّملّي بمحاسنه، والأخذِ من فوائده المشتركة[٢]، إلى أن حانت وفاتُه رحمه الله وتقبّل منه صالحَ عملِه.

قالوا فيه:

قال الذَّهبيُّ: «له مشاركةٌ حسنةٌ في علوم الإسلام، مع دينٍ وتَعبُّدٍ وتصوُّف، وأوصافٍ حميدةٍ، وأحكامٍ محمودةٍ، وله النَّظمُ والنَّثرُ، والخُطَب، والتّلامذةُ، والجلالةُ الوافِرةُ، والعَقلُ التّامُّ، والخُلقُ الرَّضيُّ»[٣].

وقال أيضًا: «وكان ذا دينٍ وتعبُّدٍ ونَزاهةٍ، وحُمِد[٤] في القضاء، أضرَّ بأَخرةٍ، وانقطعَ للطّاعة»[٥].

---

(١) «أعيان العصر» (٤: ٢١١)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢: ١٦).

(٢) انظر: «أعيان العصر» (٤: ٢١٠).

(٣) «معجم الشيوخ» للذهبي (٢: ١٣٠).

(٤) تحرَّف في طبعة دار الكتب العلمية من «العبر» (٤: ٩٦) إلى: «وجمد»!

(٥) «العبر في خبر من غبر» (٦: ١٧٨).

وقال أيضًا: «عمل قضاء الإقليمين فحُمِدَت سيرتُه»(١).

وقال أيضًا: «صنَّف التَّصانيف، وكان من خِيارِ القُضاة»(٢).

وقال الصَّفديُّ: «كان إمامَ زمانه، وصدرَ أوانِه، وانتهَتْ إليه رياسةُ الدِّين والدُّنيا، وجُمعَ له من المناصب ما لم يُجمَع في وقته لسواه، وتركَ كلَّ عدوٍّ له وحاسدٍ يَنطوي على نيرانِ جواه»(٣).

وقال تاج الدين السُّبكيُّ: «حاكمُ الإقليمين مصرًا وشاما، وناظمُ عقدِ الفَخار الذي لا يُسامى، متحَلٍّ بالعفاف، متخلٍّ إلّا عن مقدارِ الكفاف، محدِّثٌ فقيهٌ، ذو عقلٍ لا يقوم أساطينُ الحكماءِ بما جُمعَ فيه»(٤).

وفاته:

تُوفّي ليلة الاثنين بعد العشاء الآخرة الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة (٧٣٣هـ)، وله أربع وتسعون سنة وشهر، ودُفِن بالقرافة بمصر قريبًا من الشافعي رحمه الله.

---

(١) «المعجم المختص» ص٢٠٩.

(٢) «دول الإسلام» (١: ٢٧٦).

(٣) «أعيان العصر» (٤: ٢٠٩).

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٩: ١٣٩).

التعريف بالكتاب

لم يُختلَف في اسم الكتاب، ولا في نسبتِه لمؤلفِه بدر الدين ابن جماعة رحمه الله، فذُكِر اسمه على ظهور المخطوطات واضحًا بيّنًا، وذكرهُ حاجي خليفة في «كشف الظنون»، وإسماعيل البغداديُّ في «هديّة العارفين»[١] منسوبًا لمؤلِّفه.

وقد نُسِخَ الكتابُ في حياة مؤلفه، وسارت به الرُّكبان، فترى نُسخَه مفرَّقة في حواضر الإسلام، كالمدينة المنورة والقدس والشام ونجد، كما سيظهر عند وصف النسخ الخطية.

وممَّن نقل عن «تذكرة السامع» شمسُ الدين البِرْماوي في «الفوائد السنية في شرح الألفية»[٢]، ونقل عنه أيضًا ابنُ رسلان في «شرح سنن أبي داود» دون أن يصرِّح بنسبة الكلام له[٣]، كما استفادَ مِنه كثيرٌ من العلماء المعاصرين[٤].

وقد تميَّز هذا الكتابُ بحُسنِ التَّرتيب والتَّبويب، وبيَّن مؤلِّفه في مُقدِّمته خطَّته في الكتاب، ومنهجَه فيه، وعناوينَ أبوابه.

كما أنه أوردَ الأحاديث والآثار محذوفةَ الأسانيد بُغيةَ الاختصار، ورغبةً عن الإطالة والإملال.

---

(١) انظر «كشف الظنون» (١: ٣٨٦)، و«هدية العارفين» (٢: ١٤٨).
(٢) (١: ١٢٣).
(٣) عند شرح الحديث (١٤٦٢).
(٤) منهم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه «صفحات من صبر العلماء» ص٤٨، ١١١، ١٣٧-١٣٨.

وقد أورد رحمه الله في كتابه بعضَ الأحاديث الضَّعيفة أو شديدةِ الضَّعف، كما ستراهُ مبيَّنًا في تخريج الأحاديثِ والتَّعليقِ عليها، ولعل ذلك لأنها في باب الفضائل.

وفرغَ ابنُ جماعة من تأليفِه في رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنتين وسبعين وست مئة[1]، وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة.

مصادر الكتاب:

استفاد المصنِّف رحمه الله ممن سبقه في الكتابة في آداب طلب العلم، ومن غيرها من المصادر، ومن المصادر ما صرَّح به: كـ«صحيح مسلم»، و«سنن الترمذي»، و«سنن أبي داود»، و«التعليقة» للقاضي حسين، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، و«نظم الدر» للشارمساحي المالكي، ونقل عن الغزاليِّ رحمه الله، ولم يصرِّح بالكتاب المنقولِ عنه؛ وهو «إحياء علوم الدين».

ولعل من أهمِّ المصادر التي لم يُصرِّح بها، وغالبُ الظَّنِّ أنَّه نقلَ عنها: «آداب الشّافعيِّ ومناقبه» لابن أبي حاتم، و«معالم السنن» للخطّابي، و«مناقب الشّافعيِّ»، و«شعب الإيمان»، و«المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي، و«الفقيه والمتفقِّه»، و«المنتخب من الزهد والرقائق» للخطيب البغدادي، و«جامع بيان العلم» و«الانتقاء في فضائل الأئمّة الثلاثة الفقهاء» لابن عبد البرّ، و«الشفا» للقاضي عياض، ومقدمة «المجموع»، و«التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.

النسخ الخطية:

انتشرت نسخُ الكتاب في حواضر العالم الإسلامي كما سبق وأشرت، وليس في الوُسع استيعابُ نسخِ كتابٍ منتشرٍ في الآفاق انتشارَ كتابنا هذا، غير أنَّه قد توفَّر

(١) كما جاء في آخر نسخة أسعد أفندي (س) ونسخة دار الكتب المصرية (د).

لنا من هذا الكتاب ثماني نسخٍ خطّيّة مما يغلِب على الظنّ أنها تفي التحقيقَ حقَّه:

النُّسخة الأولى: هي نسخةٌ جيّدةٌ مقابلة، مكتوبةٌ في الشّام في حياة المصنف، ناسخُها هو موسى بنُ سِنان بنِ مسعودِ الجعفريُّ العَناكيُّ[(١)] الشّافعي، وفرغ من نسخها في السّابع عشر من ربيع الأوَّل سنة خمس وعشرين وسبع مئة، (٧٢٥هـ)، وهي محفوظةٌ في مكتبة أسعد أفندي في تركيا ضمن مجموع رقمه (٢٧١)، وفيه كتابان؛ الأوَّل «الإعلام بأحاديث الأحكام»، وبعده «تذكرة السّامع» في تسعٍ وخمسين ورقة من القطع المتوسط، من الورقة (٨٧) إلى (١٤٦)، مسطرتها ١٥ سطرًا، **ورمزت لها بـ(س)**.

وعلى غلافها ما نصُّه: «للمصنِّف أعزَّهُ الله تعالى:

لم أطلبِ العلمَ للدُّنيا التي اتَّفقتْ مـنَ المَناصبِ أو للجـاهِ والمالِ
لكنْ متابعــةَ الأسـلافِ فيه كما كانوا فقُدِّرَ ما قد كان مِن حالي[(٢)]

غيره:

---

(١) العناكي نسبة لأَعْناك؛ بلدةٍ من نواحي حوران من أعمال دمشق، انظر «معجم البلدان» (١: ٢٢٢)، والعَناكيّون منسوبون لجعفرِ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، فقد ذكر الذَّهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (١٢: ٦٤٧) خبر المحضر الذي يثبت نسبهم، ثم ذكر (١٢: ٦٨٥) أن القاضي حسام الدين الحنفي حكم بصحة نسبهم إلى جعفر بعد أن سعوا وتعبوا.
وموسى بن سنان ناسخ هذه النسخة ترجم له الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٤: ٣٧٥)، وذكر أنه كان نائب الحكم بحلب، وأنه كان مشكور السيرة، وأنه تُوفي سنة (٧٦٢هـ) وقد جاوز الستين، وذكره أيضًا ابن فهد المكي في «لحظ الألحاظ» ص١٣٢، وذكر أنَّ وفاته كانت بالمعرّة.

(٢) ذكرهما ابن الوردي في «تاريخه» (٢: ٢٩٢)، وفيه: «ابتغيت» بدل: «اتفقت».

وَلِيتُ سبعًا شِداداً لَيتَها سلِمَتْ   على مكابدةِ الأيامِ مِن خطرِ
فإن سَلِمتُ وأنَّى بالسلامةِ لي   يكفي امتحاني وذاك السُّدْسُ مِن عُمُري»

النُّسخة الثّانية: هي نسخةٌ مكتوبةٌ في القدس الشَّريف بعد وفاة المصنِّف بسنتين، في الثامن عشر لشهر شعبان المكرَّم، سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مئة، (٧٣٥هـ)، وهي محفوظةٌ في المكتبة الظّاهرية بدمشق برقم (١٨٣٦)، في ثمانٍ وستين ورقة من القطع المتوسط، مسطرتها ١٧ سطرًا، **ورمزت لها بـ(ظ)**، وهي نسخةٌ جيِّدةٌ مقابلةٌ، مكتوبة بخط مغربي، ومشكولةٌ في كثيرٍ من مواضعها، وفي ترتيب أوراقها تشويشٌ يسير.

وعلى هذه النسخة عدّة تملُّكات، منها ما ذُكر على غلافها أنها كانت «في نوبة أضعف العباد وأحوجهم... محمد بن جلال الدين محمد بن زين الدين عبد القادر الحنفي عفا تعالى عنهم وعن جميع المسلمين، في سنة إحدى وعشرين...»، ومنها أنها انتقلت إلى ملك عبد الوهاب بن محمَّدٍ العطّار الشافعي في أوائل سنة (٩٩٠هـ)، ومنها أنه كانت من كتب الفقير عبد الله بن زين الدين البصروي، ومنها تملُّك في شعبان سنة (١٢٣٦هـ). وفي الورقة الأخيرة منها تملك سنة (١٢٩٥هـ).

النُّسخة الثالثة: هي نسخةٌ كُتبت في المدينة النبوية، تجاهَ الحجرةِ النَّبويّة المعظَّمة المشرَّفة، زادها الله شرفًا، وناسخُها عبد القادر بن محمد الحجّار[1]، فرغَ من نسخها آخرَ وقت الظهر يوم الخميس، السّادس والعشرين من شهر شوّال، أحد شهور سنة خمسٍ وخمسين وسبع مئة، (٧٥٥هـ)، وهي محفوظةٌ في مكتبة أولو جامع بمدينة بورصة التركية، برقم (١٨٤٩)، وهي نسخةٌ جيِّدةٌ مقابلة، بهامشها

---

(١) له ترجمة في «ذيل التقييد» للتقي الفاسي (٣: ٦٢)، و«إنباء الغمر» لابن حجر (١: ٥٣٦)، ووفاته سنة (٧٩٩هـ).

فوائد من الناسخ، وهي في ستٍّ وعشرين ورقة من القطع الكبير، مسطرتها ٢١ سطرًا، مخرومةٌ مِن أولها خرمًا يسيرًا، وقد **رمزت لها بـ**: (ب).

النُّسخة الرّابعة: هي نسخة جيّدةٌ قديمةٌ مقابلةٌ، مشكولةٌ في كثيرٍ من مواضعها، فُرِغَ من نسخها سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، (٧٤٢هـ)، أي: بعد وفاة ابن جماعة بتسع سنوات، ولم يُعرَف ناسخُها، وهي محفوظةٌ في مكتبة رضا رامبور في الهند برقم (٢٨٣٥)، وعنها نسخةٌ في معهد إحياء المخطوطات العربيّة بالقاهرة برقم (١١٣٧)، في تسعٍ وخمسين ورقة، ومسطرتها (١٧) سطرًا، **ورمزت لها بـ**(ر).

النُّسخة الخامسة: هي نسخةٌ جيدة مقابلة، كُتبت فيها عناوين الفصول والأبواب بالمداد الأحمر، وبهامشها إشارةٌ إلى ما ورد في نسخٍ أخرى، وشرحٌ لبعض الكلمات، وتعليقاتٌ مفيدةٌ أثبتُّها في هامش الكتاب، نُسخت سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة، (٩٢٢هـ)، ولعلَّ ناسخها مجد الدين ابن خيرة[1]، وهذه النسخة محفوظةٌ بالمكتبة الظاهرية ضمن مجموعٍ برقم (٦٦١٩)، وعنها نسخةٌ في مركز جمعة الماجد، وهي في تسعٍ وأربعين ورقة، من الورقة (٦١) إلى (١١٠)، مسطرتها (١٩) سطرًا، وعلى غلافها تملُّك نصُّه: «من فضله تعالى على عبده القاضي محمد أبو السَّعادات الدجاني»[2]، **ورمزت لها بـ**(يه).

النُّسخة السّادسة: وهي نسخةٌ جيِّدةٌ مقابلة، لم يُعرف ناسخها، ولا تاريخ نسخها، وقدَّر مفهرسها على غلافها أنها نُسخت في القرن الثامن، وجاء على غلافها تملكان؛ الأول: «في نوبة محمد الثلجاوي»، والثاني: «في نوبة الحقير زين

---

(١) كما يظهر من فهارس مكتبة الأسد الوطنية.

(٢) هو محمد ابن مفتي يافا حسين بن سليم الدجاني، عاش في القرن (١٣هـ) تقريبًا. انظر «معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم» (٥: ٣٣١٩).

العابدين بن علوي باحسن جمل الليل[١] بالشراءِ الشرعيِّ سنة **١١٩٣هـ**»، وهي في تسعٍ وعشرين ورقة، مسطرتها (٢٤) سطرًا، محفوظة في مكتبة شستربتي برقم (٥٢٢٠)، **ورمزت لها بـ(ش)**.

النُّسخة السابعة: وهي نسخةٌ جيِّدةٌ، لا تظهر عليها آثار مقابلة، ولم يُذكر تاريخُ نسخها ولا اسم ناسخها، ولعلَّها نُسخت في القرن الثامن، وعلى غِلافها تملُّكات، أحدها: «ملكه فقير عفو ربِّه الصَّمد أحمد بن الملّا محمَّد الشّافعيّ عفا الله عنهما، في أوائل (٩٧٩هـ)، ثمَّ ملكه ولده إبراهيم بن أحمد بن الملا محمد...»، ودخلت أيضًا تحت يد عثمان العقيلي العمري[٢]، وعلى الورقة الأخيرة منها تملُّك باسم: فاطمة بنت الشيخ مصطفى، غير أنَّ تاريخ التملُّك غيرُ واضح، وهي في أربعٍ وسبعين ورقة، مسطرتها (١٢) سطرًا، محفوظةٌ بدار الكتب المصرية برقم (١٨٣١)، وعنها نسخةٌ في معهد إحياء المخطوطات العربية برقم (١١٣٨)، **ورمزت لها بـ(د)**.

النُّسخة الثامنة: وهي نسخةٌ نجديّةٌ، ناسخها: عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمن بن عبد العزيز بن تركي[٣]، بدأ نسخها يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة ثمان عشرة وثلاث مئة وألف، (١٣١٨هـ)، وأتمَّ نسخَها يوم الأحد أوَّل رمضان مِن السَّنة نفسِها، وهي نسخةٌ غير مقابلة كما كُتب على طرَّتها، فكثُر فيها السّقطُ والتَّحريف، وهي من محفوظات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

---

(١) هو مفتي المدينة المنورة ومسندها، أبو عبد الرحمن المدني، وُلد سنة (١١٧٤هـ)، من مصنفاته «راحة الأرواح» في الحديث، و«مشتبه النسبة»، وغيرهما، توفي سنة (١٢٣٥هـ). انظر «الأعلام» للزركلي (٣: ٦٥).

(٢) لعله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي الحلبي، المتوفى سنة (١١٩٣هـ). انظر ترجمته في «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» (٣: ١٥٠-١٥١).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

بالرياض برقم (٥٢٦١)، ورمزت لها بـ(ف)، وقد استأنستُ بهذه النسخة وبالتي قبلها استئناسًا في مواضع الإشكال، ولم أقابلهما مقابلةً كاملة.

منهج العمل في تحقيق الكتاب:

١ـ قابلتُ الكتابَ على النُّسخِ الست الأوائل، واستأنستُ بالنُّسختَين الأخيرتَين، ومنهَجي كان إثبات ما أراهُ أقربَ للصَّواب مِن النُّسخ الخطِّيّة، مع الإشارةِ إلى ما يخالِفُه في الهامش إن كان ذا بال.

٢ـ قمتُ بتفصيلِ نصوص الكتاب، ووضع علامات الترقيم بما يقرِّبهُ إلى قارئه، مراعيًا في ذلك القواعد الإملائيّة الحديثة.

٣ـ ضبطتُ بالشكل كثيرًا مِن ألفاظ الكتاب تيسيرًا على قارئه وإزالةً لما قد يلتبس، وبيَّنت معاني الغريب فيه.

٤ـ عزوتُ الآيات القرآنيّة إلى مواضعِها مِن كتاب الله.

٥ـ خرَّجت الأحاديثَ النَّبويّة مِن كتب السُّنّة المشهورة، وحرصتُ على بيان درجةِ الحديث، بنقل أقوالِ أئمّةِ هذا الشأن، فإنْ لم أجد فبالنَّظر في رجالِ الإسناد، وأقوالِ الأئمّة فيهم.

٦ـ خرَّجتُ الآثارَ والأقوال التي ذكرَها المصنِّفُ، وعزَوتُها إلى مصادرها.

٧ـ نسبتُ الأشعارَ إلى قائليها، وخرَّجتُها مِن دواوينهم إن أمكن، وإلّا فمِن مظانِّها من كتبِ الأدب.

٨ـ تَرجمتُ للأعلام المذكورين في الكتاب ترجمة مختصرة، ولم أترجم للمشهورين كالأئمة الأربعة والمشهورين من الصحابة رضيَ الله عنهم.

٩ـ وضعت فهارس فنية للكتاب، وتتضمن:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الرجَز.
- فهرس الأعلام المترجمين.
- فهرس الكتب التي ذكرها المصنف.
- فهرس الفوائد الفقهية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة أشكرُ الدكتور إياد الغوج صاحب دار الفتح للدراسات والنشر على ما قدَّمه بغيةَ نشر هذا الكتاب، فقد بذل جهدًا طيبًا للحصول على أنفَس نُسَخه الخطية، وأظهر اهتمامًا بالغًا بنشره وإكمال فوائده، وقام مشكورًا بقراءته كاملًا، وأبدى ملاحظات مفيدة، فأسألُ الله أن يَجزيَه على ما يبذله في خدمة العلم خيرَ الجزاء، وأن يوفقه إلى ما يحبُّ ويرضى.

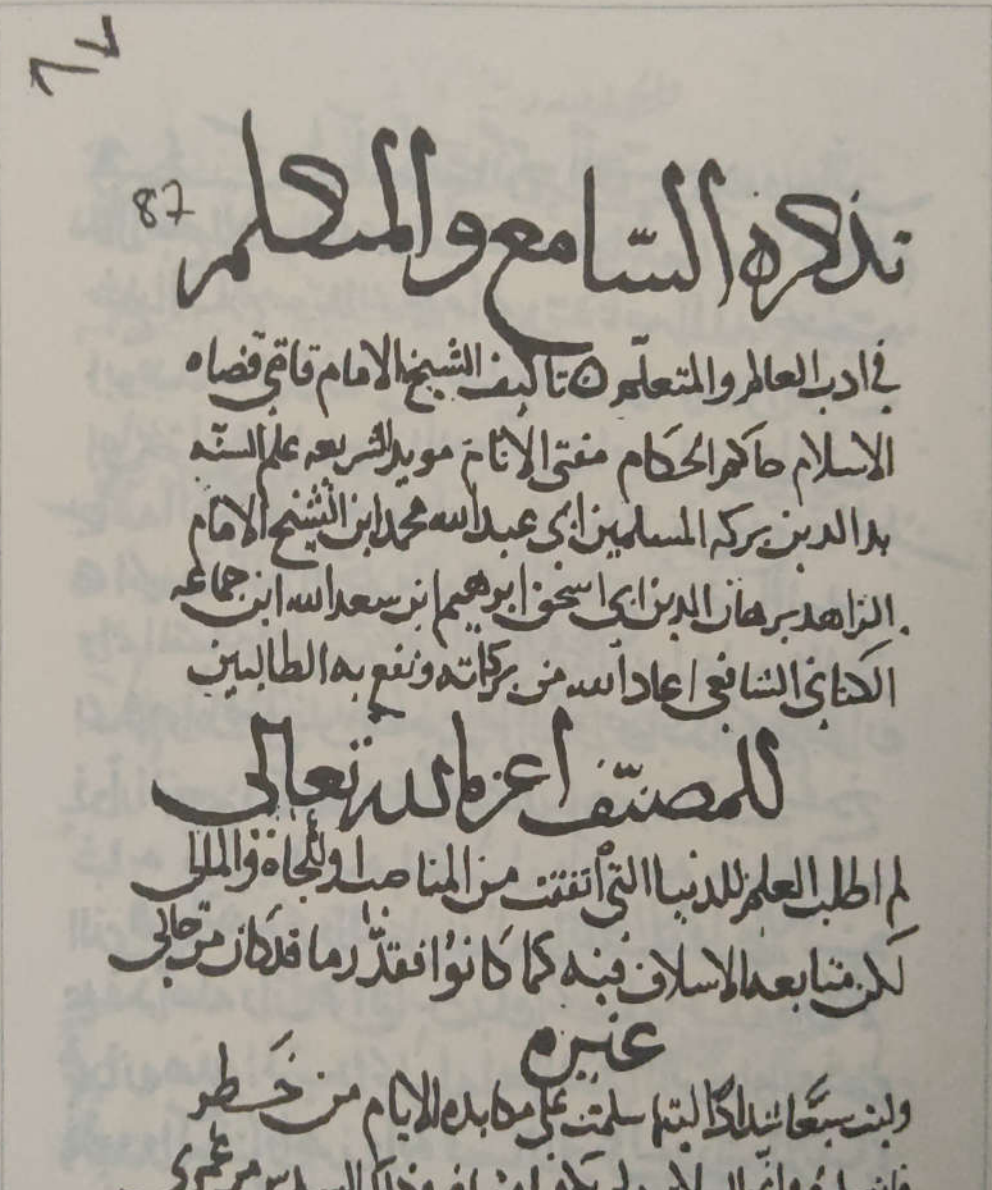
والله أسأل أن يتقبَّل مني هذا العمل، وأن يتجاوز عمّا صدر منّي مِن زَلَل، وأن يجعله حجّة لي يوم العرض عليه، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

كتبه
فَادِي المَغْرَبِيّ
مدينة العبور بأطراف القاهرة

يوم الثلاثاء الحادي والعشرين
من ذي الحجة سنة ١٤٤٠هـ
الموافق لـ ٢٠/٨/٢٠١٩م

نماذج من صفحات

المخطوطات المعتمدة في التّحقيق



٢٦

87

تذكرة السامع والمتكلم

في أدب العالم والمتعلم ٥ تأليف الشيخ الإمام قاضي قضاة
الإسلام حاكم الحكام مفتي الأنام مؤيد الشريعة علم السنة
بدر الدين بركة المسلمين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام
الزاهد برهان الدين أبي إسحق إبرهيم بن سعد الله ابن جماعة
الكناني الشافعي أعاد الله من بركاته ونفع به الطالبين

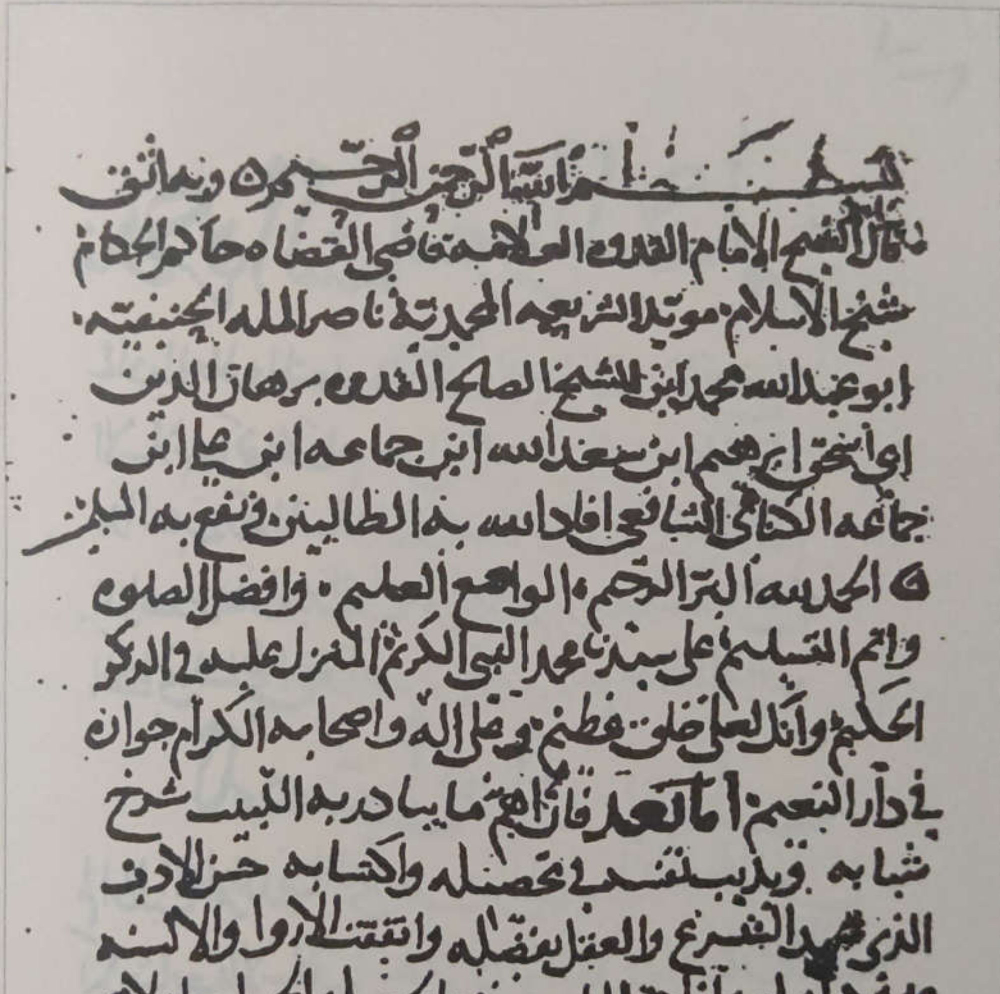
للمصنف أعزه الله تعالى

لم أطلب العلم للدنيا التي اتفقت من المناصب أو للجاه والنحل
لكن متابعة الأسلاف فيه كما كانوا فقدر ما قد كان من قبلي

غيره

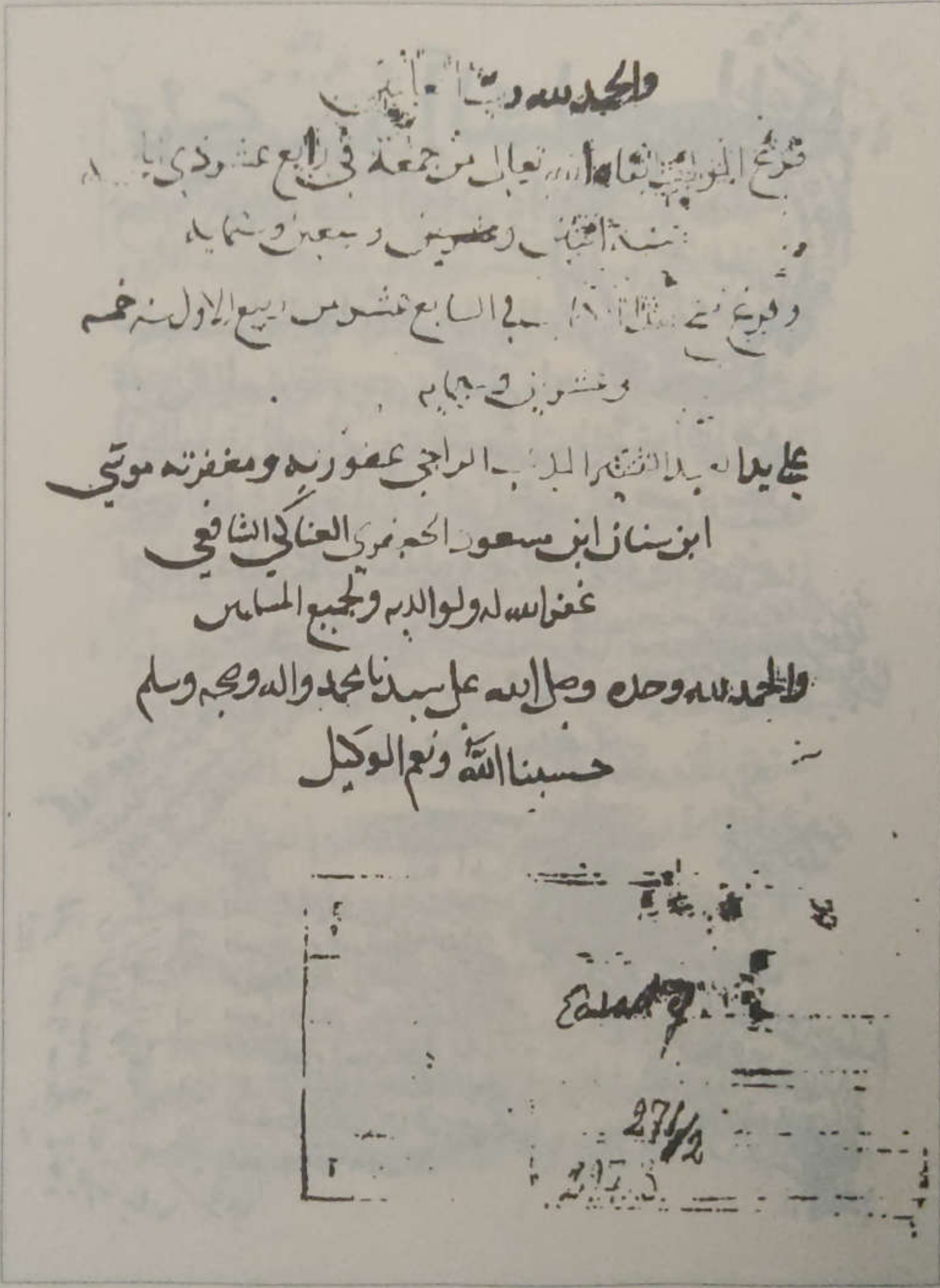
ولبث سبعاً ثلاثاً كالبتة سلمت على ما بدا للأيام من خطر
فإن سلمت وإني بالسلامة لي يكمل أماني وذلك السدس من عمري

صورة غلاف النسخة (س)



بسم الله الرحمن الرحيم وبه اثق
قال الشيخ الإمام القدوة العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام
شيخ الإسلام مؤيد الشريعة المحمدية ناصر الملة الحنيفية
ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح القدوة برهان الدين
ابي اسحاق ابرهيم ابن سعد الله ابن جماعة ابن علي ابن
جماعة الكناني الشافعي افاد الله به الطالبين ونفع به المسلمين
الحمد لله البر الرحيم الواسع العليم وافضل الصلوة
واتم التسليم على سيدنا محمد النبي الكريم المنزل عليه في الذكر
الحكيم وانك لعلى خلق عظيم وعلى اله واصحابه الكرام جيران
في دار النعيم اما بعد فان اهم ما يبادر به اللبيب شرخ
شبابه ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه حسن الادب
الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت الاراء والالسنة
على شكر اهله وان احق الناس بهذه الخصلة الجميلة واولاهم
بحيازة هذه المرتبة الجليلة اهل العلم الذين حلوا به ذروة
المجد والسنا واحرزوا به قصبات السبق في وراثة الانبياء

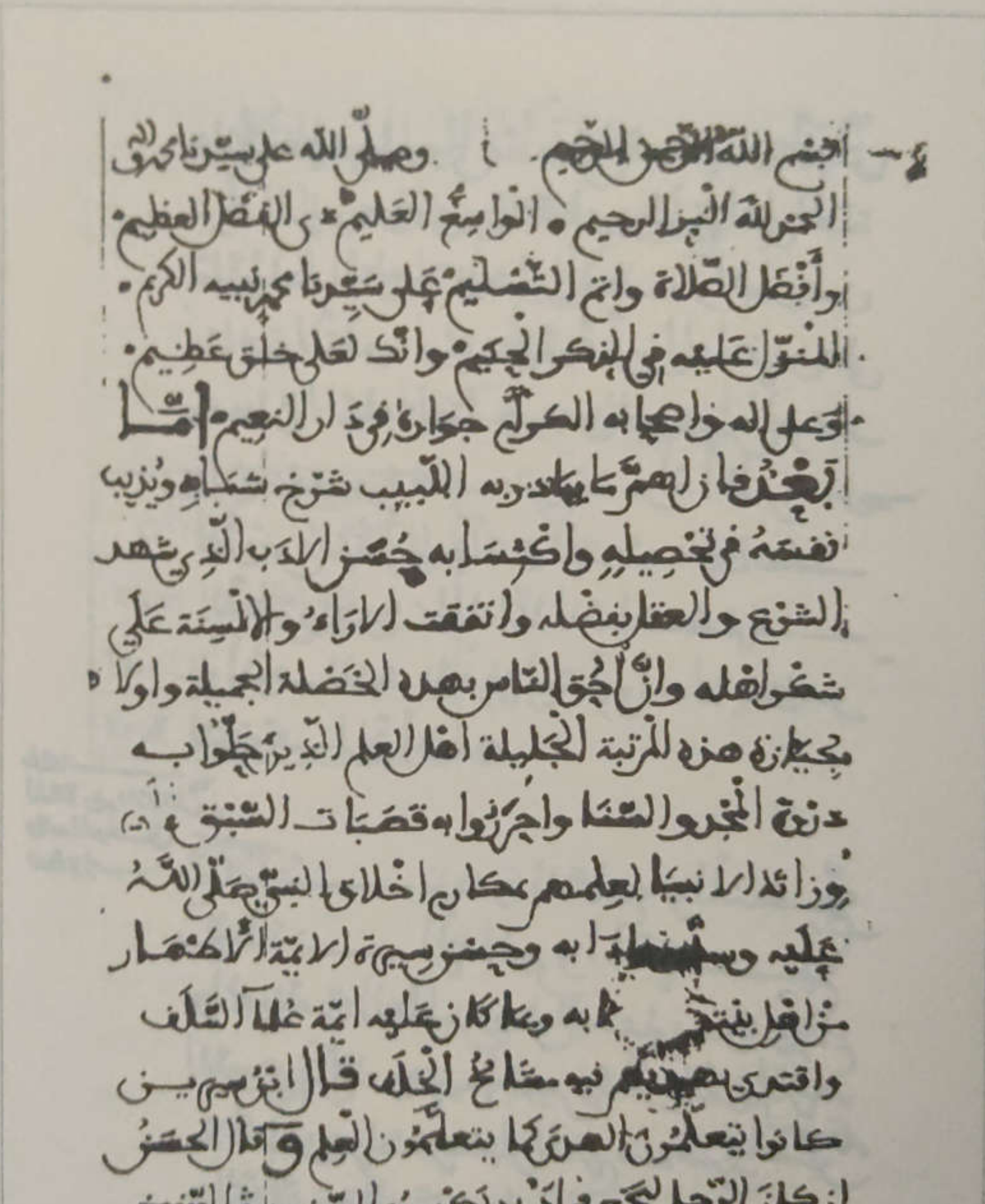
صورة الصفحة الأولى من النسخة (س)


والحمد لله رب العالمين
فرغ المؤلف [illegible] تعالى من جمعه في رابع عشر ذي [illegible]
سنة [illegible]
وفرغ من [illegible] في السابع عشر من ربيع الأول سنة خمس
وعشرين [illegible]
على يد [illegible] الفقير إلى [illegible] الراجي عفو ربه ومغفرته موسى
ابن سنان ابن مسعود الحمزي العناني الشافعي
عفا الله عنه ولوالديه ولجميع المسلمين
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
حسبنا الله ونعم الوكيل
27/2

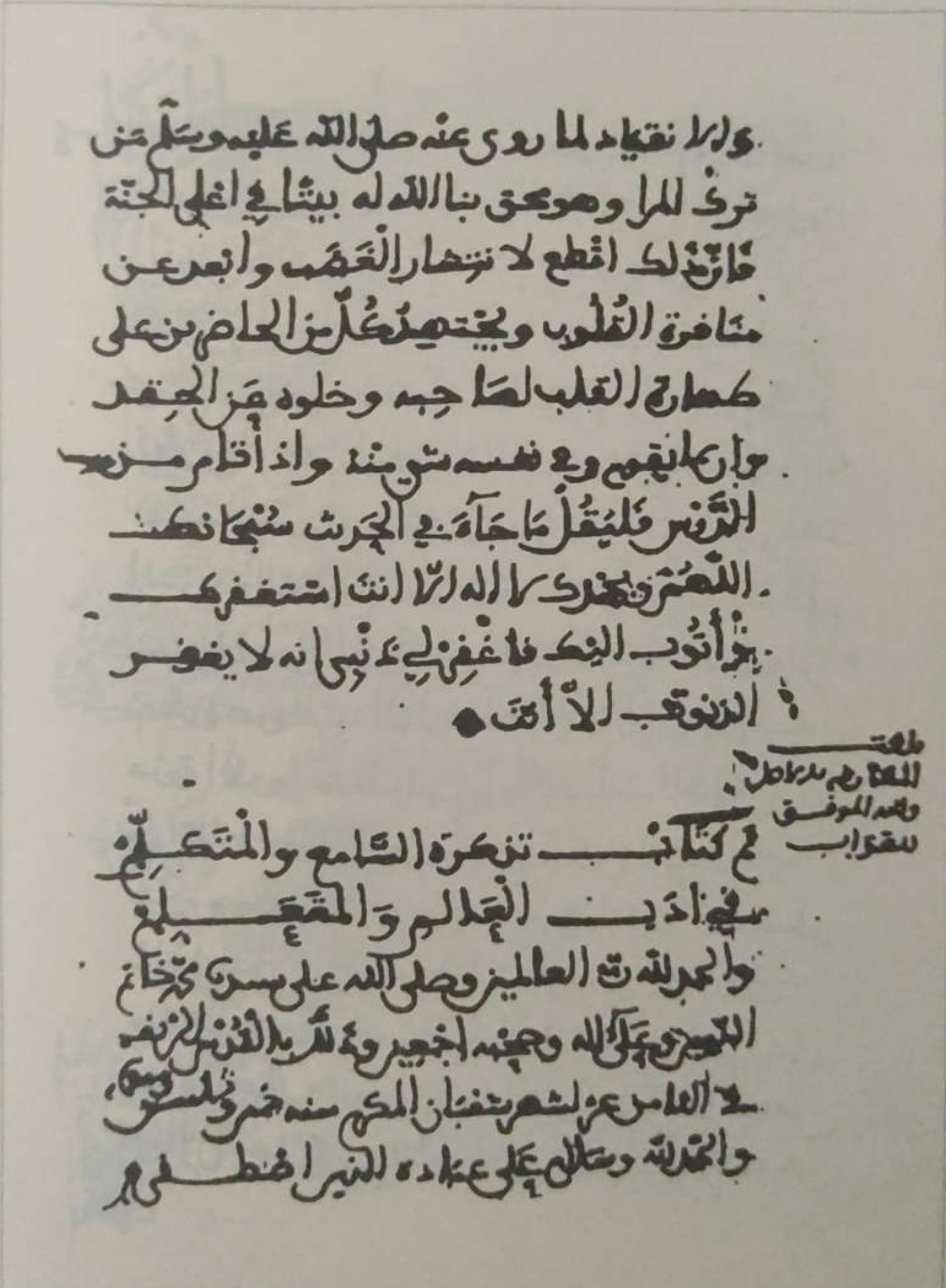
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (س)


تذكرة السامع والمتكلم
في أدب العالم والمتعلم
تصنيف الشيخ الإمام قاضي القضاة
مفتي الأنام بركة مصر والشام ناصر
الطلاب بدر الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الزاهد
قدوة العارفين برهان الدين أبي إسحق ابرهيم بن سعد الله
ابن جماعة الكناني الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه

صورة غلاف النسخة (ظ)


بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الحمد لله العزيز الرحيم . الواسع العليم . ذي الفضل العظيم .
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد نبيه الكريم .
المنعوت عليه في الذكر الحكيم . وإنك لعلى خلق عظيم .
وعلى آله وأصحابه الكرام جيرانه في دار النعيم . أما
بعد فإن أهم ما يعتني به اللبيب شرخ شبابه ويذيب
نفسه في تحصيله واكتسابه حسن الأدب الذي شهد
الشرع والعقل بفضله واتفقت الآراء والألسنة على
شكر أهله وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة وأولاهم
بحيازة هذه المرتبة الجليلة أهل العلم الذين حلوا به
ذروة المجد والسنا وأحرزوا به قصبات السبق
وراثة الأنبياء لعلمهم بمكارم أخلاق النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] به وحسن سيرة الأئمة الأخيار
من أهل بيته [illegible] به وبما كان عليه أئمة علماء السلف
واقتدى بهديهم فيه مشايخ الخلف قال ابن سيرين
كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم وقال الحسن
إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنين ثم السنين

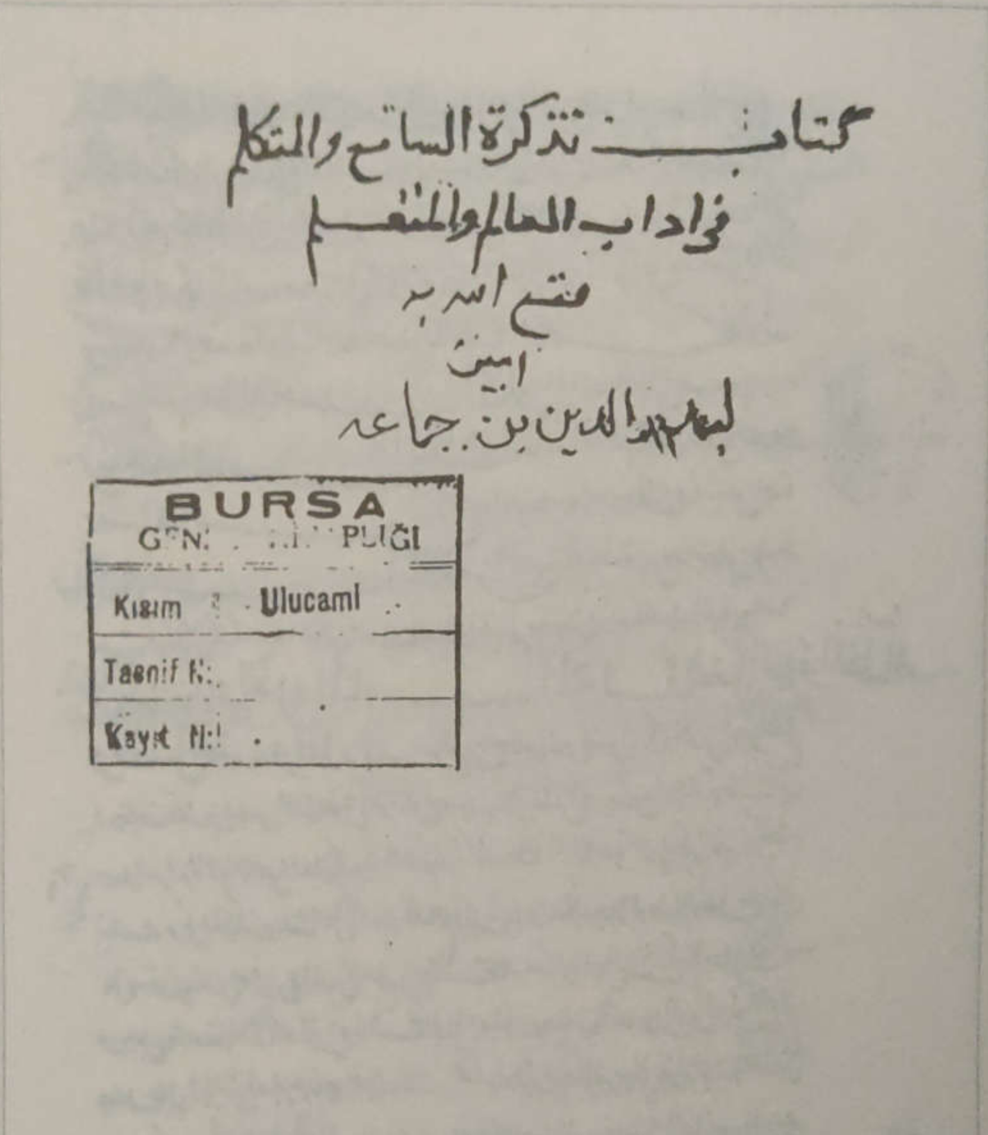
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ظ)


والانقياد لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من
ترك المرا وهو محق بنا الله له بيتا في اعلى الجنة
فان ذلك اقطع لانتشار الغضب وابعد عن
منافرة القلوب ويجتهد في كل من الحاضرين على
مطارحة القلب لصاحبه وخلوه من الحقد
وان عابه في نفسه شي منه واذا قام من
المجلس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك فاغفر لي ذنبي انه لا يغفر
الذنوب الا انت

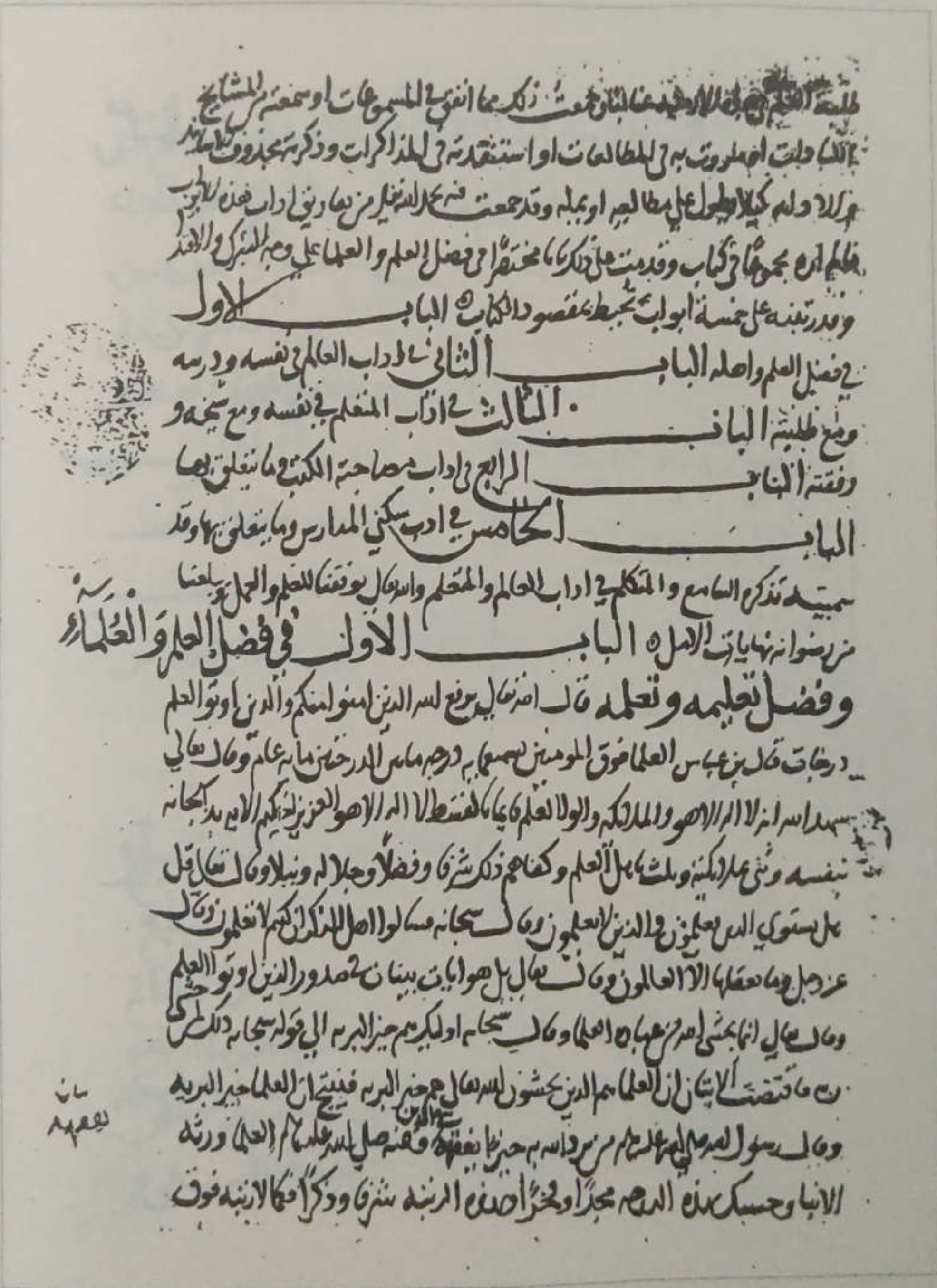
طالعته
الكتاب من اوله
والله الموفق
للصواب

تم كتاب تذكرة السامع والمتكلم
في ادب العالم والمتعلم
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين وذلك في العشر الاخير
من العاشر عشر لشهر شعبان المكرم سنه خمس وثمانين
والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ظ)



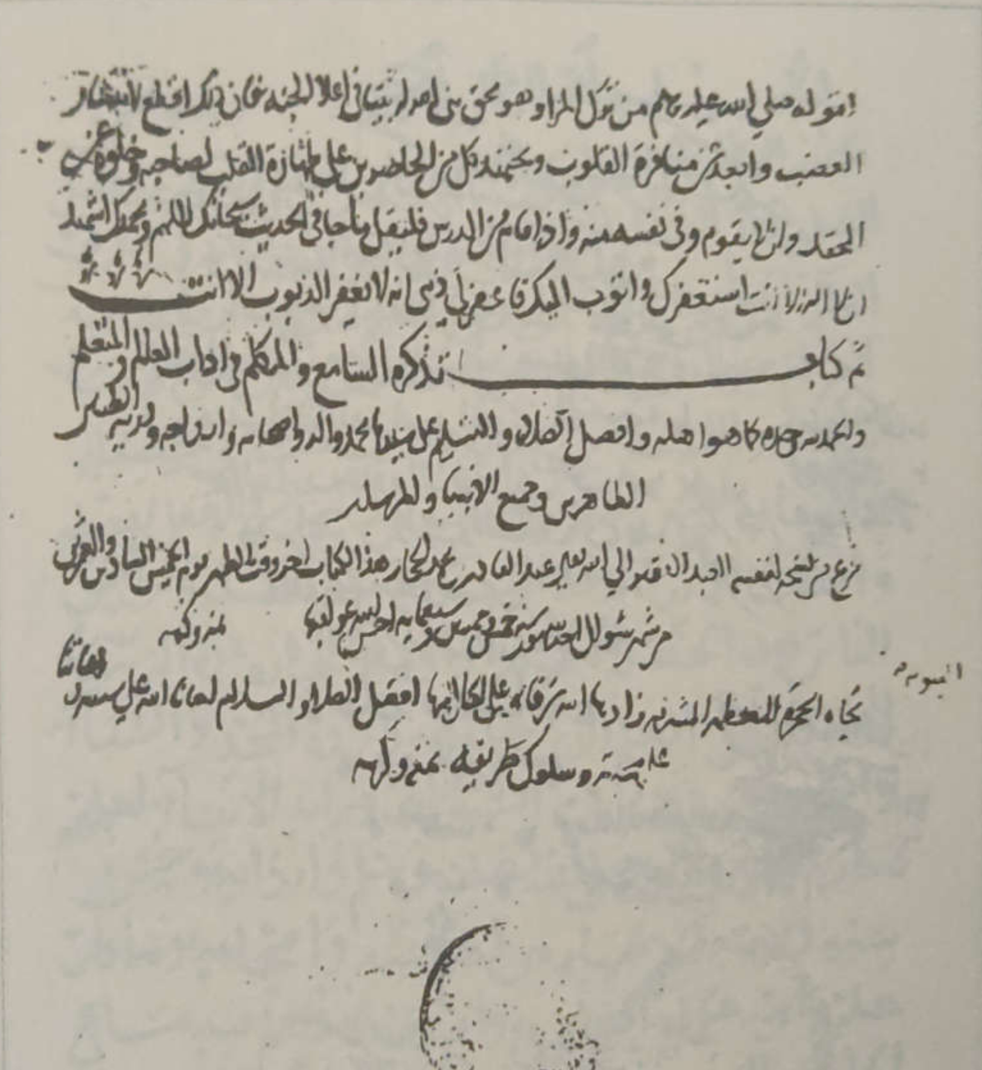
صورة غلاف النسخة (ب)



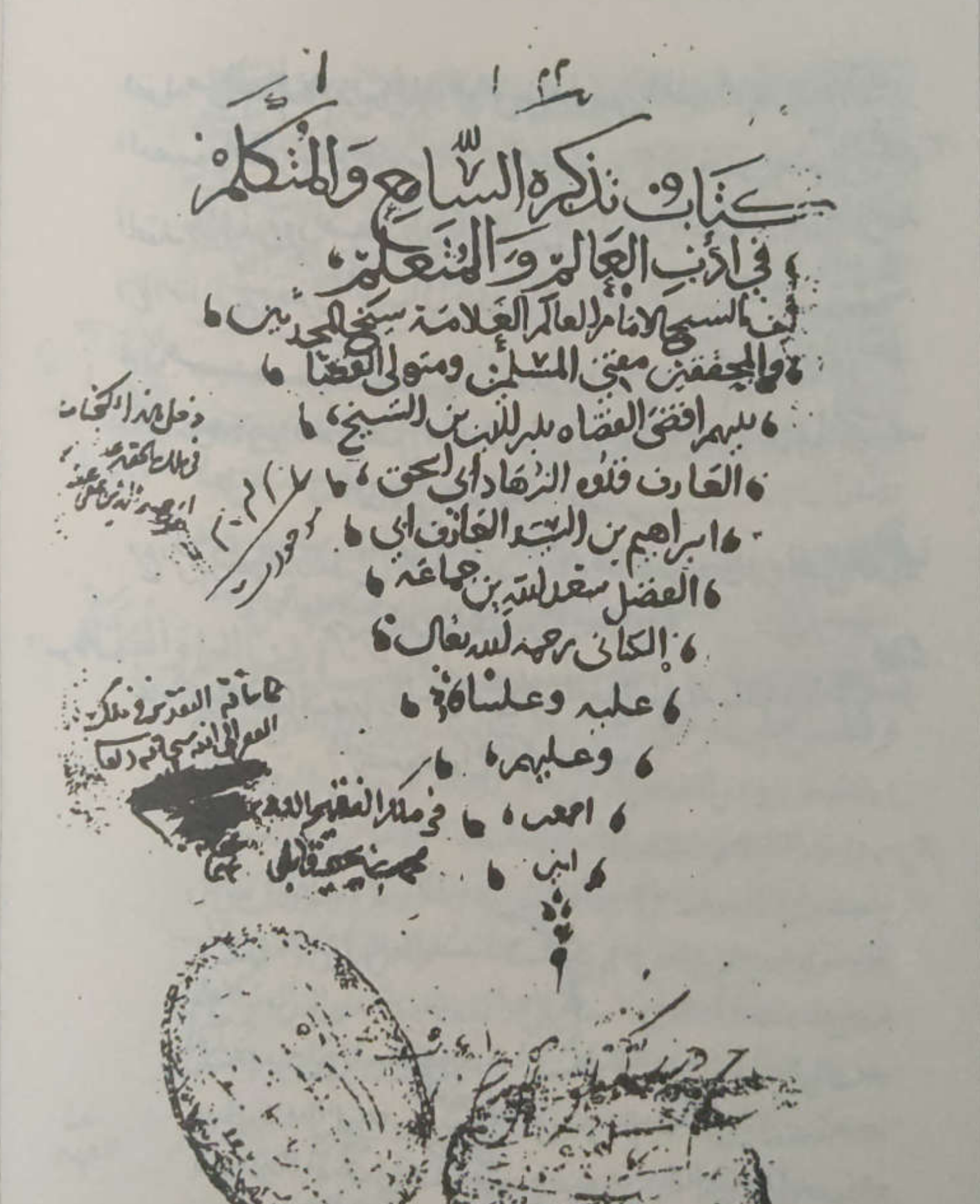
طلبة العلم … جمعت ذكر مما اتفق في المسموعات او سمعته من المشايخ
او مرت به في المطالعات او استفدته في المذاكرات وذكرته محذوف الاسانيد
والادلة كيلا يطول على مطالعه او يمله وقد جمعت فيه بحمد الله تعالى من نفائس آداب هذه الاجزاء
فالمهم من مجموعها في كتاب وقدمت على ذلك بابا مختصرا في فضل العلم والعلماء على وجه التبرك والاقتداء
ورتبته على خمسة ابواب تحيط بمقصود الكتاب الباب الاول
في فضل العلم واهله الباب الثاني في آداب العالم في نفسه ودرسه
ومع طلبته الباب الثالث في آداب المتعلم في نفسه ومع شيخه و
رفقته الباب الرابع في آداب مصاحبة الكتب وما يتعلق بها
الباب الخامس في آداب سكنى المدارس وما يتعلق بها وقد
سميته تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم والله تعالى يوفقنا للعلم والعمل ويبلغنا
من رضوانه نهايات الامل الباب الاول في فضل العلم والعلماء
وفضل تعليمه وتعلمه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات قال ابن عباس العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام وقال تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم الآية بدأ سبحانه
بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وكفاهم ذلك شرفا وفضلا وجلالة ونبلا وقال تعالى قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال سبحانه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال
عز وجل وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال سبحانه اولئك هم خير البرية الى قوله سبحانه ذلك لمن خشي
ربه فاقتضت الآيتان ان العلماء هم الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية فينتج ان العلماء خير البرية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة
الانبيا وحسبك بهذه الدرجة مجدا وفخرا وبهذه الرتبة شرفا وذكرا فكما لا رتبة فوق

بيان
يفقهه

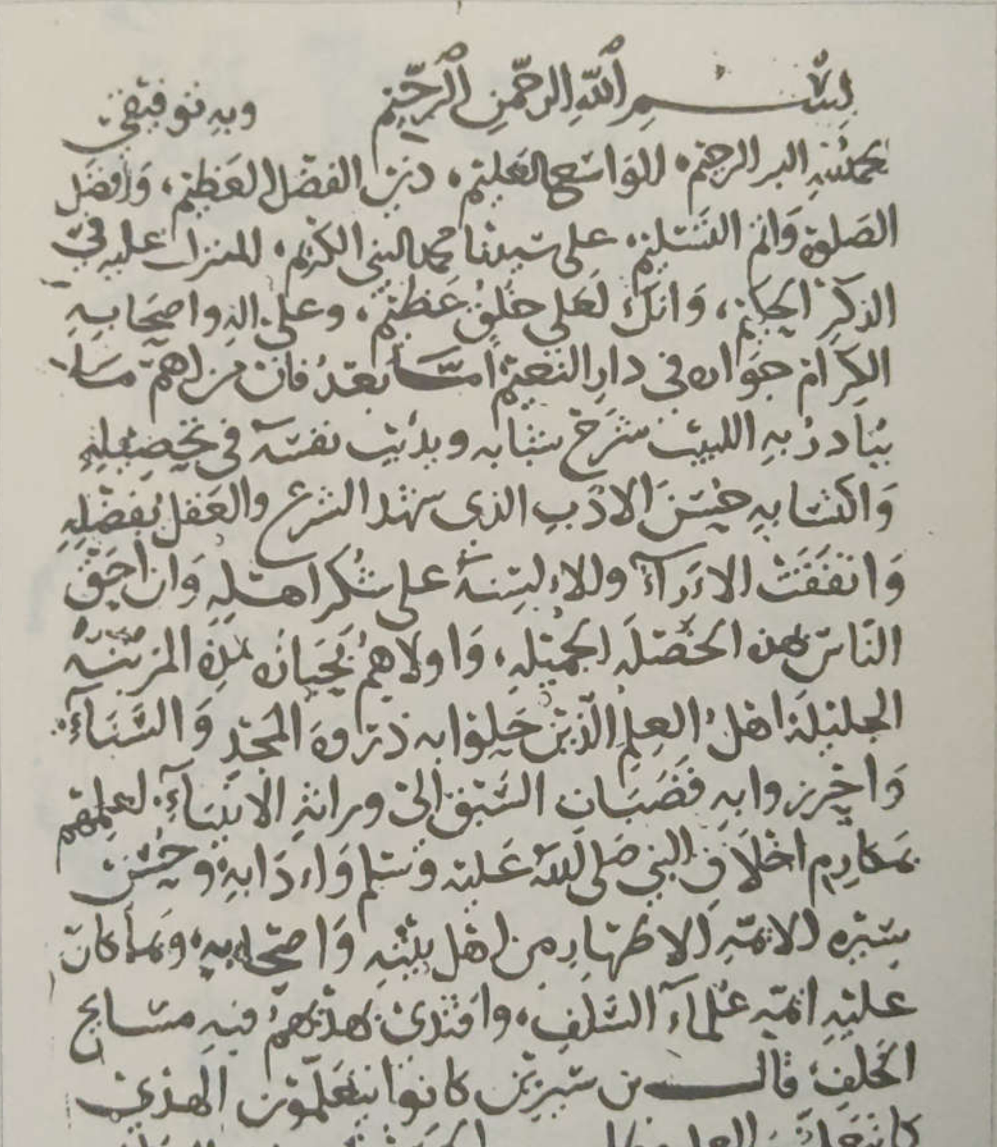
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ب)


قوله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيتا في أعلا الجنة فإن ذلك أقطع للاستظهار
العصب وأبعد من تغير القلوب ويحمد كل من الحاضرين على مبادرة القلب لصاحبه في خلوه عن
الحقد والإثم يقوم وفي نفسه وإذا قام من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم وبحمدك أشهد
أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم اغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت
تم كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
والحمد لله حق حمده كما هو أهله وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذريته
الطاهرين وجميع الأنبياء والمرسلين
فرغ من نسخه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى عبد القادر بن محمد الحجار هذا الكتاب وقت الظهر يوم الخميس السادس والعشرين
من شهر شوال ... سنة خمس وسبعين وسبعمائة أحسن الله عاقبتها بمنه وكرمه
بجاه الحرم المعظم المشرف زاده الله شرفا على الكائنين أفضل الصلاة والسلام لطف الله به ...
وسلوك طريقه بمنه وكرمه

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

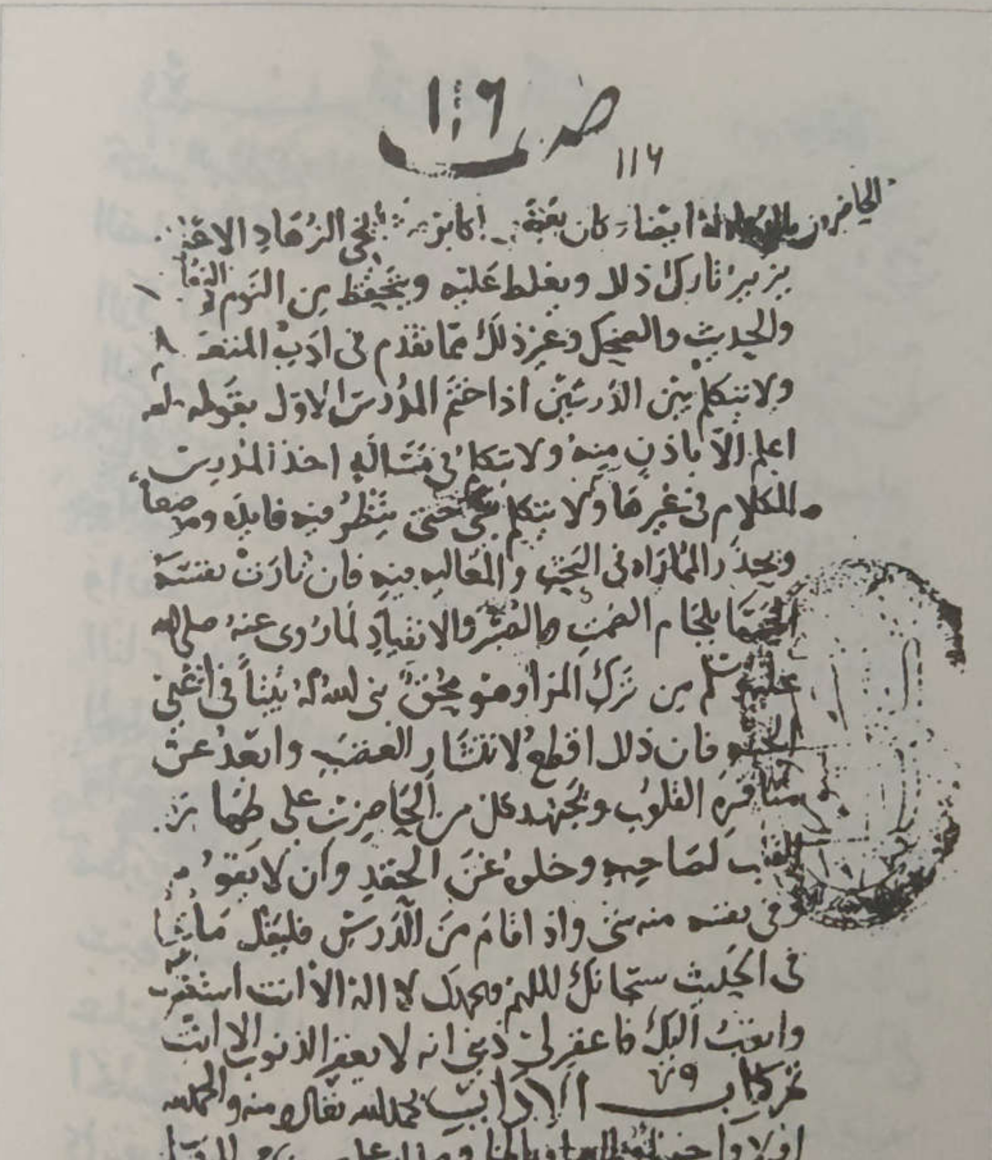

كتاب تذكرة السامع والمتكلم
في أدب العالم والمتعلم
تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ المحدثين
والمحققين مفتي المسلمين ومتولي القضا
بينهم أقضى القضاة بدر الدين بن الشيخ
العارف قدوة الزهاد أبي إسحق
إبراهيم بن الشيخ العارف أبي
الفضل سعد الله بن جماعة
الكناني رحمه الله تعالى
عليه وعلينا
وعليهم
أجمعين
آمين

صورة غلاف النسخة (ر)

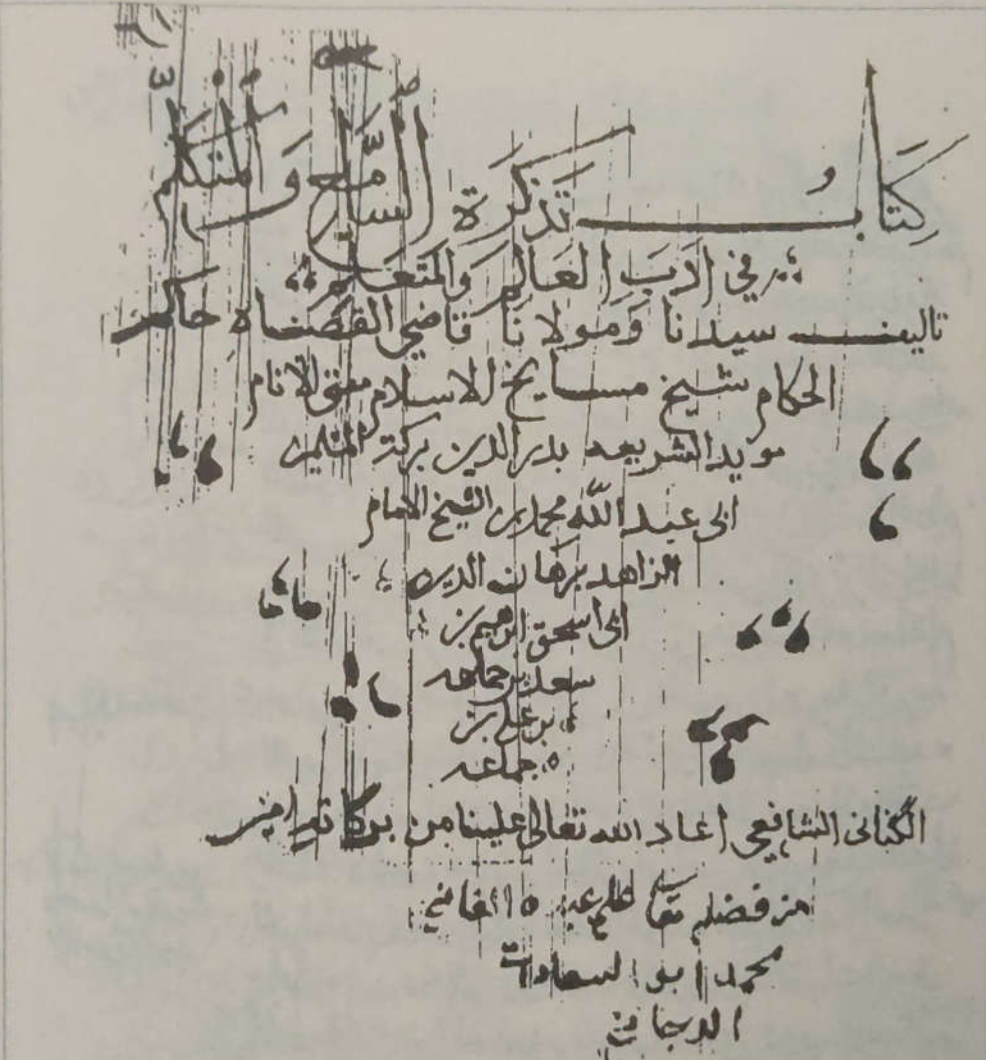


بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي
نحمده البر الرحيم، الواسع العليم، ذي الفضل العظيم، وأفضل
الصلوة وأتم التسليم، على سيدنا محمد النبي الكريم، المنزل عليه في
الذكر الحكيم، وإنك لعلى خلق عظيم، وعلى آله وأصحابه
الكرام جوارهم في دار النعيم، أما بعد فإن من أهم ما
يبادر به اللبيب شرخ شبابه ويدئب نفسه في تحصيله
واكتسابه حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله
واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله وإن أحق
الناس بهذه الخصلة الجميلة، وأولاهم بحيازة هذه المرتبة
الجليلة أهل العلم الذين حلوا به ذروة المجد والسناء
وأحرزوا به قصبات السبق إلى وراثة الأنبياء، لعلمهم
بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وحسن
سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه، وبما كان
عليه أئمة علماء السلف، واقتدى بهديهم فيه مشايخ
الخلف، قال ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدي
كما يتعلمون العلم وقال الحسن إن كان الرجل
ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين وقال

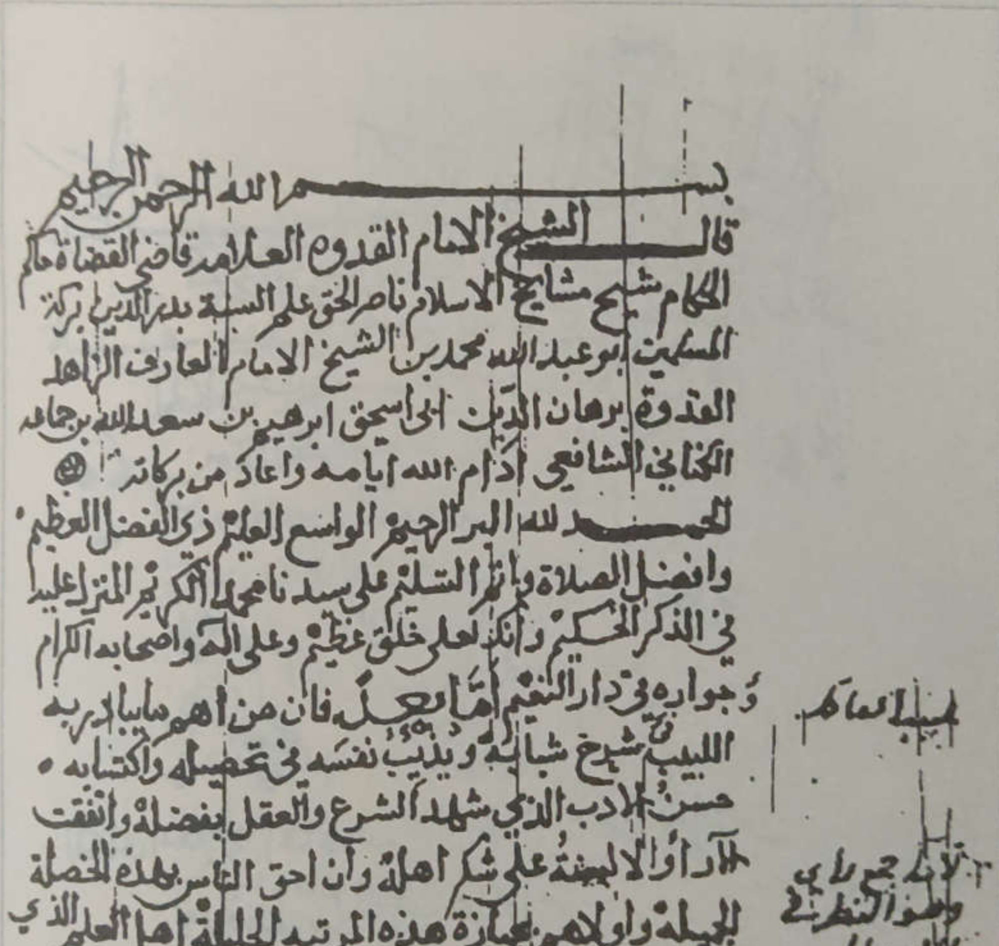
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ر)


ص ١١٦
116
الحاضرين [illegible] ايضا كان [illegible] الزهاد الاخر
بزبر تارك ذلك ويغلظ عليه ويحفظ من النوم [illegible]
والحديث والضحك وغير ذلك مما تقدم في ادب المتعلم
ولا يتكلم بين الدرسين اذا ختم المدرس الاول بقوله والله
اعلم الا باذن منه ولا يتكلم في مسالة اخذ المدرس
الكلام في غيرها ولا يتكلم [illegible] حتى ينظر فيه قايله و[illegible]
ويجتنب المماراة في البحث والمغالبة فيه فان ثارت نفس
احدهما الجام الصمت والصبر والانقياد لما روي عنه صلى الله
عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى
الجنة فان ذلك اقطع لانتشار الغضب وابعد عن
منافرة القلوب ويجتهد كل من الحاضرين على طهارة
القلب لصاحبه وخلوه عن الحقد وان لا يبقى
في نفسه منه شي واذا قام من الدرس فليقل ما [illegible]
في الحديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك فاغفر لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب الا انت
تم كتاب الاداب بحمد الله تعالى ومنه والحمد لله
اولا واخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

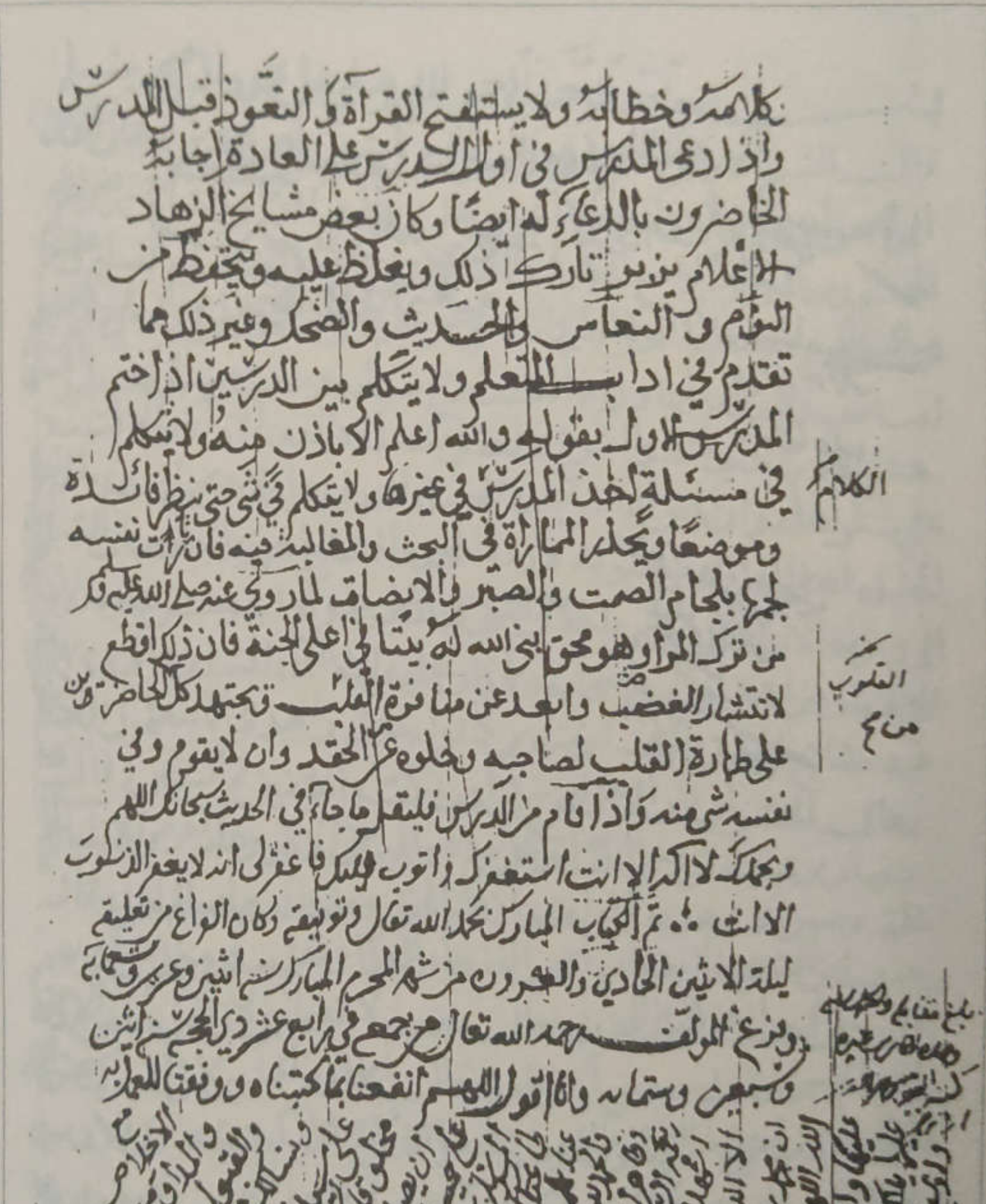
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ر)


كتاب تذكرة السامع والمتكلم
في أدب العالم والمتعلم
تاليف سيدنا ومولانا قاضي القضاه حاكم
الحكام شيخ مشايخ الاسلام ملك الانام
مويد الشريعه بدر الدين بركة المسلمين
ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام
الزاهد برهان الدين
ابي اسحق ابرهيم بن
سعد بن جماعه
بن علي بن
جماعه
الكناني الشافعي اعاد الله تعالى علينا من بركاته امين
محمد ابو السعادات
الدجاني

صورة غلاف النسخة (يه)


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام القدوة العلامة قاضي القضاة حاكم
الحكام شيخ مشايخ الاسلام ناصر الحق علم السنة بدر الدين بركة
المسلمين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام العارف الزاهد
القدوة برهان الدين ابي اسحق ابرهيم بن سعد الله بن جماعة
الكناني الشافعي ادام الله ايامه واعاد من بركاته
الحمد لله البر الرحيم الواسع العليم ذي الفضل العظيم
وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد الكريم المنزل عليه
في الذكر الحكيم وانك لعلى خلق عظيم وعلى آله واصحابه الكرام
وجواره في دار النعيم اما بعد فان من اهم ما يبادر به
اللبيب شرخ شبابه ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه
حسن الادب الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت
الآرا والالسنة على شكر اهله وان احق الناس بهذه الخصلة
الجميلة واولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة اهل العلم الذي
حلوا به ذروة المجد والسنا واحرزوا به قصبات السبق
الى وراثة الانبيا لعلمهم بمكارم اخلاق النبي صلى الله عليه
وسلم وادابه وحسن سيرة الايمة الاطهار من اهل
بيته واصحابه وبما كان عليه ايمة علما السلف واقتدى
بهديهم فيه مشايخ الخلف قال ابن سيرين كانوا يتعلمون

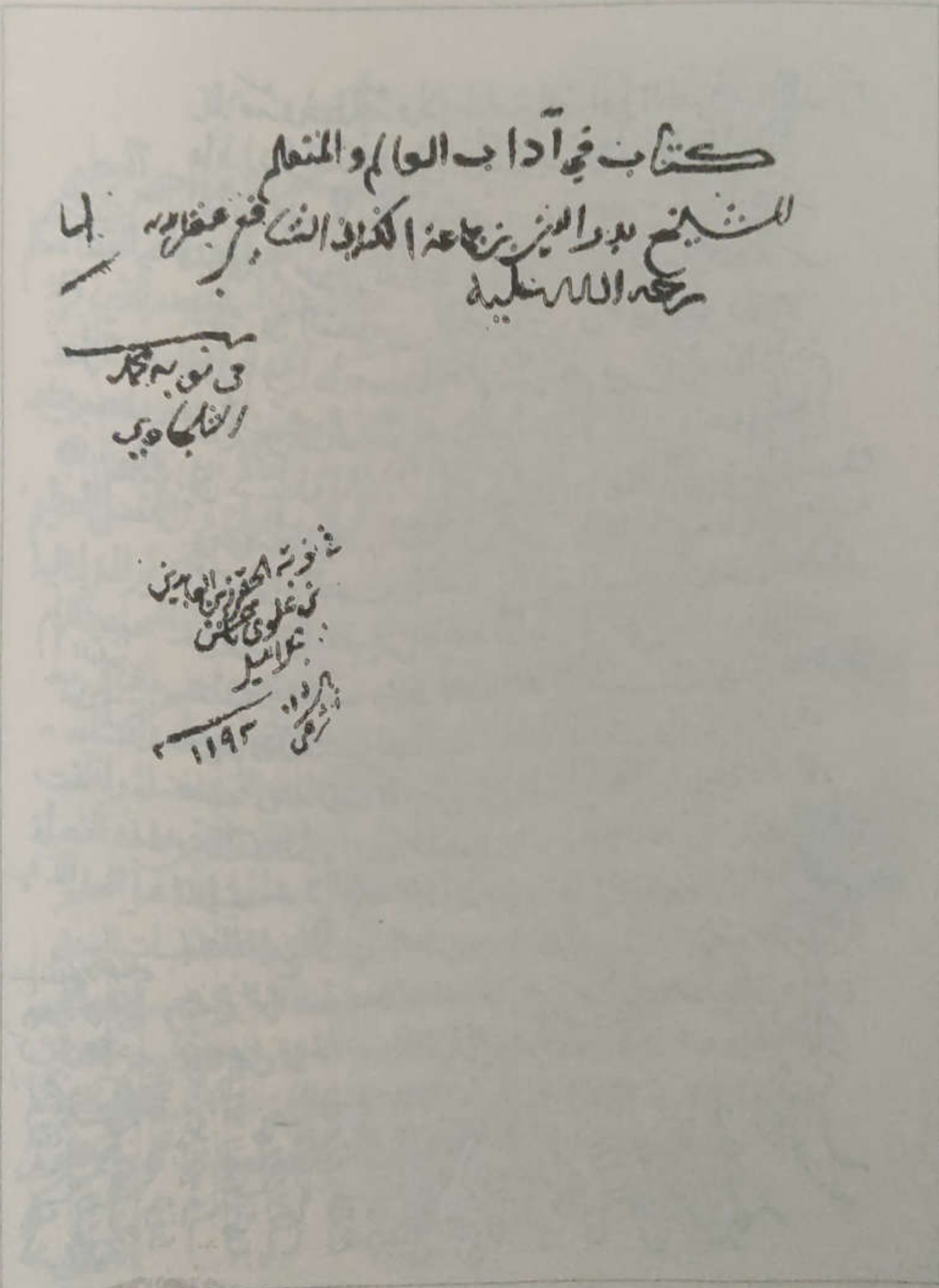
صورة الصفحة الأولى من النسخة (يه)



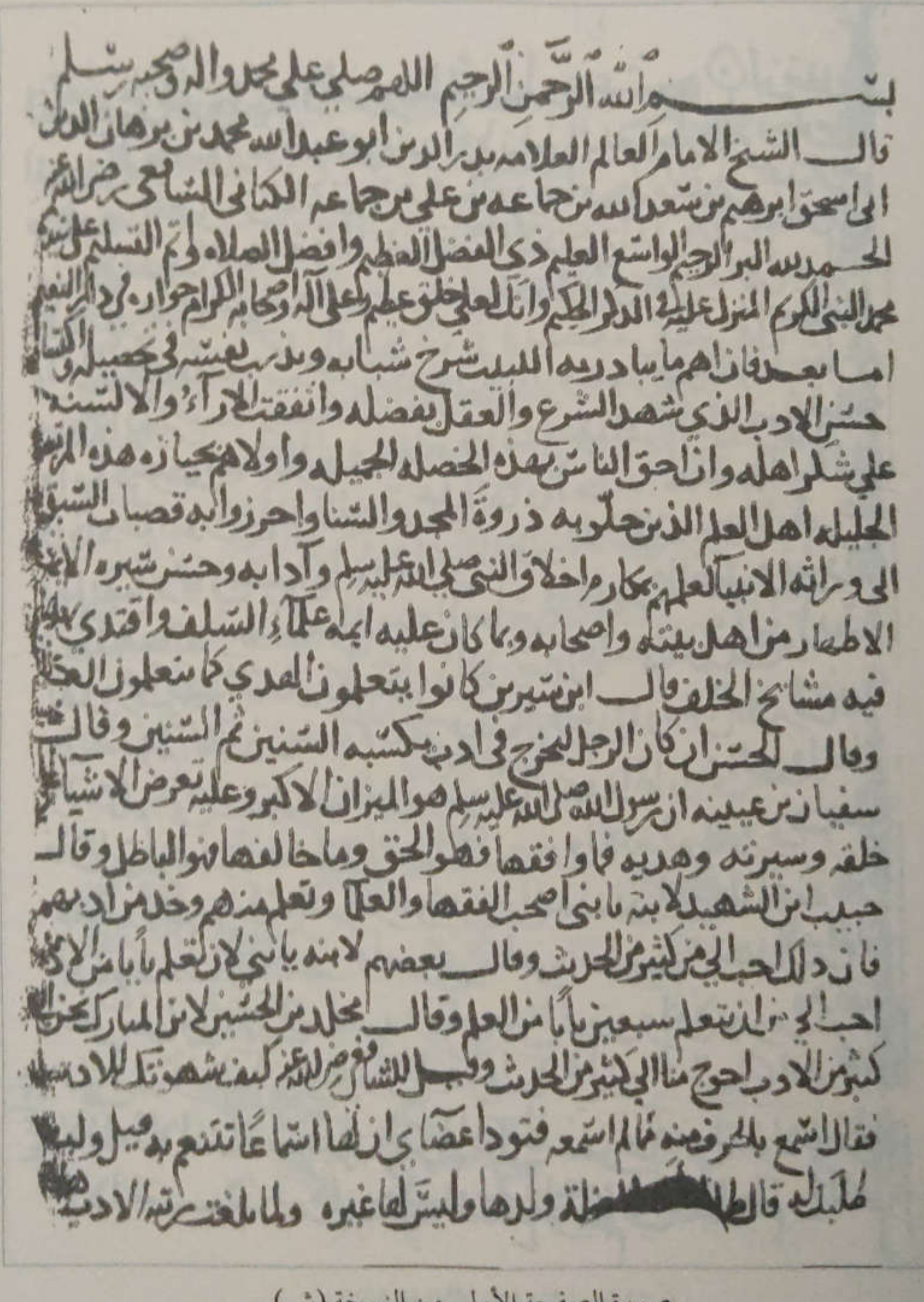
بكلامه وخطابه ولا يستفتح القراءة والتعوذ قبل المدرس
وإذا دعى المدرس في أول الدرس على العادة أجابه
الحاضرون بالدعاء له أيضا وكان بعض مشايخ الزهاد
الأعلام ينوبو تاركا ذلك ويغلظ عليه ويتحفظ من
النوم والنعاس والحديث والضحك وغير ذلك مما
تقدم في آداب المتعلم ولا يتكلم بين الدرسين إذا ختم
المدرس الأول بقوله والله أعلم إلا بإذن منه ولا يتكلم
في مسئلة لأحد المدرسين في غيرها ولا يتكلم في شيء حتى ينظر فائدة
وموضعا ويحذر المماراة في البحث والمغالبة فيه فإن رأت نفسه
لجمها بلجام الصمت والصبر والإنصاف لما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة فإن ذلك أقطع
لانتشار الغضب وأبعد عن منافرة القلب ويجتهد كل الحاضرين
على طهارة القلب لصاحبه وخلوه عن الحقد وأن لا يقوم وفي
نفسه شيء منه وإذا قام من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم
وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب
إلا أنت .·. تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وتوفيقه وكان الفراغ من تعليقه
ليلة الاثنين الحادي والعشرون من شهر المحرم المبارك سنة اثنين وعشرين وستمائة
وفرغ المؤلف رحمه الله تعالى من جمعه في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنين
وسبعين وستمائة وأنا أقول اللهم انفعنا بما كتبناه ووفقنا للعمل به

الكلام

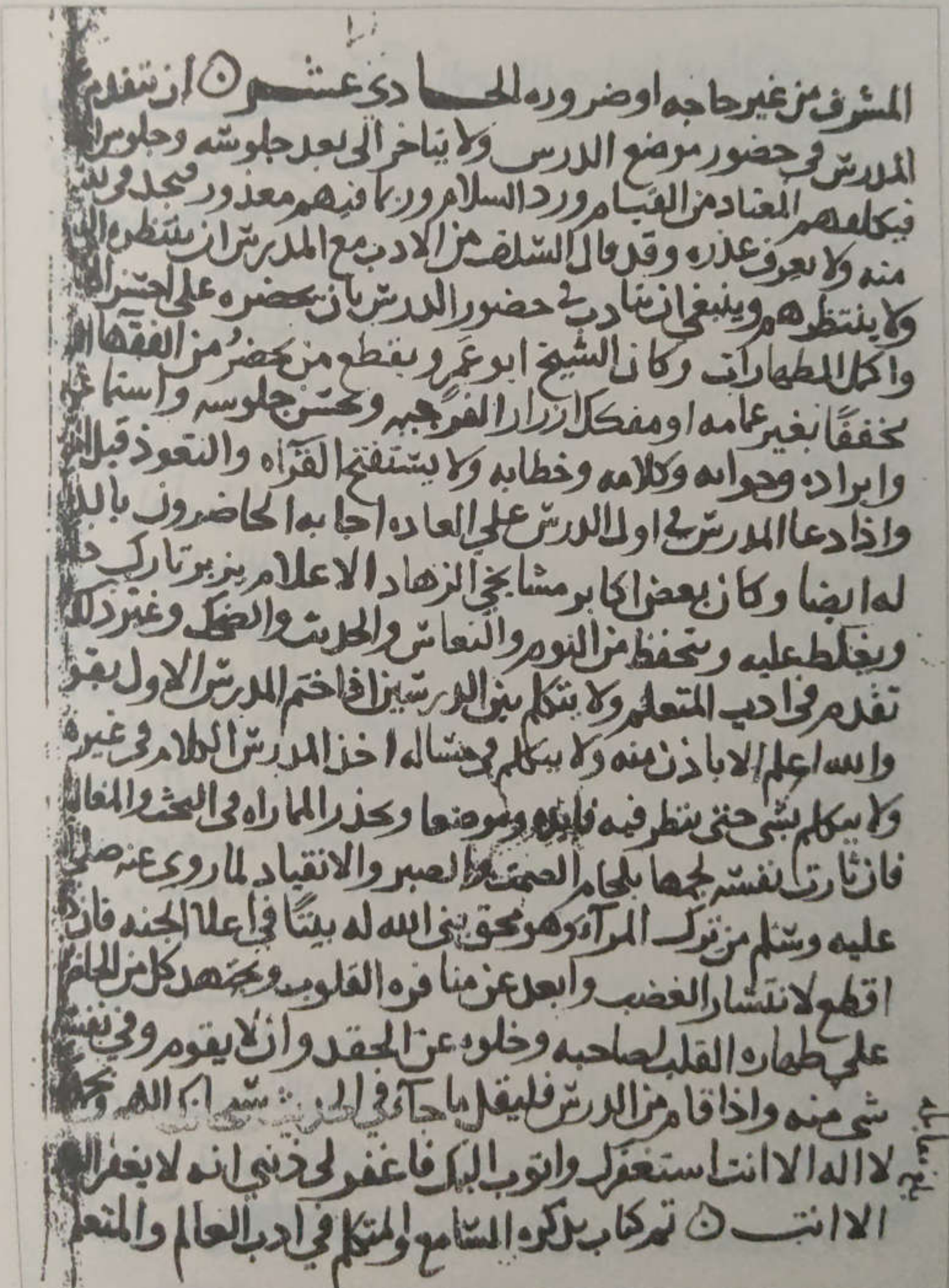
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (يه)


كتاب في آداب العالم والمتعلم
للشيخ بدر الدين بن جماعة الكناني الشافعي
رحمه الله تعالى

صورة غلاف النسخة (ش)

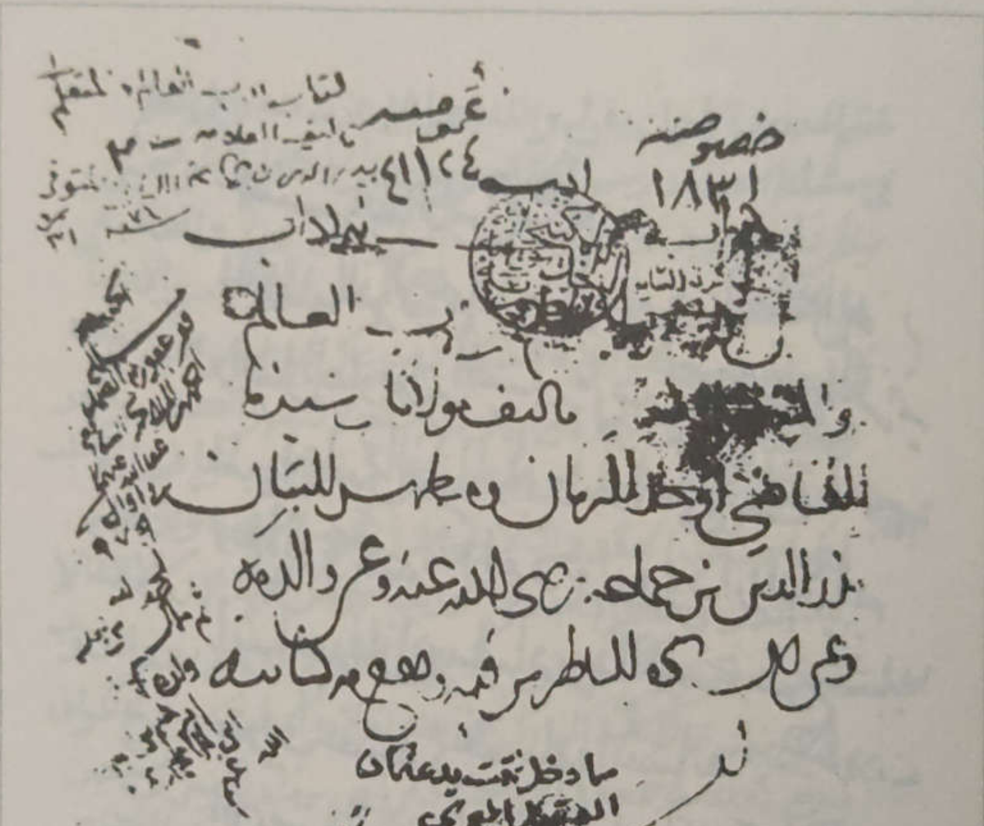

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي على محمد وآله وصحبه وسلم
قال الشيخ الامام العالم العلامه بدر الدين ابو عبد الله محمد بن برهان الدين
ابي اسحق ابرهيم بن سعد الله بن جماعه بن علي بن جماعه الكناني الشافعي رضي الله عنه
الحمد لله البر الرحيم الواسع العليم ذي الفضل العظيم وافضل الصلاه واتم التسليم على سيدنا
محمد النبي الكريم المنزل عليه في الذكر الحكيم وانك لعلي خلق عظيم وعلى آله وصحابته الكرام احراز جوار ربهم في دار النعيم
اما بعد فان اهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه
حسن الادب الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت الآراء والالسنة
علي شكر اهله وان احق الناس بهذه الخصله الجميله واولاهم بحيازه هذه المرتبه
الجليله اهل العلم الذين حلوا به ذروة المجد والسنا واحرزوا به قصبات السبق
الى وراثه الانبيا لعلمهم بمكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وحسن سيره الائمه
الاطهار من اهل بيته واصحابه وبما كان عليه ايمه علماء السلف واقتدي بهديهم
فيه مشايخ الخلف قال ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم
وقال الحسن ان كان الرجل ليخرج في ادب نفسه السنين ثم السنين وقال
سفيان بن عيينه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الاكبر وعليه تعرض الاشيا على
خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل وقال
حبيب بن الشهيد لابنه يا بني اصحب الفقها والعلما وتعلم منهم وخذ من ادبهم
فان ذلك احب الي من كثير من الحديث وقال بعضهم لابنه يا بني لان تتعلم بابا من الادب
احب الي من ان تتعلم سبعين بابا من العلم وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك نحن الى
كثير من الادب احوج منا الى كثير من الحديث وقيل للشافعي رضي الله عنه كيف شهوتك للادب
فقال اسمع بالحرف منه مما لم اسمعه فتود اعضاي ان لها اسماعا تتنعم به قيل وكيف
طلبك له قال طلب [illegible] المضلة ولدها وليس لها غيره ولما بلغت رتبة الادب

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ش)

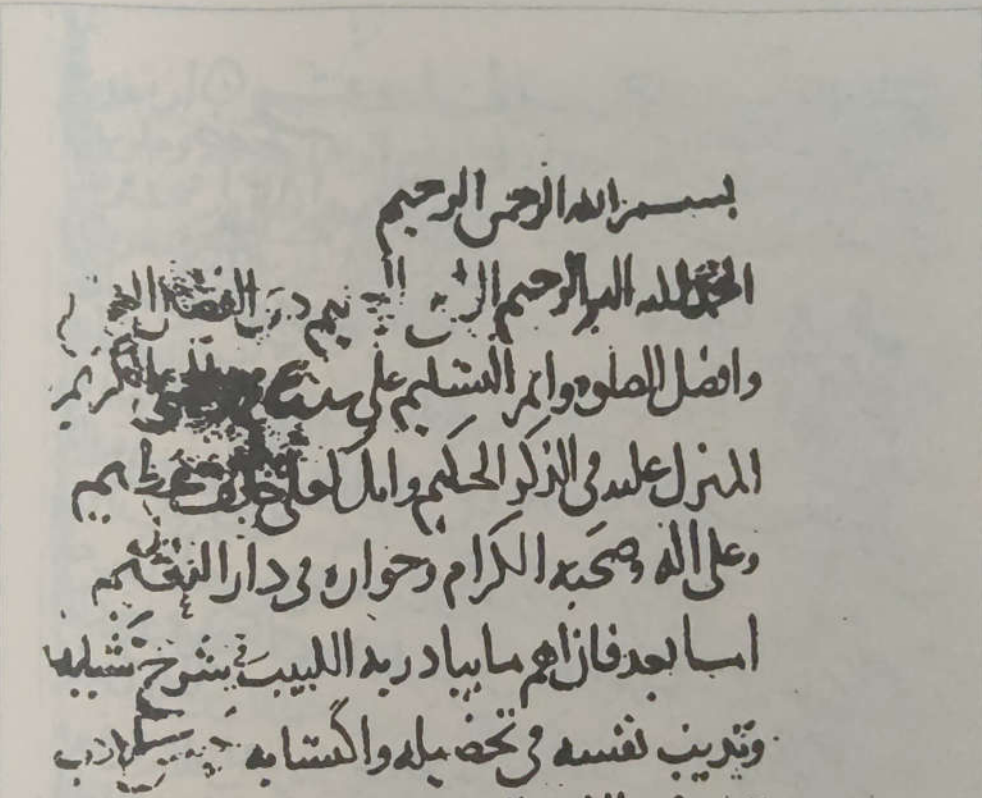


المشرف من غير حاجه او ضروره الحادي عشر ○ ان يتقدم
المدرس في حضور موضع الدرس ولا يتاخر الى بعد جلوسه وجلوس [illegible]
فيكلفهم المعتاد من القيام ورد السلام وربما فيهم معذور ويجد في نفسه
منه ولا يعرف عذره وقد قال السلف من الادب مع المدرس ان ينتظروه الى
ولا ينتظرهم وينبغي ان يتادب في حضور الدرس بان يحضره على احسن الـ[illegible]
واكمل الطهارات وكان الشيخ ابو عمرو يقطع من يحضر من الفقهاء
محففًا بغير عمامه او مفكك ازرار الفرجيه ويحسن جلوسه واستماعه
وايراده وجوابه وكلامه وخطابه ولا يستفتح القراءه والتعوذ قبل الـ[illegible]
واذا دعا المدرس في اول الدرس على العاده اجابه الحاضرون بالـ[illegible]
له ايضا وكان بعض اكابر مشايخي الزهاد الاعلام يزيد تبارك [illegible]
ويغلظ عليه ويتحفظ من النوم والنعاس والحديث والضحك وغير ذلك
تقدم في ادب المتعلم ولا يتكلم بين الدرسين اذا ختم المدرس الاول بقوله
والله اعلم الا باذن منه ولا يتكلم في مساله اخذ المدرس الكلام في غيرها
ولا يتكلم بشي حتى ينظر فيه فايدته وموضعه ويحذر المماراه في البحث والمغالبه
فان ثارت نفسه لجمها بلجام الصمت [illegible] الصبر والانقياد لما روي عنه صلى
عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلا الجنه فانه
اقطع لانتشار الغضب وابعد عن منافره القلوب ويجتهد كل من الحاضرين
على طهاره القلب لصاحبه وخلوه عن الحقد وان لا يقوم وفي نفسه
شي منه واذا قام من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فاغفر لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ○ تم كتاب تذكره السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ش)

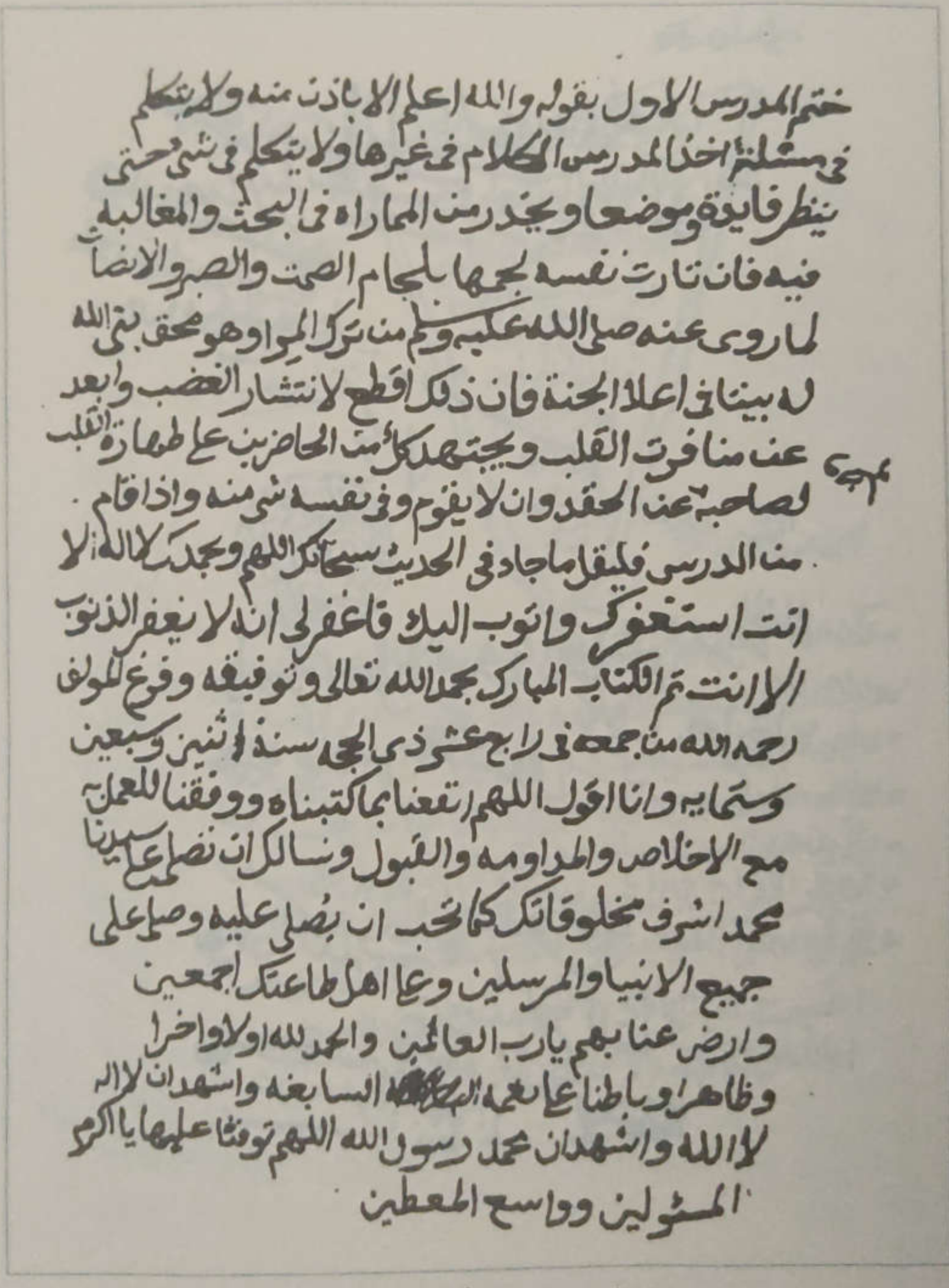


صورة غلاف النسخة (د)



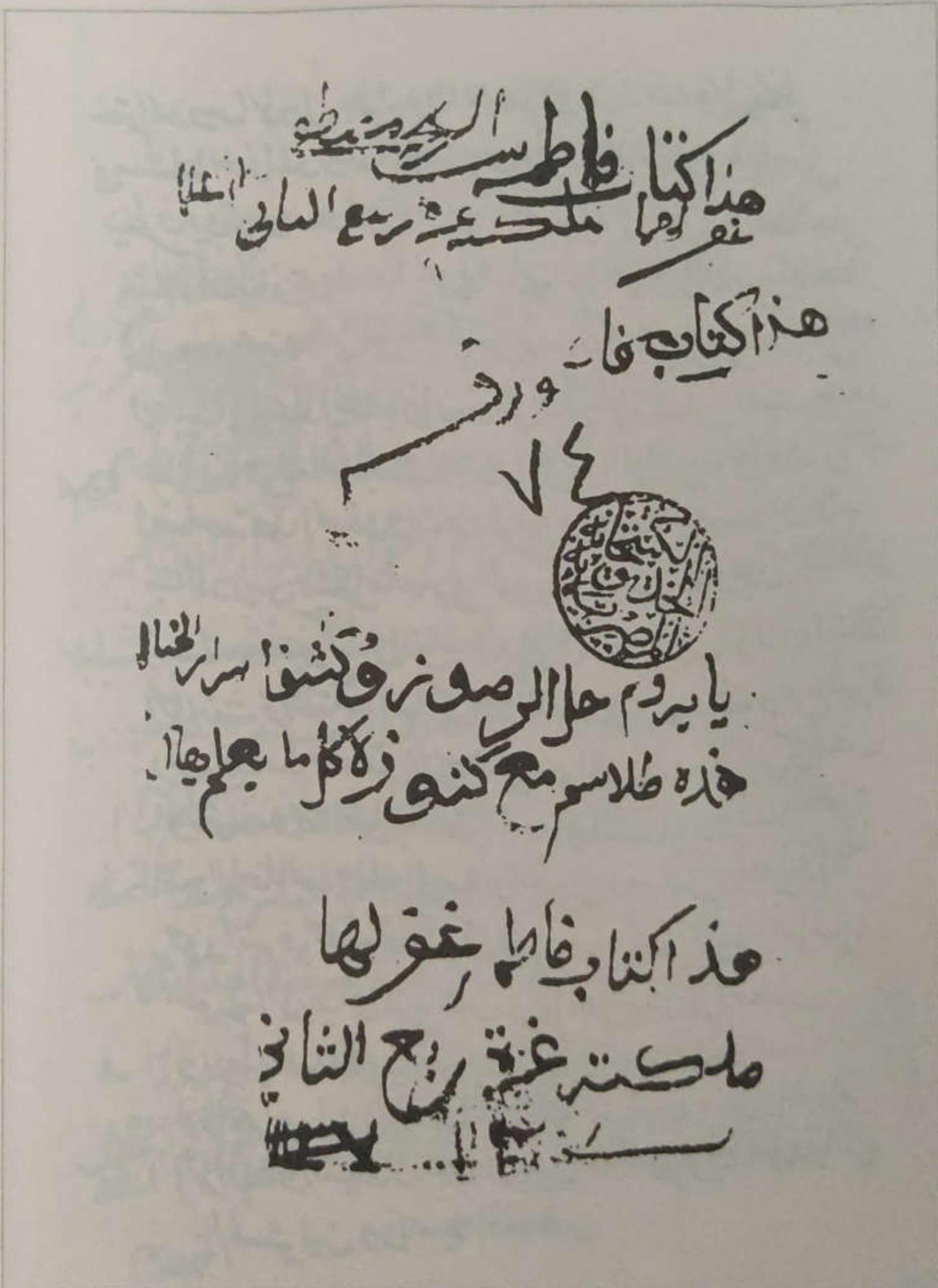
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله البر الرحيم الرب ... العظيم
وافضل الصلوة واتم التسليم على سيدنا محمد الكريم
المنزل عليه في الذكر الحكيم وانك لعلى خلق عظيم
وعلى اله وصحبه الكرام وجواره في دار النعيم
اما بعد فان اهم ما يبادر به اللبيب في شرخ شبيبته
وتدريب نفسه في تحصيله واكتسابه حسن الادب
الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت الاراء
والالسنة على شكر اهله وان احق الناس بهذه الخصلة
الجميلة واولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة اهل
العلم الذين حلوا به ذروة المجد والسنا واحرزوا به
قصبات السبق الى وراثة الانبيا لعلمهم بمكارم اخلاق
النبي

صورة الصفحة الأولى من النسخة (د)

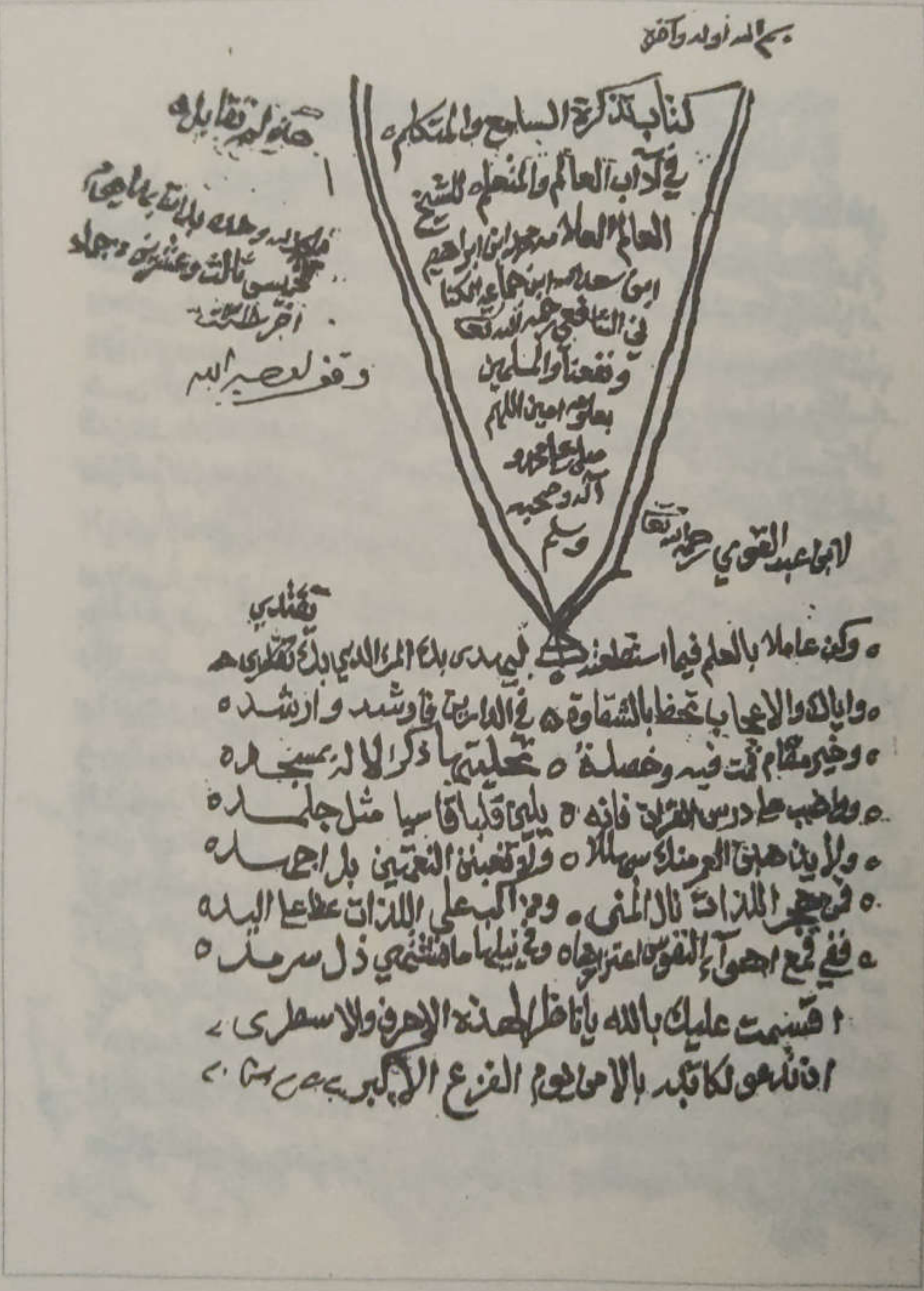


ختم المدرس الاول بقوله والله اعلم الا باذن منه ولا يتكلم
في مشكلة اخذ المدرس الكلام في غيرها ولا يتكلم في شي حتى
ينظر فايدة وموضعا ويحذر من المماراه في البحث والمغالبه
فيه فان ثارت نفسه لجمها بلجام الصمت والصبر والانصات
لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بنى الله
له بيتا في اعلا الجنة فان ذلك اقطع لانتشار الغضب وابعد
عن منافرت القلب ويجتهد كل من الحاضرين على طهارة القلب
لصاحبه عن الحقد وان لا يقوم وفي نفسه شي منه واذا قام
من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت استغفرك واتوب اليك فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وتوفيقه وفرغ المولف
رحمه الله من جمعه في رابع عشر ذي الحجه سنة اثنين وسبعين
وستمايه وانا اقول اللهم انفعنا بما كتبناه ووفقنا للعمل به
مع الاخلاص والمداومه والقبول ونسالك ان تصلي على سيدنا محمد
محمد اشرف مخلوقاتك كما تحب ان يصلى عليه وصلى على
جميع الانبيا والمرسلين وعلى اهل طاعتك اجمعين
وارض عنا بهم يا رب العالمين والحمد لله اولا واخرا
وظاهرا وباطنا على نعمه السابغه واشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمد رسول الله اللهم توفنا عليها يا اكرم
المسئولين وواسع المعطين

صورة الصفحة قبل الأخيرة من النسخة (د)


هذا الكتاب
هذا الكتاب
يا من يروم حل الرموز وكشف أسرار
هذه طلاسم مع كنوز
هذا الكتاب
ملك

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (د)


بسم الله أوله وآخره

كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم للشيخ العالم العلامة محمد بن ابراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين بعلومه آمين اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم

لابن عبد القوي رحمه الله تعالى

وكن عاملا بالعلم فيما استطعته ليهدى بك المرء الذي بك يقتدي

وخير مقام قمت فيه وخصلة تحليتها ذكر الاله بمسجد

ولا يذهبن العمر منك سبهللا ولا تغبنن النعمتين بل اجهد

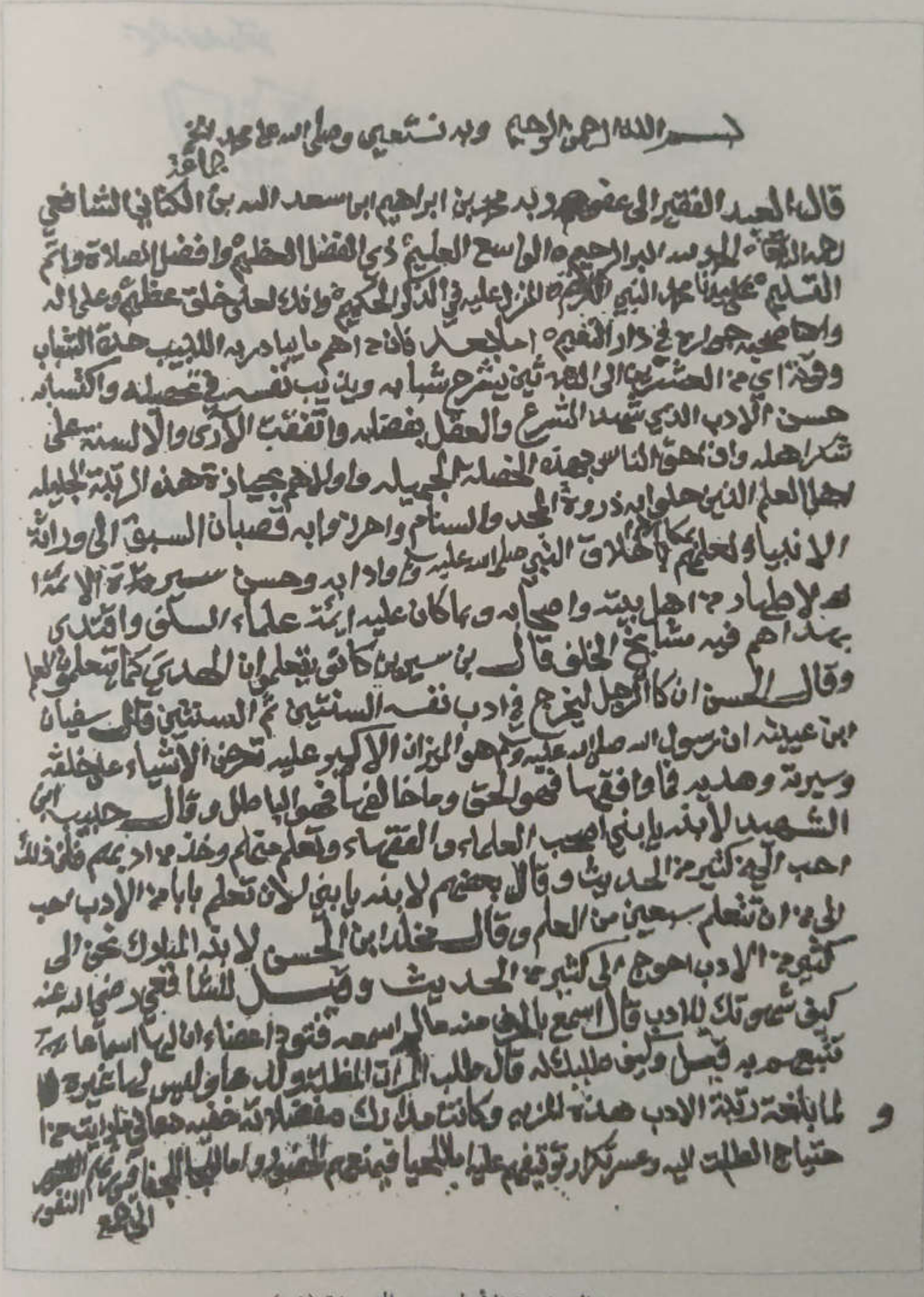
فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكب على اللذات عض على اليد

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها وفي نيلها ما تشتهي ذل سرمد

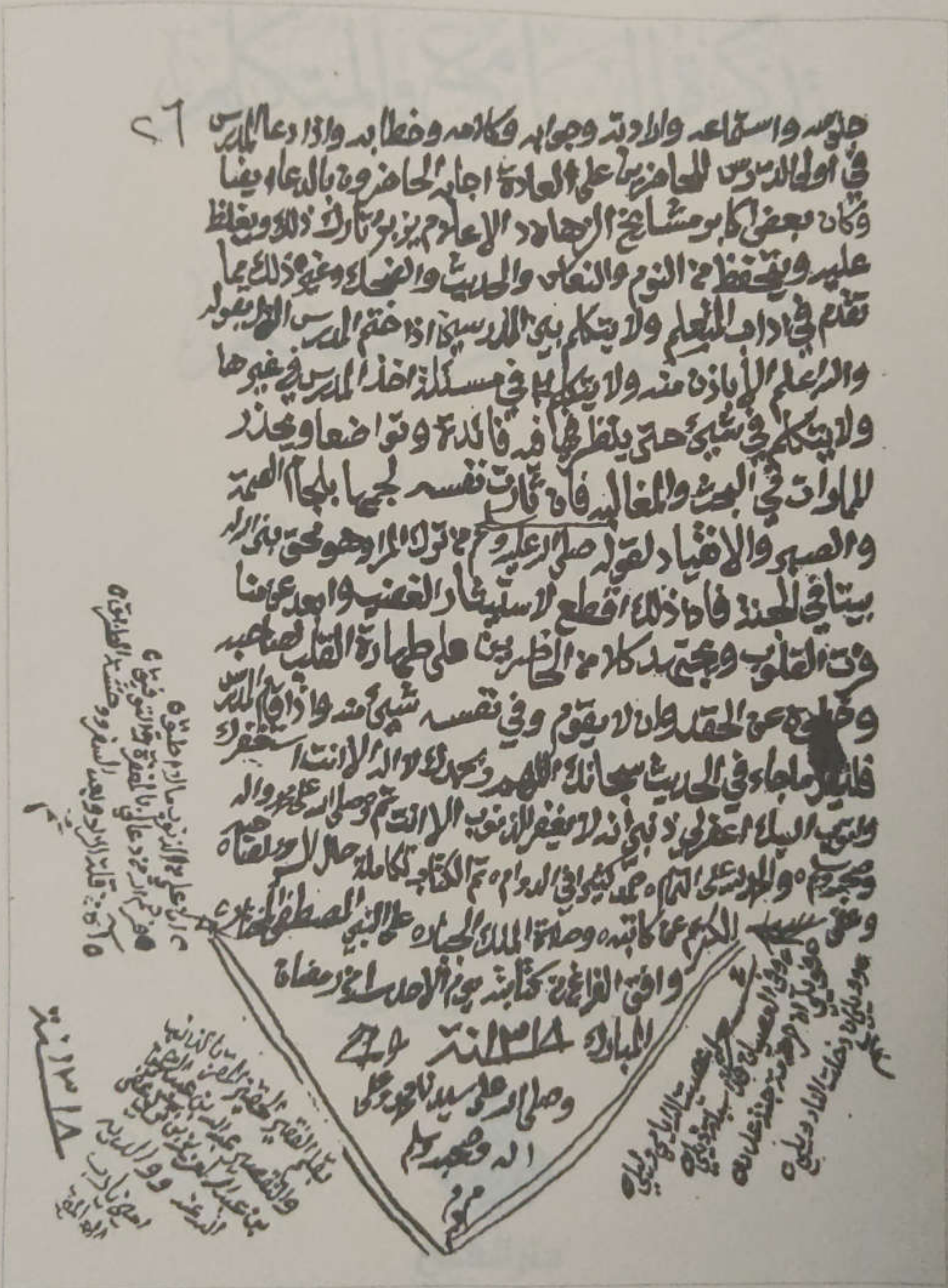
اقسمت عليك بالله يا ناظر هذه الاحرف والاسطر

ان تدعو لكاتبها بالامان يوم الفزع الاكبر

صورة غلاف النسخة (ف)


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على محمد النبي
وآله
قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي
رحمه الله تعالى الحمد لله البر الرحيم الواسع العليم ذي الفضل العظيم وأفضل الصلاة وأتم
التسليم على سيدنا محمد النبي الكريم المنزل عليه في الذكر الحكيم وإنك لعلى خلق عظيم وعلى آله
وأصحابه جوارح في دار النعيم أما بعد فإن من أهم ما يبادر به اللبيب شرخ الشباب
وفيه أي من العشرين إلى الثلاثين شرخ شبابه ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه
حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت الآراء والألسنة على
شكر أهله وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة وأولاهم بحيازة هذه الرتبة الجليلة
أهل العلم الذين حلوا به ذروة المجد والسناء وأحرزوا به قصبات السبق إلى وراثة
الأنبياء لعلمهم بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وحسن سيرة الأئمة
الأطهار من أهل بيته وأصحابه وبما كان عليه أئمة علماء السلف واقتدى
بهديهم فيه مشايخ الخلف قال ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم
وقال الحسن إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين قال سفيان
بن عيينة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الأكبر وعليه تعرض الأشياء على خلقه
وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل وقال حبيب بن
الشهيد لابنه يا بني اصحب العلماء والفقهاء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك
أحب إلي من كثير من الحديث وقال بعضهم لابنه يا بني لأن تتعلم بابا من الأدب أحب
إلي من أن تتعلم سبعين بابا من العلم وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك نحن إلى
كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث وقيل للشافعي رضي الله عنه
كيف شهوتك للأدب قال أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا
تتنعم به قيل وكيف طلبك له قال طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره
ولما بلغت رتبة الأدب هذه المزية وكانت مدارك مفصلاته خفية دعت الحاجة إلى
احتياج الطلبة إليه وعسر تكرار توقيفهم عليه بالحياء فيمنعهم الحضور وأما الجفاء فيورثهم
النفور
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ف)


جلوسه واستماعه والادب وجوابه وكلامه وخطابه واذا دعا المدرس
في اول الدروس للحاضرين على العادة اجابه الحاضرون بالدعا ايضا
وكان بعض اكابر مشايخ الزهاد لا يعلم من يرى تارك ذلك ويغلظ
عليه ويتحفظ من النوم والنعاس والحديث والضحك وغير ذلك مما
تقدم في اداب المتعلم ولا يتكلم بين الدرسين اذا ختم المدرس الدرس بقوله
والله اعلم الا باذن منه ولا يتكلم في مسئلة اخذ المدرس في غيرها
ولا يتكلم في شيء حتى ينظر هل فيه فائدة وتواضعا ويحذر
للمراء في البحث والمغالبة فان [illegible] نفسه لجمها بلجام الصمت
والصبر والانقياد لقوله صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بني له
بيتا في الجنة فان ذلك اقطع لاستيثار الغضب وابعد عن منافرة
القلوب ويجتهد كلا من الحاضرين على طهارة القلب لصاحبه
وخلوه عن الحقد وان لا يقوم وفي نفسه شيء منه واذا فرغ الدرس
فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك اغفر لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم والحمد لله حمدا كثيرا في الدوام تم الكتاب بكامله [illegible]
[illegible] الكريم عن كاتبه وصلاة الملك الجبار على النبي المصطفى المختار
ووافق الفراغ من كتابته يوم الاحد [illegible] رمضان
المبارك سنة ١٢٨١
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ف)

تذكرة السامع والمتكلم
في
أدب العالم والمتعلم

تصنيف شيخ الإسلام

بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني

المتوفى سنة ٧٣٣هـ رحمه الله تعالى

حققه عن ثماني نسخ خطية

فادي المغربي

علق عليه من واقع الحياة العلمية

د. عبد الإله بن حسين العرفج

دار الفتح

للدراسات والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[1]

الحمدُ لله البرِّ الرَّحيم، الواسعِ العليم، ذي الفضلِ العظيم[2]، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التَّسليم، على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ[3] الكريم، المنزَّلِ عليه في الذِّكرِ الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وعلى آلِهِ وأصحابِه الكرام، جِوارِه[4] في دار النَّعيم.

---

(١) بعدها في (ر): «وبه توفيقي».
وبعدها في (س): «وبه أثق، قال الشيخُ الإمامُ القدوةُ العلّامة، قاضي القضاة، حاكمُ الحكّام، شيخ الإسلام، مؤيّدُ الشريعة المحمدية، ناصرُ الملّة الحنيفيّة، أبو عبد الله محمَّد ابنُ الشَّيخِ الصَّالح القدوةِ برهانِ الدين، أبي إسحاق، إبراهيمَ بن سعدِ الله بنِ جماعةَ بنِ عليّ بن جماعة، الكنانيُّ الشّافعيّ، أفاد اللهُ به الطّالبين، ونفع به المسلمين».
وبعدها في (ظ): «وصلى الله على سيدنا محمد وآله».
وبعدها في (يه): «قال الشيخُ الإمامُ القدوةُ العلّامة، قاضي القضاة، حاكمُ الحكّام، شيخ مشايخِ الإسلام، ناصرُ الحقّ، عَلَمُ السُّنّة، بدرُ الدِّين، بركةُ المسلمين، أبو عبد الله، محمد ابن الشيخِ الإمام العارفِ الزّاهدِ القدوة برهان الدِّين أبي إسحاق إبراهيم بنِ سعدِ الله بنِ جماعة الكِنانيُّ الشّافعيُّ، أدامَ اللهُ أيّامه، وأعادَ من بركاته».
وبعدها في (ش): «اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله وصحبه وسلِّم، قال الشيخ الإمام العالم العلّامة بدرُ الدِّين أبو عبد الله محمَّدُ بنُ برهانِ الدِّين أبي إسحاق إبراهيمَ بنِ سعدِ الله بن جماعةَ بنِ عليِّ بنِ جماعةَ الكنانيُّ الشّافعيُّ رضي الله عنه».
وبعدها في (ف): «وبه نستعين، وصلى الله على محمَّد إلخ، قال العبدُ الفقيرُ إلى عفو ربِّه، محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعدِ الله بنِ جماعةَ الكنانيُّ، الشّافعيُّ رحمه الله تعالى».
(٢) قوله: «ذي الفضل العظيم» ليس في (س).
(٣) في (ظ): «نبيه»، وليست في (يه).
(٤) في نسخة كما في (يه): «وجواره».

أمّا بعدُ[(١)]،

فإنَّ مِن[(٢)] أهمِّ ما يُبادِرُ به اللَّبيب[(٣)] شَرْخَ[(٤)] شبابِه[(٥)]، ويُذيبُ[(٦)] نفسَه في تحصيله واكتسابِه: حسنَ الأدبِ؛ الذي شهِدَ الشَّرعُ والعقلُ بفضلِه، واتَّفقَتِ الآراءُ والألسنةُ على شكرِ أهله، وإنَّ أحقَّ النّاسِ بهذه الخَصلةِ الجميلة،

---

(١) **قال عبد الإله**: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فإن هذا الكتاب يتناول قضية مهمة مرتبطة بطلب العلم الشرعي وتحملِه، وأدائه وبذلِه، ألا وهي قضية الأدب مع كل ما يتصل بالعلم الشرعي: علمائه وطلابِه، ومدارسه وكتبِه، وقد سُمِّي الأدب أدبًا لأنه يأدِب الناس - أي يدعوهم - إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدْب الدعاء، ومنه قيل لطعام الوليمة التي يُدعى إليها الناس: مدعاة ومأدُبة، وللأدب شأن عظيم في الإسلام، فقد قيل: «الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت»، وقيل: «الفضل بالعقلِ والأدب، لا بالأصل والنسب؛ لأن من ساء أدبُه ضاع نسبُه، ومن ضل عقلُه ضل أصلُه»، وقيل: «حسن الأدب يستر قبيح النسب»، وقال رُوَيم البغدادي رحمه الله (ت٣٠٣هـ) لابنه: «اجعل عملك ملحًا، وأدبك دقيقًا»، فعلَّق الإمام القرافي رحمه الله (ت ٦٨٤هـ) عليه فقال (الفروق، ٣: ٩٥): «أي استكثر من الأدب، حتى تكون نسبته في الكثرة نسبة الدقيق إلى الملح، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح خير من كثير من العمل مع قلة الأدب». وهذه التعليقات التي ستقرؤها - أيها القارئ الكريم - لن تقدم شرحًا لغويًا أو تأصيلًا نظريًا لما سيذكره المؤلف، بل إنها ستقدم أمثلة عملية وتطبيقات واقعية مستمدة من مسيرة الحياة العلمية في الأحساء عمومًا، ومن سيرة شيخنا الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان رحمه الله (١٣٣٢-١٤٣٤هـ) خصوصًا، وهو مقصودي إذا قلت: شيخنا، وتجد كثيرًا من أخباره في كتابي: «الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان مجدد المدرسة الشافعية في الأحساء».

(٢) لفظ: «من» ليس في (د) و(ش) و(ظ).

(٣) وقع في هامش (يه) ما نصه: «اللبيب: العاقل».

(٤) في نسخة كما في (يه): «في شرخ».

(٥) شرخُ الشَّباب: أوَّلُه. «مختار الصحاح»: (شرخ).

(٦) في (ر): «ويذئب».

وأولاهم بحيازةِ هذه المرتبة الجليلة، أهلُ العلم؛ الذين حَلُّوا به ذُروةَ المجدِ والسَّناء، وأحرَزوا به قَصَباتِ السَّبقِ إلى وراثة الأنبياء؛ لِعِلْمهم بمكارمِ أخلاق النَّبيِّ ﷺ وآدابه، وحسنِ سيرةِ الأئمَّة الأطهار مِن أهل بيتِه وأصحابه، وبما كان عليه أئمّة علماءِ السَّلفِ، واقتدى بهديِهم فيه مشايخُ الخلف.

قال ابنُ سِيرِين[1]: «كانوا يَتعلَّمون الهديَ كما يَتعلَّمون العِلمَ»[2].

وقال الحَسَن[3]: «إنْ كان الرَّجلُ ليَخرجُ في أدبٍ يَكسِبهُ[4] السَّنتين ثمَّ السَّنتين»[5].

وقال سفيانُ بنُ عُيينة[6]: «إنَّ رسولَ الله ﷺ هو الميزانُ الأكبر، وعليه تُعرضُ الأشياءُ؛ على خُلُقِه وسيرتِه وهديِهِ، فما وافقَها فهو الحقُّ، وما خالفَها فهو الباطلُ»[7].

---

(١) هو التّابعيُّ الجليل، الفقيهُ العالمُ الورِعُ، محمَّدُ بن سيرين الأنصاري، الأنسيُّ البصريُّ، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، توفّي سنة (١١٠هـ). انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤: ٦٠٦-٦٢١).

(٢) أخرجه الخطيب البغداديُّ في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٩). والهَديُ: السِّيرة. انظر «الصحاح»: (هدى).

(٣) هو التّابعيُّ الجليل، العابدُ النّاسك، الفقيهُ الحجّة المأمون، أبو سعيد، الحسنُ بن أبي الحسن يسار، مولى زيدِ بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه، توفّي سنة (١١٠هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤: ٥٦٣-٥٨٨).

(٤) في (ر) و(ف): «نفسه» بدل: «يكسبه».

(٥) في (ظ) و(ش): «السنين ثم السنين»، وفي (يه): «السنتين ثم السنين».

(٦) هو أبو محمد، شيخُ الإسلام وحافظُ العصر، سفيانُ بن عُيينة الهلاليُّ، الكوفيُّ ثمَّ المكّيُّ، جمع وصنَّف، وعُمِّر دهرًا، وانتهى إليه علوُّ الإسناد، توفّي سنة (١٩٨هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨: ٤٥٤-٤٧٥).

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨).

وقال حبيبُ بنُ الشَّهيد لابنِه[١]: «يا بنيَّ، اصحبِ الفقهاءَ والعلماء، وتَعلَّم مِنهم، وخُذ مِن أدبِهم؛ فإنّ ذلك أحبُّ إليَّ مِن كثيرٍ مِن الحديث»[٢].

وقال بعضُهم لابنِه: «يا بنيَّ، لأن تعلمَ[٣] بابًا من الأدب أحبُّ إليَّ مِن أن تتعلَّمَ سبعين بابًا من[٤] العلم».

وقال مَخْلَدُ بنُ الحسين[٥] لابن المبارك[٦]: «نحن إلى كثيرٍ مِن الأدبِ أحوجُ منّا إلى كثيرٍ مِن الحديث».

وقيل للشّافعيِّ رضي الله عنه: كيف شهوتُك للأدب؟ فقال: «أسمعُ بالحرفِ منه ممّا[٧] لم أسمعهُ، فتودُّ أعضائي أنّ لها أسماعًا تَتنعَّم[٨] به». قيل: وكيف طلبُك له؟ قال: «طلب المرأة المُضِلّةِ ولدَها، وليسَ لها غيرُه»[٩].

---

(١) حبيب هو الإمام الحجّة التّابعيُّ الثّقة، أبو محمد، الأزديُّ مولاهم، البَصريُّ، كان من كبارِ العلماء، له نحوٌ مِن مئة حديث، توفّي سنة (١٤٥هـ). «تهذيب الكمال» للمزي (٥: ٣٧٨-٣٨١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧: ٥٦-٥٧).
وابنُه أبو إسحاق، إبراهيمُ بنُ حبيب، ثقة، توفّي سنة (٢٠٣هـ). «تهذيب الكمال» للمزي (٢: ٦٧-٦٩).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٠).

(٣) في (د) و(ر): «تتعلم».

(٤) بعدها في (ر): «أبواب».

(٥) هو الإمام الكبير، شيخُ الثّغر، أبو محمّدٍ الأزديُّ، المهلَّبيُّ البَصريّ، ثمَّ المِصّيصيّ، توفّي سنة (١٩١ أو ١٩٦هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩: ٢٣٦).

(٦) هو الإمام شيخُ الإسلام، عالمُ زمانه وأميرُ الأتقياء، أبو عبد الرَّحمن، عبدُ الله بنُ المبارك، الحنظليُّ مولاهم، التُّركيُّ ثمّ المروزيُّ، صنَّفَ التَّصانيفَ النّافعةَ الكثيرة، توفّي سنة (١٨١هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨: ٣٧٨-٤٢١).

(٧) في (ف) و(يه): «ما» بدل: «مما».

(٨) في (ر): «فتنعم».

(٩) أخرجه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢: ١٤٣-١٤٤). ولم يرد هذا القول في (د).

ولمـا بلغَتْ رتبةُ الأدبِ هـذه المزيّة، وكانت مـدارِكُ مفصَّلاته[١] خفيّة، دعاني ما رأيتُ مِن احتياجِ الطَّلبةِ إليه، وعسرِ تكرار توقُّفهم[٢] عليه؛ إمّا لحياءٍ فيمنعُهـم الحضـورَ، أو لجفـاءٍ[٣] فيـورثُهمُ النُّفـورَ، إلـى جمع هـذا المختصرِ، مذكِّرًا للعالِم ما جُعِل إليه، ومنبِّهًا للطّالب على ما يَتعيَّنُ عليه، وما يَشتركانِ فيه من الأدب، وما يَنبغي سلوكُهُ في مصاحبةِ الكُتُب، ثمَّ أدب من يسكنُ[٤] المدارِسَ منتهيًا أو طالبًا؛ لأنها مساكنُ طلبةِ[٥] العلمِ في هذه الأزمنةِ غالبًا.

وجمعتُ ذلك ممّا اتَّفقَ في المسموعات، أو سمعتُه مِن المشايخِ السّادات، أو مررتُ به في المطالَعاتِ، أو استفدتهُ في المذاكَرات، وذكرتُه محذوفَ الأسانيدِ والأدِلّة؛ كي لا يَطولَ على مطالعِه أو يُمِلَّه.

وقد جمعتُ فيه ـ بحمد الله تعالى ـ مِن تفاريق آدابِ هذه الأبواب ما لـم أرَهُ مجمـوعًا فـي كتاب، وقدَّمتُ علـى ذلك بابًا مختصـرًا فـي فضـل العلمِ والعلماء، على وجه التَّبرُّك والاقتداء، وقد رتَّبتُه على خمسة أبوابٍ تُحيطُ بمقصودِ الكتاب:

البابُ الأوَّل: في فضلِ العلمِ وأهلِه، وشرفِ العالـمِ ونُبله[٦].

الباب الثّاني: في آداب العالم في نفسِه، ومع طلبَتِه ودرسِه.

---

(١) في (ر) و(ف) و(يه): «مفضلاته».

(٢) في (ر) و(ف) و(يه): «توقيفهم».

(٣) في نسخة كما في (يه): «الحياء... الجفاء»، وفي (ف): «للحياء... للجفاء».

(٤) في (ر): «سكن».

(٥) من هنا بداية النسخة (ب).

(٦) قوله: «وشرف العلم ونبله» ليس في (ب) و(ف).

الباب الثّالث: في أدبِ المتعلّمِ في نفسِه ومع شيخِه ورُفْقتِه ودَرسِه[١].

الباب الرّابع: في[٢] مصاحبةِ الكتبِ، وما يَتعلّق بها مِن الأدب.

الباب الخامس: في أدبِ[٣] سُكنى المدارسِ، وما يَتعلَّقُ به[٤] مِن النَّفائس[٥].

وقد سمَّيتُه:

تذكرة السامع والمتكلم
في
أدب العالم والمتعلم

واللهُ تعالى يوفِّقُنا للعلمِ والعمل، ويُبلِّغنا مِن رضوانِه نهايةَ[٦] الأمل.

---

(١) لفظ: «ودرسه» من (س).

(٢) بعدها في (ب): «أدب».

(٣) في (ر) و(ف): «آداب»، وليست في (يه).

(٤) في (ب) و(ف) و(يه): «بها».

(٥) قوله: «من النفائس» ليس في (ب) و(د) و(ف).

(٦) في (ب): «نهايات».

الباب الأوّل
في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه

قال اللهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. قال ابنُ عبّاس: «العلماءُ فوق المؤمنين بسبع مئة دَرَجة، ما بين الدَّرجتين مئةُ عام»(١).

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ(٢)﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، بدأ سبحانه بنفسِه، وثَنّى بملائكتِه، وثَلَّثَ بأهل العلم، وكفاهُم ذلك شرفًا وفضلًا، وجلالةً ونُبلًا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) أورده بنحوه أبو طالب المكّي في «قوت القلوب» (١: ٢٤١)، والغزالي في «الإحياء» (١: ٥)، ولفظه عندهما: «للعلماء درجاتٌ فوق الذين آمنوا بسبعِ مئة درجة، ما بين الدَّرجتين خمسُ مئة عام».

(٢) بعدها في (ب): «قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ»، وفي (ف): «قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ».

وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ إلى قولِهِ سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨].

فاقتضَت الآيتان أنّ العلماءَ هم الذين يَخشَون الله تعالى، وأنّ الذين يَخشون اللهَ تعالى هم خيرُ البَريّة، فيَنتج أنّ العلماءَ[١] خيرُ البَريّة.

وقال رسولُ الله ﷺ: «من يُردِ الله به خيرًا يُفقهه في الدِّين»[٢].

وعنه ﷺ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»[٣]، وحسبُك بهذه الدَّرجةِ مجدًا وفخرًا، وبهذه الرُّتبة شَرَفًا وذِكرًا، فكما لا رُتبةَ فوق رُتبةِ النُّبوّة، فلا شرفَ فوقَ شرفِ وارثِ تلك الرُّتبةِ.

وعنه ﷺ لمّا ذُكِرَ عنده رجلان، أحدُهما عابدٌ، والآخرُ عالِمٌ، فقال: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفَضْلي على أدناكُم»[٤].

---

(١) بعدها في (س): «هم».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدّين، (٧١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزّكاة، باب النّهي عن المسألة، (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضيَ الله عنه.

(٣) سيذكره المصنف مطوَّلًا قريبًا، وانظر ثمّةَ تخريجَه.

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٥) من طريق سلمةَ بن رجاء، عن الوليدِ بن جَميل، عن القاسمِ أبي عبد الرحمن، عن أبي أُمامة رضي الله عنه. قال التّرمذيُّ: هذا حديثٌ غريب. اهـ، وفي طبعة الرسالة (٢٨٨٠): حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح.

قلت: هو حسنٌ لغيره، وإسنادُه ضعيف؛ فيه سَلَمةُ بن رجاء، ضعفه النسائي، وقال ابنُ معين: ليس بشيء، وقال ابنُ عَديّ: حدَّثَ بأحاديثَ لا يُتابَع عليها، وقال أبو زُرعة: صدوق. انظر «ميزان الاعتدال» (٢: ١٧٧)، وفيه أيضًا الوليد بن جَميل، قال أبو حاتم: له عن القاسم أبي عبد الرحمن أحاديثُ منكرة. «الميزان» (٥: ٨٥). لكن يشهد له حديث أبي الدرداء الآتي. =

وعنه ﷺ: «مَن سلك طريقًا يطلبُ فيه[1] علمًا سلكَ به طريقًا مِن طُرُق الجنّة، وإنّ الملائكةَ لَتَضعُ أجنحتَها لطالبِ العلم لرضى اللهِ عنه، وإنّ العالِمَ لَيستغفرُ له مَن في السّمواتِ ومَن في الأرض، حتّى الحيتانُ في جوفِ الماء، وإنّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائر الكواكب، وإنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا دِرهمًا[2]، ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذهُ أخذَ بحظٍّ وافر»[3].

واعلم أنّه لا رتبةَ فوق رُتبةِ مَن تَشتغِلُ الملائكةُ وغيرُهم بالاستغفارِ والدُّعاء له، وتَضعُ له أجنحتَها، وإنّه لَيُنافَسُ في دعاءِ الرَّجل الصّالح، أو مَنْ يُظَنُّ صلاحُه، فكيف بدعاءِ الملائكة!

وقد اختُلِفَ في معنى وضع أجنحتِها؛ فقيل: التَّواضعُ له، وقيل: النُّزولُ عندَه، والحضورُ معه، وقيل: التَّوقيرُ والتَّعظيمُ له، وقيل: معناه: تحمِلُه عليها؛ فتُعينُه على بلوغِ مقصدِه[4].

= وأخرجه الدّارميُّ في «سننه» (٢٩٧) من طريق الوليد بن جميل، عن مكحول مرسلًا، وأخرجه أيضًا من طريق آخر (٣٥٢) عن الحسن مرسلًا.
وأخرج الحارثُ بن أبي أسامة في «مسنده» (٣٩ـ بغية الباحث) نحوَه من حديث أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه زيدٌ العَمّيّ، وهو ضعيف.

(١) في (س): «فيها».

(٢) بعدها في (ف): «وإنَّما».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٧١٥)، وأبو داود في «سننه»، كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، (٣٦٤١)، والتّرمذيُّ في «سننه»، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٢)، وابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب السُّنّة، باب فضلِ العلماء والحثّ على طلب العلم، (٢٢٣) من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه. وهو حديثٌ حسنٌ لغيره كما قال محقّقو «مسند أحمد».

(٤) في (س): «مقاصده»، وفي نسخة كما في هامش (يه): «مقصوده».

وأمّا إلهامُ الحيوانات بالاستغفارِ لهم، فقيل: لأنّها خُلِقَت لمصالح العبادِ ومنافعِهم، والعلماءُ هم الذين يُبيِّنونَ ما يَحِلُّ منها وما يَحرُمُ، ويُوصُون بالإحسانِ إليها، ونفيِ الضَّرر عنها(١).

وعنه ﷺ: «يُوزَنُ يومَ القيامة مِدادُ العلماءِ ودمُ الشُّهداء»(٢).

---

(١) انظر «معالم السنن» للخطابي (٤: ١٨٣).

(٢) أخرجه ابنُ عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٣) من حديث أبي الدَّرداء رضيَ الله عنه. وضعّفه العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١: ٦) (بهامش الإحياء).
وأخرجه ابنُ عمشليق في «جزئه» (١٤) من رواية الحسن عن عمران بن حصين رضيَ الله عنه، قلت: ورواية الحسن عن عمران مرسلة. انظر «السير» (٤: ٥٦٦).
وأخرجه السَّمعانيُّ في «أدب الإملاء والاستملاء» ص١٦٢-١٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أقف على من تكلَّم فيه، ورجالُ إسناده ثقات عدا عبد الواحد بن إسماعيل بن عثمان بن نغارة، فلم أقف على ترجمته، ووصفه السمعاني في «المنتخب من معجم شيوخه» (٢: ١١٢٢) بالحافظ، والله أعلم.
وأخرجه الخطيبُ في «تاريخه» (٢: ٥٩٢)، ومن طريقه ابنُ الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال ابن الجوزي: هذا حديثٌ لا يَصحُّ عن رسول الله ﷺ.
وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٤) عن عبد الله بن عمرو رضيَ الله عنه، وقال: وهذا لا يصحّ.
وأخرجه ابنُ الجوزي في «العلل» أيضًا (٨٥) من حديث النُّعمان بن بشير، وقال: هذا لا يصحّ.
قال المناوي في «فيض القدير» (٦: ٤٦٦): قال ابن الزملكاني: وهو حديثٌ لا تقوم به الحجّة، وقد أوضح جماعةٌ في تضعيفه المحجّة، وورد ما يدلُّ على تساويهما في الدَّرجة، والإنصافُ أنَّ ما وردَ للشَّهيد مِن الخصائص، وصحَّ فيه من دفع العذابِ وغفرانِ النقائص، لم يَرد مثلُه للعالم لمجرَّد علمه، ولا يمكن أحدًا أن يقطعَ له به في حكمِه، وقد يكون لمن هو أعلى درجةً ما هو أفضلُ مِن ذلك، وينبغي أن يُعتبَرَ حالُ العالم، وثمرةُ علمِه، وماذا عليه، وحالُ الشَّهيد، وثمرةُ شهادتِه، وما أحدثَ عليه، فيقع التفضيلُ بحسب الأعمال =

قال بعضُهم: هذا مع أنّ أعلى ما للشهيدِ دمُه، وأدنى ما للعالِم مِدادُه[١].

وعنه ﷺ: «ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ مِن فقهٍ في دِين، ولَفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشَّيطانِ من ألف عابدٍ»[٢].

وعنه ﷺ: «يَحملُ هذا العلمَ مِن كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، يَنفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلين»[٣].

= والفوائد، فكم من شهيدٍ وعالمٍ هوَّنَ أهوالًا، وفرَّجَ شدائد، وعلى هذا فقد يتَّجه أنَّ الشهيدَ الواحد أفضلُ من جماعةٍ مِن العلماء، والعالمَ الواحد أفضلُ من كثيرٍ مِن الشُّهداء، كلٌّ بحسب حالِه وما ترتَّب على علومه وأعماله.

(١) قاله القرافي في «الذخيرة» (١: ٤٥).

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٦١٦٦)، والدّارقطنيُّ في «سننه» (٣٠٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢: ١٩٢)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٥٨٤) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه. قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (١: ١٢١): فيه يزيدُ بن عِياض، وهو كذّاب. وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١: ٧٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٠)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٥٨٣)، عن ابن عمر رضيَ الله عنهما. قال البيهقي: والمحفوظ هذا اللَّفظُ من قول الزُّهري. اهـ. وقول الزُّهريِّ أخرجه عبدُ الرزّاق في «المصنف» (٢٠٤٧٩)، وسيأتي ص٨٣.

(٣) أخرجه الخطيب البغداديُّ في «شرف أصحاب الحديث» (١٤)، (٥٢)، (٥٣)، (٥٤)، عن معاذ بن جبل، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وابن مسعود رضي الله عنهم. وأخرجه ابنُ أبي حاتم في مقدّمة «الجرح والتعديل» (٢: ١٧)، والعقيليُّ في «الضعفاء» (٤: ٢٥٦)، وابن عديٍّ في مقدّمة «الكامل» (١: ٢١١)، وابنُ عبد البر في مقدّمة «التمهيد» (١: ٥٩)، والخطيبُ في «شرف أصحاب الحديث» (٥٥) عن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذْريِّ مرفوعًا.

قال العراقيُّ في «التَّقييد والإيضاح» ص١١٦: «وهذا إما مرسل أو معضل، وإبراهيم هذا الذي أرسله لا يُعرَف في شيء من العلم غير هذا». ثم ذكر أيضًا أن مُعانًا ضعيف، وذكر أن الإمام أحمد رحمه الله حكم بصحة الحديث، وأن ابن القطان ردّ عليه في ذلك. ثم قال العراقي رحمه الله: وقد رُوي هذا الحديثُ متَّصلًا من رواية جماعة من الصحابة؛ علي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، وكلُّها ضعيفةٌ، =

وفي حديثٍ: «يَشفعُ يوم القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياءُ، ثمَّ العلماءُ، ثمَّ الشُّهداء»[١].

ورُوي: «العلماءُ يومَ القيامةِ على مَنابرَ مِن نور»[٢].

ونقل القاضي حسين بن محمَّد[٣] رحمه الله في أول «تعليقته»[٤] أنّه رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «مَن أحبَّ العلمَ والعلماءَ، لم تُكتَب[٥] عليه خطيئةٌ أيّام حياتِه».

قال: ورُوِيَ عنه ﷺ قال: «مَن أكرمَ عالمًا فكأنّما أكرمَ سبعينَ نبيًّا، ومَن أكرم متعلِّمًا فكأنّما أكرمَ سبعينَ شهيدًا»[٦].

= لا يَثبتُ منها شيء، وليس فيها شيءٌ يُقوِّي المرسلَ المذكور، والله أعلم. اهـ. وانظر الكلام عنه أيضًا في «فتح المغيث» للسخاوي (٢: ١٦٩-١٧١).
ونقل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تصحيحَ عددٍ مِن العلماء له، واستدلالهم به، ثمَّ قال: وفي هذا دليلٌ واضحٌ على كونه مقبولًا، جائزَ التمسُّك به. انظر «مقدمة التمهيد» ص١٣٣-١٣٩ (ضمن «خمس رسائل في علوم الحديث»).

(١) أخرجه ابن ماجَهْ في «سننه» (٤٣١٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإسنادُه ضعيفٌ جدًّا، فيه عنبسةُ بنُ عبد الرحمن، وهو متروك. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣: ٣٠٣)، وعَلّاق بن أبي مسلم وهو مجهول. انظر «تقريب التهذيب» ص ٤٣٦.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هو العلّامةُ الفقيه، أبو عليّ، حسينُ بن محمَّدٍ، المرُّوذيُّ، شيخ الشّافعيّة بخراسان، ومن أصحابِ الوجوه في المذهب، له «التعليقة الكبرى»، و«الفتاوى»، وغير ذلك، وكان من أوعيةِ العلم، توفِّي بمرو الرُّوذ (٤٦٢ هـ). انظر «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١: ١٦٤-١٦٥)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨: ٢٦٠-٢٦٢).

(٤) في (ب) و(د) و(ر) و(ف) و(يه): «تعليقه»، وانظر الكلام في «التعليقة» للقاضي حسين (١: ٨٠)، والمطبوع منها قطعة تتضمَّن المقدِّمةَ الأصوليّة وكتابَ الطَّهارة والصَّلاة.

(٥) في (س) و(ش) و(يه): «يكتب».

(٦) هذا والذي قبله قطعتان من حديثٍ واحدٍ، أخرجه ابنُ الجوزيِّ في «العلل المتناهية» (١٤٣) من حديث أبي هريرة. قال ابنُ الجوزيِّ: هذا حديثٌ لا يَصحُّ عن رسول الله ﷺ، =

وأنّه قال[١]: «مَن صلَّى خَلْفَ عالمٍ فكأنّما صلَّى خَلْفَ نبيٍّ، ومَن صلَّى خَلْفَ نبيٍّ فقد غُفِرَ له»[٢].

ونقل الشِّرِمْساحِيُّ المالكيُّ[٣] في أوَّل كتابه «نظم الدُّرِّ» عن النَّبي ﷺ قال: «مَن عظَّمَ العالِمَ فإنّما يُعظِّمُ اللهُ تعالى [ورسولَهُ]، ومن تَهاونَ بالعالِمِ فإنّما ذلك استخفافٌ باللهِ تعالى وبرسوله»[٤].

وقال عليٌّ رضيَ الله عنه: «كفَى بالعلم شَرَفًا أنْ يَدَّعيَهُ مَنْ لا يُحسِنُه،

= وفيه محمَّدُ بنُ عمرو، قال يحيى بنُ معين: ما زال الناس يتَّقون حديثَه. اهـ. وتعقَّبهُ ابنُ عرّاق في «تنزيه الشريعة» (١: ٢٨٠) فقال: وما أظنُّ محمَّد بنَ عمرو يَحتمل مثل هذا، قلت: يعني لأنّه من رجال الأربعة، واللهُ تعالى أعلم، والظّاهر أنَّ البلاء ممَّن دونه. قلت: قال الذهبيُّ في «تلخيص الواهيات»: هذا من وضعِ عبد الرحمن بن محمد البلخي، شيخٍ لابن رزقويه. والله أعلم.

(١) في (د) و(ش): «وقال».

(٢) قال السَّخاويُّ في «المقاصد الحسنة» (٧٦٤): لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) هو أبو محمد عبدُ الله بن عبد الرحمن، الشّارمساحيُّ المولد ـ وشارمساح أو شِرِمْساح: اسم بلد بمصر ـ، الإسكندريُّ المنشأ والدار، كان إمامًا عالمًا على مذهب الإمام مالك، له «نظـم الدر» في اختصار «المدونة» اختصرها على وجهٍ غريبٍ وأسلوبٍ عجيبٍ مِن النَّظم والتَّرتيب، وطُبع في دار ابن حزم بتحقيق الدكتور: خالد محمد عبد الجبار الحوسني، وله أيضًا كتاب «الفوائد» في الفقه، و«التَّعليق» في علم الخلاف، وغيرها، توفي سنة (٦٦٩هـ). «الديباج المذهب» لابن فرحون (١: ٤٤٨-٤٥٠)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١: ٤٥٧)، و«شجرة النور الزكية» ص١٨٧.

(٤) «نظم الدر» للشارمساحي ص٥٨، وما بين حاصرتين منه، ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦: ١٢٧-١٢٨)، ومن طريقه ابنُ الجوزيِّ في «العلل المتناهية» (٨١) من حديث جابر مرفوعًا: «أكرموا العلماء، فمَن أكرمَهم فقد أكرمَ اللهَ ورسولَهُ». قال الحافظُ ابنُ حجر في «الكافي الشاف» ص١٢٤: في إسناده الضَّحّاك بن حَجْوة، وهو متَّهمٌ بوضع الحديث.

ويَفرَحَ إذا نُسِبَ إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يَتبرّأ مِنه مَن هو فيه»(١).

وقال بعضُ السَّلَف: «خيرُ المواهبِ(٢) العقلُ، وشرُّ المصائبِ الجهلُ»(٣).

وقال أبو مُسْلمٍ الخَوْلانيُّ(٤): «العلماءُ في الأرضِ مثلُ النُّجومِ في السَّماء؛ إذا بَدَتْ للنّاس اهتدَوا بها، وإذا خفيَتْ عليهم تحيَّروا»(٥).

وقال أبو الأسْوَدِ الدُّؤَليُّ(٦): «ليسَ شيءٌ أعزَّ مِن العلم، الملوكُ حكّامٌ على النّاس، والعلماءُ حكّامٌ على الملوك»(٧).

وقال وَهْبٌ(٨): «يَتشعَّبُ مِن العلمِ: الشَّرَفُ وإنْ كان صاحبُه دنيًّا، والعزُّ

---

(١) ذكره الزمخشريُّ في «ربيع الأبرار» (٤: ٣٧)، والنَّوويُّ في مقدمة «المجموع» (١: ١٩).

(٢) في (س) و(ش) و(ظ) و(يه): «المذاهب»، والمثبت موافق لما في المصدرين المذكورين في التعليق التالي.

(٣) لم يرد هذا القول في (د)، وأخرجه الخطيبُ البغداديُّ كما في «المنتخب من الزهد والرقائق» (٥٣) من قول أبي الحسن بن كنجك، وأورده الماورديُّ في «أدب الدنيا والدين» ص٧ ونسبه لبعض البلغاء.

(٤) هو سيِّدُ التّابعين، وزاهدُ العصر، عبدُ الله بن ثُوَب الدّارانيُّ، قدِمَ من اليمن وقد أسلم في أيّام النَّبيِّ ﷺ، ودخل المدينةَ في خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه، توفي سنة (٦٢هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤: ٧-١٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥: ١٢٠)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٩٣).

(٦) هو التّابعيُّ العلّامة الفاضل، ظالم بن عمرو، قاضي البَصرة، وُلِدَ في أيّام النُّبوّة، ورَوى عن عمر وعلي وغيرهما، وهو أوَّلُ من وضعَ علمَ النَّحو، ونَقطَ المصاحف، توفّي سنة (٦٩هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤: ٨١-٨٤).

(٧) أخرجه السّلفيُّ في «الطيوريات» (٥٠٤).

(٨) هو التابعيُّ الإمام العلّامة الإخباريُّ، أبو عبد الله، وهبُ بن مُنبِّه الأَبناويُّ اليماني، رَوى كثيرًا من الإسرائيليّات وصحائفِ أهل الكتاب، وقليلًا من المسنَد، توفي سنة (١١٤هـ). =

وإنْ كان مَهِينًا، والقُرْبُ وإنْ كان قَصِيًّا، والغِنَى وإنْ كان فقيرًا، والمَهابةُ وإنْ كان وَضِيعًا»[١].

وعن معاذٍ رضيَ الله عنه: «تَعلَّموا العِلمَ؛ فإنّ تَعلُّمهُ حسنةٌ[٢]، وطلبَهُ عبادةٌ، ومذاكَرَتهُ تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وبَذلَهُ قربةٌ، وتعليمَهُ مَن لا يَعلمُه صدقةٌ»[٣].

وقال الفُضَيلُ بنُ عِياض[٤]: «عالمٌ معلِّمٌ يُدعى كبيرًا في ملكوت السَّماء»[٥].

= «السير» للذهبي (٤: ٥٤٤-٥٥٧).

(١) ذكره النوويُّ في مقدِّمة «المجموع» (١: ١٩-٢٠).

(٢) كذا وقع في النسخ الخطية، والذي في المصادر: «خشية».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ٢٣٨-٢٣٩)، من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، عن رجلٍ سمّاه، عن رجاءِ بن حَيْوة، عن معاذ، وأخرجه ابنُ عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (٢٦٩) من طريق نوح، عن رجاء بن حَيْوة، عن معاذ، ونوحُ بنُ أبي مريم كذّاب. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٥: ٤٠-٤١). ورجاء لم يَسمع مِن معاذ.
وأخرجه ابن بشران في «أماليه» (٩٩٩) من طريق كنانة بنِ جَبَلة، عن رجاء بن حَيْوة، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن معاذ. وكنانة بن جَبَلة قال عنه أبو حاتم: محلُّه الصِّدق، وكذَّبه ابنُ معين، وقال السَّعديُّ: ضعيفٌ جدًّا. انظر «ميزان الاعتدال» (٣: ٤٠٩).
وأخرجه ابنُ عبد البرّ أيضًا (٢٦٨) عن معاذ مرفوعًا، وقال: ليس إسنادُه بالقويّ. اهـ. وفي إسناده موسى بن محمَّد بن عطاء البلقاوي، نُسب إلى الكذبِ والوضع، وعبدُ الرحيم [هو ابن زيد العَمّي] متروك، ووالده مختلف فيه، والحسنُ لم يدرك معاذًا. انظر «تنزيه الشريعة» لابن عراق (١: ٢٨٢).

(٤) هو الإمام القدوةُ الثَّبْتُ، شيخ الإسلام، أبو علي، التَّميميُّ، اليَرْبوعيُّ، الخُراسانيُّ، الزّاهد المشهور، المجاورُ بحَرَم الله، توفّي سنة (١٨٧هـ). «سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٢١).

(٥) في (يه): «السموات والأرض»، والمثبت نسخة بهامشها، والأثر أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، عقب الحديث (٢٦٨٥).

وقال سفيانُ بن عُيينة: «أرفعُ النّاس عند الله منزلةً مَن كان بين الله وبين عبادِه، وهم الأنبياءُ والعُلماء»[١].

وقال أيضًا: «لم يُعطَ[٢] أحدٌ في الدُّنيا شيئًا أفضلَ مِن النُّبوّة، وما بعد النُّبوّة شيءٌ أفضلَ مِن العلم والفقه» فقيل: عمَّن هذا؟ قال: عن الفقهاءِ كلِّهم[٣].

وقال سَهْلٌ[٤]: «مَن أرادَ النَّظرَ إلى مجالس الأنبياء، فليَنظر إلى مجالسِ العلماء، فاعرِفوا لهم ذلك»[٥].

وقال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «إنْ لم يكنِ الفقهاءُ العاملون أولياءَ الله فليس لله وليّ»[٦].

وعن ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما: «مجلسُ فقهٍ خيرٌ من عبادة ستّين سنة»[٧].

وعن سفيانَ الثَّوريِّ[٨] والشافعيِّ رضيَ الله عنهما: «ليسَ بعدَ الفرائضِ

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٣٤).

(٢) في (يه): «يعط الله».

(٣) أخرجه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢: ١٣٩) من طريق الشّافعيِّ عن ابن عيينة.

(٤) هو شيخُ العارفين، أبو محمَّد، سهلُ بن عبد الله التُّستَريُّ، الصُّوفيُّ الزّاهد، له كلماتٌ نافعةٌ ومواعظُ حسنة، توفِّي سنة (٢٨٣هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣: ٣٣٠-٣٣٣).

(٥) ذكره النوويُّ في مقدمة «المجموع» (١: ٢١).

(٦) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٥٥).

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٤٦)، وفي إسناده عبدُ الله بن أذينة، وعبدُ الوهّاب بن مجاهد، وهما متروكان. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢: ٣٥٤، ٤١٣)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦: ٤٥٣).

(٨) هو إمام الحفّاظ، سيِّدُ العلماء العاملين، أميرُ المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله، سفيان ابن سعيد، الكوفيُّ، المجتهد، مصنِّف كتاب «الجامع»، (ت ١٦١ هـ). «تهذيب الكمال» للمزي (١١: ١٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٧: ٢٢٩).

أفضلُ من طلبِ العلم»[١].

وعن الزُّهريّ[٢] رحمه الله: «ما عُبِدَ اللهُ بمثل الفقه»[٣].

وعن أبي ذرٍّ وأبي هريرةَ رضيَ الله عنهما قالا: «بابٌ مِن العلمِ نَتعلَّمُه أحبُّ إلينا مِن ألف ركعةٍ تطوُّعًا، وبابٌ مِن العلمِ نُعلِّمُه - عُمِلَ به أو لم يُعْمَل - أحبُّ إلينا من مئةِ ركعةٍ تَطوُّعًا»[٤].

وقد ظهَر بما ذكرناهُ[٥] أنّ الاشتغالَ بالعلمِ لله أفضلُ مِن نوافلِ العبادات البدنيّة؛ مِن صلاةٍ، وصيامٍ، وتسبيحٍ، ودعاءٍ، ونحو ذلك؛ وذلك لأنّ نفعَ العلمِ يَعـمُّ صاحبَه والنّـاس، والنَّوافلُ البدنيّةُ مقصورةٌ على صاحبِها، ولأنّ العلمَ مصحِّحٌ لغيرِه مِن العبادات، فهيَ تَفتقِرُ إليه، وتتوقَّفُ عليه، ولا يتوقَّفُ هو عليها، ولأنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ عليهم السَّلام، وليس ذلك للمُتعبِّدين، ولأنّ طاعةَ العالمِ واجِبةٌ على غيرِهِ فيه، ولأنّ العلمَ يَبقى أثرُه بعد موتِ صاحبه،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ٣٦٣) من قول الثوريّ، وأخرجه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢: ١٣٨) من قول الشّافعيّ، وذكره عنهما النَّوويُّ في مقدّمة «المجموع» (١: ٢١)، وعنه نقل المصنف.

(٢) هو حافظ زمانه، الإمامُ الفقيه العلم، أبو بكر، محمَّد بنُ مسلم بنِ عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، القرشيُّ المدنيُّ، نزيل الشّام، رأى عددًا من الصَّحابة، ورَوى عن بعضهم، توفي سنة (١٢٤هـ) وقيل غيرُ ذلك. «سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٢٦-٣٥٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٧٩) (جامع معمر بن راشد)، ومن طريقه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٤٦٧).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» (١٣٨- «كشف الأستار»)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٥١)، وفي إسناده هلال بن عبد الرحمن الحنفي، وهو متروك. انظر «ميزان الاعتدال» (٥: ٦٨-٦٩).

(٥) في (س): «قلنا»، وفي (ش) ونسخة كما في (يه): «قلناه»، وفي (ف): «ذكرنا» بدل: «ذكرناه».

وغيرُه مِن النَّوافل تَنقطعُ بموتِ صاحبِها، ولأنّ في بقاءِ العلم إحياءَ الشّريعة[١]، وحفظَ معالمِ الملّة[٢].

فصل

واعلَمْ أنّ جميعَ ما ذُكِرَ مِن فضيلةِ العلمِ والعُلَماء إنّما هو في حقِّ العُلَماءِ العامِلين، الأبرارِ المتَّقين، الذين قَصَدوا به وجهَ الله الكريم، والزُّلفى لدَيهِ في جنّات النَّعيم، لا مَنْ طَلَبَهُ بسُوءِ نيّةٍ، أو خُبثِ طَوِيّةٍ، أو لأغراضٍ دُنيويّةٍ؛ مِن

---

(١) في (ف) و(يه): «للشريعة».

(٢) **قال عبد الإله**: هذا الباب يبين شرف العلم وفضل العلماء، وسيكون من تحصيل الحاصل نقل ما يدل على تعظيم العلم الشرعي عند شيخنا رحمه الله، ولكن العجب العجاب عندما تعلم - أيها القارئ الكريم - أن شيخنا بدأ مسيرة أدائِه، وبذله وعطائِه، عندما بلغ الخامسة والستين من العمر، وهي متوسط أعمار أمة نبينا محمد ﷺ، وهو القائل - بأبي هو وأمي -: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»، رواه الترمذي وابن ماجَهْ، وكان متوقَّعًا من شيخنا أن يبادر سويعات عمره الباقية في العبادة بمفهومها الشائع: الصلاة والقرآن والأذكار والدعاء، ولكن شيخنا - بما آتاه الله من حكمة - أدرك أن أعظم العبادة ما كان نفعها متعديًا، وثوابها جاريًا، ولا يكاد يوجد ذلك إلا في العلم، فلما أتاح الله لشيخنا فرصة التعليم، ابتدرها مبادرة الغريم، وتلقَّى رايتها باليمين، وركزها في ساحة المتعلِّمين، فالتفوا حولَها، وتفيؤوا ظلَّها، وكان يقول: «هل الجهاد إلا ما نحن فيه»، وكان كثيرًا ما يردد كلمة الإمام الشافعي رضي الله عنه (١٥٠-٢٠٤هـ): «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة»، وكان يبكي عندما يردد كلمة الإمام الشافعي الأخرى: «إن لم يكن الفقهاء أولياء لله فليس لله ولي»، وقد صدَّق فعلُه قولَه، فبذل للتعليم نفيسَ أوقاتِه، وزاحم به أوقاتَ راحته وخلواتِه، فكانت له دروسٌ بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب، مع أنه كان يخصِّصها للأذكار والأوراد، هذا بالإضافة إلى دروسه بعد صلاة العشاء، بل إنه بذل جزءًا من الوقت بعد صلاة الظهر لبعض طلابه، وهو وقت الراحة، وقد أشفقت عليه من هذا العناء، فقلت له ذات يوم: يا شيخنا ألا تستريح؟ فقال كلمةً ذهبتْ مثلًا: «تعبي في راحتي، وراحتي في تعبي».

جاهٍ، أو مالٍ، أو مكاثرةٍ في الأتباعِ والطُّلّاب(١)، فقد رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن

(١) **قال عبد الإله**: قد تتجه همة بعض الناس لطلب العلم الشرعي؛ لما فيه من الفوائد والعوائد، ولما يُبسط لأهله من لذيذ الموائد، ولكن العالم الذي يبتغي به وجه الله هو العالم الذي يحمل العلم ويؤديه؛ ابتغاءَ مرضاة الله، وتقرُّبًا إليه بما يحبه، ويصون علمه عن الاحتيال على الشرع، وينزهه عن التوصل به إلى حطام الدنيا وزخرفها، وذلكم هو الإخلاص، ورغم أن الإخلاص أمر خفي إلا أن له علامات ظاهرة، ونحسب شيخنا من أهل الإخلاص في تعلُّمه وتعليمه، فمن علامات إخلاصه في تعلُّمه أنه طلب العلم في جميع مراحل حياته، فقد طلب العلم صغيرًا وشابًّا، وكهلًا وشيخًا، ومقيمًا ومغتربًا، وفقيرًا ومكتفيًا، ولو أنه طلب العلم لغايات يرجوها، أو أغراضٍ يبتغيها، لتوقف عن العلم في مرحلة من مراحل حياته، ولكنه لم يتوقف عن العلم إلا بموته، ومن الأدلة على ذلك أنه لما عجز عن تعليم طلابه، واعتزل الناس في بيته، لـم يترك مطالعة كتب العِلم، فقرأ «صحيح البخاري» كاملًا، ولما ختمه دعا طلابه إلى وليمة في بيته، وعقد مجلسًا مباركًا لقراءة السيرة النبوية.

ومن علامات إخلاصه في تعليمه أنه كان ينهى طلابه عن مدحه والثناء عليه، ومن أمثلة ذلك أن أحد طلابه كتب على كتاب الدرس: «بدأنا قراءة هذا الكتاب مع فضيلة الشيخ الصالح العالم أحمد الدوغان»، فاطَّلع شيخنا على الكتاب ذات يوم، فتضايق من هذا الوصف، فكتب فوق كلمة (الشيخ) كلمة (العاجز)، وكتب فوق كلمة (الصالح) كلمة (المهمل)، وكتب فوق كلمة (العالم) كلمة (الجاهل)، وسيأتي مزيد بسط في كراهية شيخنا لمديحه والثناء عليه، وكان ينهاهم عن تقبيل رأسه ويده رغم أنه يكبُرهم بستين وسبعين سنة، وينهاهم عن القيام له عند دخوله المجالس أو خروجه منها، وينهاهم عن كتابة ترجمةٍ له في عداد العلماء، وبالجملة فقد كان ينهاهم عن تعظيمه بأي مظهر من مظاهر التعظيم، وقد حدث ذات يوم أن أحد طلابه قرَّب له نعليه عند انصرافهم من الدرس، فتضايق شيخنا من هذا الفعل، فرمى إحداهما يمينًا، ورمى الأخرى شمالًا، فهمَّ تلميذه أن يأتي بهما، فقال له: «إن أحضرتهما فسأذهب إلى البيت حافيًا»، ثم مشى إلى كل واحدة منهما، بل كان شيخنا يخفي شخصيته العلمية عند زيارة العلماء، فيزورهم في هيئة العوامّ، وإذا توقع أن شيئًا من المدح والثناء سيطوله تجنب الزيارة، ومما وقع من ذلك أن شيخنا كان في الحرم المكي، فأخبره أحد طلابه أن عددًا من العلماء سيجتمعون الليلة، وأنها فرصة للاجتماع بهم، فاعتذر شيخنا عن الذهاب، فراجعه تلميذه عدة مرات، وعندها احمرَّ وجهـه، وتقاطرت دموعـه، وقال: =

طلبَ العِلْمَ ليُمارِيَ به السُّفهاء، أو يُكاثِرَ به العلماءَ، أو يَصرِفَ به وُجُوهَ النّاسِ إليه، أدخلَه اللهُ النّار». أخرجهُ التِّرمذيُّ(١).

وعنه ﷺ: «مَن تعلَّم عِلمًا لغيرِ الله، أو أرادَ به غيرَ وجهِ الله(٢)، فليتبوَّأ مقعدَهُ مِن النّار». رواهُ التِّرمذيُّ(٣).

ورُوي: «مَن تَعلَّم علمًا ممّا(٤) يُبتَغى به وجهُ الله تعالى، لا يَتعلَّمهُ إلّا ليُصيبَ به عرَضًا مِن الدُّنيا، لم يجِد عَرْفَ الجنّة يوم القيامة». أخرجَهُ أبو داود(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ أوَّل النّاسِ يُقضَى عليه

= «ستقولون: هذا شيخنا، وهذا وهذا، ...، من أراد العزة بغير الله أذله الله».

(١) أخرجه في «جامعه»، كتاب العلم، باب ما جاء في من يطلب بعلمه الدنيا، (٢٦٥٤) من طريق إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه رضيَ الله عنه، قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريب، لا نعرفُه إلّا من هذا الوجه، وإسحاقُ بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القويّ عندهم، تُكلِّم فيه من قِبلِ حفظِه. اهـ.

قلت: وله شاهدٌ في «سنن ابن ماجَهْ»، كتاب السنة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، (٢٥٣) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما، وإسنادُه ضعيف.

وشاهدٌ آخر عند ابن ماجَهْ (٢٥٤) من حديث جابرٍ رضيَ الله عنه، وإسنادُه ضعيفٌ أيضًا.

(٢) قوله: «أو أراد به غير وجه الله» ليس في (س)، ومن قوله: «أدخله الله النّار» إلى هنا ليس في (ب) و(د) و(ف).

(٣) قوله: «رواه التِّرمذي» ليس في (ب) و(د) و(ف)، والحديث في «جامع التِّرمذي»، (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما. قال التِّرمذي: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، لا نعرفُه من حديث أيوب إلّا مِن هذا الوجه.

(٤) في (ب): «إنما».

(٥) قوله: «أخرجه أبو داود» ليس في (ب) و(د) و(ف)، والحديث أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله عز وجل، (٣٦٦٤) من حديث أبي هريرة، وأخرجه أيضًا ابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب العلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، (٢٥٢).

يوم القيامة»، وذكر الثّلاثة، وفيه: «ورجلٌ تَعلَّمَ العلمَ وعلَّمَهُ، وقرأَ القرآنَ، فأُتيَ به، فعرَّفَه نعمَهُ، فعرَفَها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: تَعلَّمتُ فيك العِلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ؛ ولكنْ تَعلَّمتَ ليُقال: عالم، وقرأتَ ليُقال: قارئ، فقد قِيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهِه حتَّى أُلقيَ في النّار». أخرجه مسلمٌ والنَّسائيُّ(١).

وعن حمّادِ بنِ سَلَمة(٢): «مَن طلب الحديثَ لغيرِ الله تعالى مُكِرَ به»(٣).

وعن بِشْرٍ(٤): «أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تَجعلْ بيني وبينكَ عالمًا مفتونًا؛ فيَصُدَّك بسُكرِهِ(٥) عن محبَّتي، أولئك قطّاع الطَّريقِ على عبادي»(٦).

---

(١) لم يرد هذا الحديث في (ب) و(د) و(ف)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرِّياء والسُّمعة استحقَّ النار، (١٩٠٥)، والنَّسائيُ في «سننه»، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليُقال: فلانٌ جريء، (٣١٣٧).

(٢) هو شيخ الإسلام، الإمام المحدِّثُ الفقيهُ النَّحْويُّ، أبو سلمة، البصريُّ، البزّازُ الخِرقيُّ، كان بحرًا من بحور العلم، رأسًا في السنة، صاحب تصانيف، توفي سنة (١٦٧هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧: ٤٤٤-٤٥٦).

(٣) وقع في نسخة كما في (يه): «كذبه»، ولم يرد قول بشر في (د)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ٢٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٣).

(٤) هو الإمامُ المحدِّثُ الزّاهد، أبو نصر بشرُ بن الحارث المروزيُّ ثمَّ البغداديُّ، المشهورُ بالحافي، كان رأسًا في الورع والإخلاص، توفّي سنة (٢٢٧هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠: ٤٦٩-٤٧٧).

(٥) في (س) و«شعب الإيمان»: «بشكره»، والمثبت موافقٌ لما في بقيّة المصادر. وانظر التعليق التّالي.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٥٠)، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٥٤٥)، والخطيب البغدادي كما في «المنتخب من كتاب الزهد والرقائق» (١٠).

الباب الثاني

في أدب العالم في نفسه، ومراعاة طالبه ودرسه

وفيه ثلاثةُ فصول:

الفصل الأول

في آدابه في نفسه

وهو اثنا عشر نوعًا:

النّوعُ الأوّل: دوامُ مراقبةِ الله تعالى في السِّرِّ والعَلانية، والمحافظةُ على خوفِه في جميع حركاتِه وسَكَناتِه، وأقوالِه وأفعالِه؛ فإنّه أمينٌ على ما أُودِعَ مِن العلوم، وما مُنِحَ مِن الحواسِّ والفهوم، قال الله تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال[١] الشّافعيُّ: «ليس العلمُ ما حُفِظَ، العلمُ ما نَفَعَ»[٢].

---

(١) في (ب) و(ر): «وقال».

(٢) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٤٩).

ومِن ذلك: دوامُ السَّكينةِ والوقارِ والخُشُوع، والورَعِ[1] والتَّواضعِ لله

(١) **قال عبد الإله**: ذكر المؤلف عدة صفات مما ينبغي أن يتصف بها العالم، وقد كان شيخنا متصفًا بها، بل بلغ مبلغًا عاليًا في إحرازها، وسأذكر هنا بعض ما يتعلق بورعه؛ فقد كان شيخنا متصفًا بورع ثخين، يقارب ورع السلف الصالح، فمن ورعه أنه كان يعامل نفسه بالأشد والأحوط في مسائل الخلاف الفقهي، حتى لو كان التيسير في مذهبه الشافعي، فمن ورعه في عبادته أنه كان يتوضأ من أكل لحم الجَزور رغم عدم انتقاض الوضوء به في مذهب الشافعية؛ مراعاةً لخلاف المذهب الحنبلي في النقض به، ومن ورعه في مطعمه وكسبه أنه كان يحتاج المال، وكان تحصيله ميسورًا بطريقة بيع العينة، وهو بيع جائز في بعض صوره على المذهب الشافعي، ورغم ذلك فقد تورَّع عن التعامل به؛ مراعاة لخلاف المذاهب الفقهية الأخرى في حرمته، فإذا كان شيخنا يراعي خلاف المذاهب فيما هو جائز في مذهبه فإنه أبعد ما يكون عن الأخذ برخص المذاهب الفقهية الأخرى إذا كان التيسير فيها، ومن أمثلة ذلك أنه في طوافه بالكعبة المشرفة كان يتحرز من ملامسة النساء الأجنبيات؛ لانتقاض الوضوء به في مذهب الشافعية، فكان يلبس قفازًا أو يدخِل يديه في غترته، وكان يلبس جَوربًا، وذات يوم لمسته امرأة أجنبية في الزحام عن غير قصد، فخرج من الحرم وتوضأ رغم صحة الوضوء في المذاهب الفقهية الأخرى، وكان لا يترك طواف الوداع في حج أو عمرة؛ لوجوبه عند الشافعية، ويجد مشقة شديدة بسبب ذلك، فلم يأخذ بمن يرى سنيته من المذاهب الفقهية الأخرى، وكان يقول لطلابه: «قلِّدوا في الفعل، وليس في الترك».

ولعل أبرز مثال على عظيم ورع شيخنا تلك الحادثة التي وقعت له في ذهابه إلى مكة المكرمة للتعزية في وفاة الشيخ إسماعيل الزين اليمني الشافعي رحمه الله (١٣٥٢-١٤١٤هـ)، فقد عزم شيخنا يوم الخميس أن يذهب للعزاء، فلما صلى الظهر في الأحساء رأى بعض طلابه في أسفل قدم شيخنا قطعة سوداء، فظنها شامة، فلم يخبره بها، ثم سافر شيخنا مع بعض طلابه إلى مكة المكرمة، فلما أدَّوا العمرة، وقاموا بواجب التعزية، توجهوا إلى المدينة المنورة يوم الجمعة، وفي يوم السبت بعد الإشراق ذهبوا إلى مسجد قباء، وأثناء صلاة شيخنا سنة الضحى رأى أحد طلابه تلك القطعة السوداء في قدمه، فقام بحكها، فالتفت شيخنا إليه مستفهمًا، فأخبره أنها قطعة سوداء حائلة لوصول الماء، فقام شيخنا ليعيد الوضوء والصلاة، فأخبره أحد طلابه أنه رأى هذه القطعة السوداء في الأحساء، وأنه ظنها شامة، فتضايق شيخنا لذلك ضيقًا شديدًا، وبعد الغداء أخبر طلابه أنه سيعود إلى =

والخُضُوع[١].

= مكة المكرمة لإعادة العمرة؛ لأن الطهارة عن الحدث شرط لصحة الطواف، فحاول طلابه ثنيَه عن عزمه، وأخذوا يبحثون عن مخرج فقهي عند أحد المذاهب، ولكن شيخنا أصرَّ على رأيه، فذهب مع أحد طلابه إلى مكة المكرمة، وأعاد العمرة، ثم ذهبا إلى مطار جدة، فلم تتيسر رحلة مباشرة إلى الأحساء، ولكنهما وجدا رحلة إلى الرياض بعد انتظار سبع ساعات، فلما وصلا إليها سافرا إلى الأحساء برًّا، فوصلا إليها وقد بلغا من التعب غايته، وقد جرت هذه الحادثة وشيخنا قد تجاوز الثمانين من عمره.

ولم يكن ورع شيخنا أمرًا نادرًا في بيئته ومجتمعه، بل كان ظاهرةً عامةً عند العامة والخاصة، ومن أدلة ذلك أن شيخنا تم اختياره للعمل معلِّمًا في المدارس النظامية عند افتتاحها في الأحساء، فلما علمت والدته عائشة العرفج رحمها الله رفضت أن يلتحق شيخنا بالوظائف الحكومية، وكان الناس يتورَّعون عن رواتبها؛ حذرًا من وجود شبهة فيها، وأخبرته أنها لن تساكنه، ولن تأكل من طعامه، فاستجاب لرغبتها، وانصرف عن الوظيفة رغم حاجته لها.

ومن ذلك أن عددًا من النساء ذهبن إلى زوجة أمير الأحساء آنذاك؛ راجين منها الشفاعة لأحد رجالهن المسجونين عند الأمير، فرحبت بهن، وقدمت لهن القهوة، فتركنها قليلًا حتى بردت، ثم تظاهرن بشربها، فلما رفعنها إلى أفواههن صببنها في جيوبهن على غفلة من زوجة الأمير، ولكنها انتبهت لفعلهن، فلم تقل لهن شيئًا، فلما جاء زوجها قالت له: إن هؤلاء النساء تورعن عن قهوتك، فأطلق لهن سجينهن؛ لئلا ترفع واحدة منهن كفيها إلى الله فتدعو عليك، فيزول ملكك، ففعل.

ومن علمائنا الذين بلغَنا وَرَعُهم القاضي الشيخ محمد العبد اللطيف الشافعي رحمه الله (١٣١٧-١٣٩٥هـ)؛ فإنه عندما تولى القضاء تورع أن يأخذ راتبه من المال العام؛ خشية اختلاطه بشبهة، فطلب أن يُعطَى راتبه من تكاليف البرقيات قبل دخولها الخزينة العامة!

(١) **قال عبد الإله**: وهذه صفة أخرى بلغ شيخنا في إحرازها مبلغًا عظيمًا، ألا وهي التواضع وهضم النفس وإنكار الذات، فقد كان شيخنا متواضعًا في بيته، يخدم نفسه بنفسه، فيغسل ملابسه، ويخيط ما يحتاج منها إلى خياطة، ولا يُثقل على أهله بذلك؛ اتباعًا لسنة نبينا المصطفى ﷺ، فقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عما يصنع النبي ﷺ في بيته، فقالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى». رواه البخاري وأحمد والترمذي، وكان يصنع الشاي والقهوة لضيوفه، ولا يكلف أهله عناء إعدادها، ويساعد في تنظيف البيت قدر استطاعته. =

....

= وأما تواضعه مع طلابه فقد كان حريصًا على تأسيس علاقته معهم على البساطة والعفوية، فكان طلابه يسعدون إذا صحبوه في ذهابه وإيابه، فإذا ركب سيارة أحدهم، ورأى فيها أوراقًا متساقطةً أو قوارير فارغة، بادر بنفسه بالتقاطها، ويطلب من تلميذِه - برفق وابتسامة - أن يكون أكثر اهتمامًا بنظافتها، وإذا اشترى حاجةً لأهله سارع طلابه إلى سؤاله حملَها عنه، فكان يردُّهم مبتسمًا ويقول: «أشتريها بمالي، وتحملها أنت؟!».

وذات مرة خرج شيخنا مع بعض طلابه في رحلة، وبعد غدائهم تأخروا في تنظيف أواني الطعام، وغفلوا عن شيخنا ساعة، فإذا بهم يرون كل الأواني نظيفة، فتساءلوا فيما بينهم عن المتطوع الذي كفاهم مؤونة غسلها، مستبعِدين أن يكون شيخهم، فإذا به هو الذي قام بغسلها وتهيئتها لهم.

ومن تواضع شيخنا أنه كان يمازِح طلابه، ولم يكن يرى في فارق السن سببًا يمنعه من إدخال السرور عليهم ومؤانستهم ومباسطتهم، ولم يكن يرى في مزاحه حطًّا من قدره ومنزلته عندهم، فقد رُزق لطفًا ممزوجًا بهيبة، ومُنح ظُرفًا ممزوجًا بخشية.

ومن تواضعه أنه كان يقول لطلابه: «أنا لكم كالميتة للمضطر»، ويقول لهم: «أنتم أفضل مني»، وكان يردد قول الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عن أصحابه وطلابه:

أُهِينُ لهم نفسي فهم يُكرِمونها ... ولن تُكرَمَ النفسُ التي لا تُهِينُها

وإذا أثنى عليه طلابه كان يردد أبيات القاضي الشيخ عبد الله العبد القادر الأحسائي الشافعي رحمه الله (١٢٧٠-١٣٤٤هـ):

لِفَقْدِ الرجالِ تَرانا رِجالا ... وصَرْفُ الزمانِ يُريكَ المُحالا

هُمُ أَورَثُونا مَقاماتِهِمْ ... وما أَورَثُونا النُّهَى والكَمالا

وعمومًا فقد كان مشايخنا يتعاملون مع طلابهم تعاملًا جميلًا، رفيقًا رقيقًا، يباسطونهم ويمازحونهم، ويتحدثون معهم تحدث الإخوة فيما بينهم، فأزالوا حواجز الخضوع والهيبة، وأقاموا بدلها جسور الأخوة والمحبة.

ومما أذكر في هذا المقام عندما فتح شيخنا درسه الصباحي كان القاضي الشيخ عبد اللطيف العبد اللطيف الشافعي رحمه الله (١٣٢٧-١٤٠٩هـ) يحضر أحيانًا مغتبطًا ومسرورًا بطلاب العلم، وكان يجلب معه بعض الفاكهة من مزرعته «قرارة»، كالرطب والتين والرمان، فكان يقدم بنفسه الفاكهة لنا، ووجهه يفيض سرورًا واستبشارًا، فكانت سحابة من الأنس والسرور تغشى ذلك الدرس. وكان من عادة جدي الشيخ محمد بن حسين العرفج الشافعي =

وممّا كتبَ مالكٌ إلى الرَّشيد رضيَ الله عنهما: إذا عَلِمْتَ علمًا فَلْيُرَ عليك أثرُه، وسكينتُه وسَمتُه، ووقارُه وحِلمُه؛ لقوله ﷺ: «العلماءُ ورَثةُ الأنبياء»(١).

وقال عمرُ رضيَ الله عنه: «تَعلّموا العِلمَ، وتَعلَّموا له السَّكينةَ والوقار»(٢).

وعن السَّلَف: «حقٌّ على العالم أنْ يَتواضعَ لله في سِرِّه وعلانيتِه، ويحترسَ مِن نفسِه، ويَقفَ عمّا أشكلَ عليه».

الثّاني: أنْ يَصُونَ العلمَ كما صانَهُ علماءُ السَّلف رحمَهم اللهُ تعالى، ويقومَ له بما جعلَه اللهُ تعالى له مِن العزّةِ والشّرف، فلا يُذِلَّهُ بذهابه ومَشْيِه إلى غيرِ أهله من أبناءِ الدُّنيا مِن غير ضرورةٍ أو حاجة، أو إلى مَن يَتعلَّمُهُ مِنه مِنهم، وإنْ عَظُمَ شأنُه وكَبُرَ قدرُه.

قال الزُّهْريُّ: «هَوانٌ بالعِلْم(٣) أنْ يَحمِلَهُ العالمُ إلى بيتِ المتعلِّم»(٤).

= رحمه الله (١٢٧٨-١٣٦٠هـ) أن يؤدي درسه اليومي في المسجد بعد إشراق الشمس إلى ارتفاع النهار، ثم يصحب طلابه إلى بيته، ويكملون مدارستهم ومذاكرتهم إلى قبيل الظهر، ويتناولون عنده ما تجود به أرض الأحساء من فواكه وخيرات. ومما ذكره لنا شيخنا أنه زار شيخه جدي الشيخَ محمدًا ذات يوم وقت الضحى، فبلغ من إكرام الشيخ له أنه أطعمه الفاكهة بيده، ووضعها في فمه، فلما ذكر شيخنا لنا ذلك قلت له: يا شيخنا أريد مقابلة الإحسان بالإحسان، فقال: أبشر، فزرته ذات يوم بعد صلاة العصر مع بعض طلابه، فأكرمنا غاية الإكرام، ووضع الفاكهة بيده في أفواهنا.

(١) انظر «الجامع لمسائل المدونة» (٢٤: ٢٥٥)، و«الذخيرة» للقرافي (١٣: ٣٦١). وقوله: «العلماء ورثةُ الأنبياء» سلف تخريجه ص٦١.

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٥٣٩)، (٦٢٩)، وفي «شعب الإيمان» (١٦٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٨٩٣).

(٣) في (ب): «العلم».

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٤٩).

وأحاديثُ السَّلَف في هذا النّوع كثيرةٌ، وقد أحسَنَ القائلُ - وهو القاضي أبو الحَسَن الجُرْجانيّ[١] -[٢]:

ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهْجَتي لأَخْدِمَ مَنْ لاقَيتُ لكنْ لأُخْدَما
أأشْقَى بهِ غَرْسًا وأجْنِيهِ ذِلّةً إذَنْ فاتّباعُ الجَهْلِ قد كانَ أَحْزَما
ولو أنّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صانَهُمْ ولو عَظَّمُوهُ في النُّفوسِ لعَظَّما[٣]

فإنْ دَعت حاجةٌ إلى ذلك أو ضرورةٌ، أو اقتضَتهُ مصلحةٌ دينيّةٌ راجِحةٌ، على مفسدةِ بذلِه، وحَسُنَت فيه نيّةٌ صالحةٌ، فلا بأسَ به إنْ شاء الله تعالى، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاءَ عن بعض أئمّة السَّلَف مِن المشي إلى الملوكِ ووُلاةِ الأمر، كالزُّهريِّ والشّافعيِّ وغيرهما، لا على أنّهم قَصَدوا بذلك فُضُول الأغراضِ[٤] الدُّنيويّة[٥]...............................

---

(١) في (ب) و(ر) و(س) و(ش): «وهو القاضي أبو شجاع الجرجاني»، ولم ترد هذه العبارة في (ف)، ووقع مكانها في (د): «وهو القاضي عبد الوهاب المالكي»! وهي نسخة في هامش (يه)، ووقع في هامش (ب) ما نصُّه: «أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني»، والمثبت من (ظ)، وهو الصواب في كُنية الشاعر، هو القاضي العلّامةُ الفقيه، أبو الحسن، عليُّ بنُ عبد العزيز، الشّافعيُّ، الشّاعر، صاحب الدّيوان المشهور، وله أيضًا تفسيرٌ كبير، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه»، توفي سنة (٣٩٢هـ). «معجم الأدباء» (٤: ١٧٩٦-١٨٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧: ١٩-٢١).

(٢) وقع في هامش (ب) ما نصُّه: «قال وهي اثنا عشر بيتًا أولها...»، وساق خمسةَ أبياتٍ منها.

(٣) انظر الأبيات ضمن قصيدة في «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص٩٦، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٤: ٢٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١: ٣٧١) (٨٥٤)، و«ديوان القاضي الجرجاني» (المجموع) ص١٢٧-١٢٨.

(٤) في (ب) و(د) و(ف) و(س) و(يه): «الأعراض».

(٥) **قال عبد الإله**: كان شيخنا حريصًا على أن يُجنِّب مدرسته الاعتماد على أهل الجاه والمناصب، وأصحاب الأموال والمراتب؛ خشية أن تحرف منهجه العلمي عن مساره القويم، وصراطه =

وكذلك إذا كان المَأْتِيُّ إليه مِن[١] العلم والزُّهد في المنزلةِ العَلِيّة، والمحلِّ الرَّفيع، فلا بأسَ بالتَّردُّد إليه؛ لإفادتِه، فقد كان سفيانُ الثَّوريُّ يَمشي إلى إبراهيمَ بنِ أدهَم[٢]، ويُفيدُه[٣]، وكان أبو عُبَيدٍ[٤] يمشي إلى عليِّ بن المَدِينيِّ[٥] يُسْمِعه «غريبَ الحديث»[٦].

= المستقيم، فكان يحث طلابه على التنزه والابتعاد عن دوائر أهل المناصب والرياسة، وأصحاب المراتب والسياسة، بل كان ينهى طلابه عن الاشتغال بها، وإذا سمع من ينتقد رجالها قال: «كما تكونون يُولَّى عليكم»، أي إذا أردتم صلاح رجال السياسة فابدؤوا بإصلاح أنفسكم، وكان يكرر قصيدة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله (ت٣٩٢هـ) في هذا المعنى - وقد ذكر المؤلف بعضَ أبياتها -، ويطلب من طلابه حفظها، وكنت أُلقيها على مسامعه كثيرًا، فينشط لسماعها، ويطرب لمعانيها.

(١) بعدها في (ب): «أهل».

(٢) هو الإمامُ القدوةُ العارف، سيِّدُ الزُّهاد، أبو إسحاق العِجْليُّ، الخراسانيُّ، نزيل الشام، توفِّي سنة (١٦٢هـ). «السير» (٧: ٣٨٧-٣٩٦).

(٣) أخرج الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٥٢) أنه بعث إبراهيم بن أدهم إلى سفيان يجيء يحدِّثُه، فقيل لإبراهيم: تبعث إليه حتى يحدثك؟! قال: أردتُ أن أعلم تواضعه، قال: فجاء فحدَّثه.

(٤) هو المجتهدُ ذو الفنون، إمامُ العربيّة، القاسمُ بن سلّام، كان أبوه سلّام مملوكًا روميًا لرجل هرويٍّ، وكان جَبَلًا في العلم باللُّغةِ والنّحو والقراءات وغيرها، له التَّصانيف النّافعة، منها «غريبُ الحديث»، و«فضائل القرآن»، و«الأموال» وغيرها، توفِّي (٢٢٤ هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٩٠-٥٠٣).

(٥) هو الإمام الحجّة، أميرُ المؤمنين في الحديث، أبو الحسن، عليُّ بن عبد الله، البصريُّ، له في الحديث نحو مئتي مصنف، منها «الأسماء والكُنى»، و «الضُّعفاء» وغيرهما، توفِّي سنة (٢٣٤ هـ). «سير أعلام النبلاء» (١١: ٤١-٦٠).

(٦) أخرج الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤: ٣٩٧)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٥١) أنَّ طاهر بن عبد الله الأمير كان ببغداد، فطمعَ في أن يسمعَ من أبي عبيد، وطمعَ أنْ يأتيَه في منزله، فلم يَفعل أبو عبيد، حتّى كان هذا يأتيه، فقدم عليُّ بن المدينـي وعباسُ العنبـريّ، فأرادا =

الثَّالث: أنْ يَتخلَّقَ بالزُّهدِ في الدُّنيا والتَّقلُّلِ[١] مِنها بقدرِ الإمكان الذي لا يَضرُّ بنفسِه أو بعيالِه، فإنّ ما يُحتاجُ إليه لذلك على الوجهِ المعتدلِ مِن القناعة ليسَ يُعَدُّ من الدُّنيا، وأقلُّ درَجاتِ العالِم أنْ يَستقذِرَ التَّعلُّقَ بالدُّنيا؛ لأنّه أعلمُ النّاسِ بخِسَّتِها وفتنتِها[٢] وسُرعةِ زَوالِها، وكثرةِ تعبِها[٣] ونَصَبِها، فهوَ أحقُّ بعدمِ الالتفاتِ إليها والاشتغالِ بهمومِها.

وعن الشّافعي رضيَ الله عنه: «لو أُوصِيَ لأعقلِ النّاسِ صُرِفَ إلى الزُّهّاد»[٤].

فليتَ شِعْري مَن أحقُّ مِن العُلماء بزيادةِ العقلِ وكمالِه!

وقال يحيى بنُ معاذ[٥]: «لو كانت الدُّنيا تِبرًا يفنَى، والآخرةُ خَزَفًا يبقَى، لكان ينبغي للعاقلِ إيثارُ الخَزَفِ الباقي على التِّبْرِ الفاني، فكيف والدُّنيا خَزَفٌ فانٍ، والآخرةُ تِبرٌ باقٍ؟!»[٦].

= أن يسمعا «غريب الحديث»، فكان يحملُ كلَّ يومٍ كتابَه ويأتيهما في منزلهما فيحدِّثُهما فيه. قال الخطيب البغدادي: إنّما امتنعَ أبو عبيد من المضيِّ إلى منزلِ طاهر توقيرًا للعلم، ومَضى إلى منزل ابن المدينيِّ وعبّاس تواضعًا وتديُّنًا، ولا وَكَفَ (أي: لا عيب) عليه في ذلك؛ إذ كانا من أهلِ الفضل والمنزلةِ العالية في العلم، وقد فعل سفيانُ الثوريُّ مع إبراهيم بن أدهم مثل هذا.

(١) في (ش): «وليقلل».

(٢) في (د) و(س): «وفنيتها»، وفي (ش): «وقنيتها».

(٣) في (س) و(ش): «بغيها».

(٤) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٨٣-١٨٤).

(٥) هو الإمامُ الواعظ، أبو زكريّا الرازيُّ، حكيمُ زمانه، مِن كبار المشايخ، له كلامٌ جيدٌ، ومواعظ مشهورة، توفي سنة (٢٥٨هـ). «تاريخ بغداد» (١٦: ٣٠٦-٣١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣: ١٥).

(٦) ذكره الغزاليُّ في «الإحياء» (٣: ٢٠٣) من قول الفُضيل بن عياض.

الرّابع: أن يُنزِّهَ عِلْمَهُ عن جعلِه سُلَّمًا يَتوصَّلُ به إلى الأغراضِ[١] الدُّنيويّة؛ مِن جاهٍ، أو مالٍ، أو سُمْعةٍ، أو شُهْرةٍ[٢]، أو خِدمةٍ، أو تقدُّمٍ على أقرانِه[٣].

---

(١) في (ب) و(د): «الأعراض».

(٢) في (د) و(س): «شهوة».

(٣) **قال عبد الإله**: كان شيخنا ينهى طلابه عن مدحه والثناء عليه في المجالس والمحافل، ولا يرضى بنشر اسمه في الكتب والرسائل، وذات مرةٍ كتب أحد طلابه رسالة ماجستير، وخصص في بدايتها صفحة إهداء لشيخنا، ثم أهدى نسخة منها له، فلما فتحها وقرأ الثناء عليه قال له: ماذا يقول أحمد الدوغان يوم القيامة والشافعي يقول: «ودِدتُ لو أن هذا العلم انتشر ولـم يُنسب إليَّ منه شيء»؟! لا أجعلك في حِلّ حتى تزيل هذه الورقة!

وحدَث يومًا أن شيخنا كان في مجلس مع طلابه، ومعهم ضيوف من العلماء والدعاة، فطلب الضيوف أن يتكلم أحد طلابه، فقدَّموني للكلام، وكنت في آخر المجلس، فأضمرت في قلبي أن أمدح شيخنا، وفي طريقي إلى صدر المجلس مررت عليه، فنظر إليَّ نظرة حازمة، ثم قال لي: «إياك والمديح».

وجلس شيخنا يومًا مع أحد طلابه، فأخذ يسأله عن مشايخه ودراسته عليهم، فكان شيخنا يجيبه، ثم انتبه إلى كثرة أسئلة تلميذه، فقال له: «هل تريد أن تعمل لي ترجمة؟ لا تعمل، وقل: أكسل الكسالى أحمد الدوغان».

أما أعجب موقف رأيته منه في كراهيته البالغة لمدحه والثناء عليه فقد كان الموقف العصيب الذي حدث عندما ألقَى أحد طلابه قصيدة كاملة، تفيض لشيخنا بمعاني الحب والوفاء، والمديح والثناء، وكان ذلك في مجلس الشيخ أحمد آل الشيخ مبارك المالكي رحمه الله (١٣٣٧-١٤٣١هـ)، وبحضور الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي رحمه الله (١٣٣٦-١٤١٧هـ) أثناء زيارته للأحساء عام ١٤١٢هـ، وقد كان شيخنا يظن أن القصيدة ستكون في مدح الشيخ عبد الفتاح، فلما شرع تلميذه في قصيدته أخذ وجه شيخنا يتلون، وامتلأت عيناه بالدموع، واختنقت الكلمات في حنجرته، ولم يستطع أن يزيد على قوله: «هذه مبالغة، لستُ أهلًا لذلك»، فرد عليه الشيخ عبد الفتاح: «نعم، مبالغة في التقصير»، فلما انتهى المجلس، وخلا شيخنا بتلميذه، عاتبه عتابًا شديدًا، وأخذ عليه العهود والمواثيق أن يتلف القصيدة بدفنها أو إحراقها، وألا يُظهرها لأحد.

قال الإمام الشافعيُّ رضيَ الله عنه: «وددتُ أنّ الخلقَ تعلَّموا هذا العلمَ على ألّا يُنسَبَ إليَّ حرفٌ منه»(١).

وكذلك يُنزِّهه عن الطَّمَع في رِفْقٍ مِن طَلَبَتِه؛ بمالٍ، أو خدمةٍ، أو غيرهما؛ بسبب اشتغالِهم عليه، وتردُّدِهم إليه.

كانَ منصورٌ(٢) لا يَستعينُ بأحدٍ يَختلِفُ إليه في حاجةٍ(٣).

وقال سفيانُ بنُ عُيَينة: «كنتُ قد أُوتيتُ فهمَ القرآن، فلمّا قَبِلْتُ الصُّرّةَ مِن أبي جعفرٍ سُلِبْتُهُ»(٤). نَسأَلُ اللهَ تعالى المسامحة(٥).

الخامس: أنْ يَتنزَّهَ(٦) عن دنيءِ المكاسبِ ورَذِيـلِها طبعًا، وعن مكروهِها عادةً وشرعًا؛ كالحِجامةِ والدِّباغةِ، والصَّرفِ والصِّياغة(٧).

وكذلك يَتجنَّبُ مواضعَ التُّهَم وإنْ بَعُدَت، ولا يَفعلُ شيئًا يَتضمَّنُ نقصَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» ص٢٤٨، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١: ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) هو الحافظُ الثَّبتُ القدوةُ، أبو عَتّاب، منصور بن المعتمر السُّلَميُّ الكوفي، كان من أوعية العلم، صاحب إتقانٍ وتألُّهٍ وخير، توفي (١٣٢هـ). «تهذيب الكمال» (٢٨: ٥٤٦-٥٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٠٢-٤١٢).

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٤٥).

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٤٣).

(٥) وقع في هامش (ب) ما نصه: «ورُوِيَ عن أحد أئمة القرّاء ـ وأظنُّه حمزة رحمه الله ـ أنّه كان يمشي في الشَّمس، ولا يَستظِلُّ بالجدران؛ مخافةَ أن يكون لبعضِ من قرأ عليه، فيكون قد انتفعَ من جِهتِه بعوضٍ عن القراءةِ وتعليمِه».

(٦) في (د) و(يه): «ينزهه».

(٧) في (ب): «في الصياغة».

مروءةٍ، أو ما يُسْتَنْكَرُ ظاهرًا، وإنْ كان جائزًا باطنًا؛ فإنّه يُعَرِّضُ نفسَه للتُّهمة، وعِرضَهُ للوقيعة، ويُوقِعُ النّاسَ في الظُّنون المكروهةِ، وتأثيم الوقيعة، فإنِ اتَّفقَ وقوعُ شيءٍ مِن ذلك مِنه لحاجةٍ أو نحوِها، أخبرَ مَن شاهدَه بحُكمِه، وبعُذره ومقصوده؛ كي لا يأثَمَ بسببه، أو ينْفرَ عنه، فلا ينتفعَ بعلمِه، وليستفيدَ ذلك الجاهلُ به، ولذلك قال النّبيُّ ﷺ للرَّجلين لمّا رأياهُ يَتحدَّثُ مع صفيّةَ فوَلَّيا: «على رِسْلِكُما، إنّها صفيّةُ[١]»، ثمَّ قال: «إنّ الشّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدمَ مَجْرى الدَّم، فَخِفْتُ أنْ يَقذِفَ في قلوبكما شيئًا»[٢]. ورُوي: «فتَهلِكا»[٣].

السّادس: أنْ يُحافظَ على القيامِ بشعائرِ الإسلام، وظواهرِ الأحكام؛ كإقامة الصَّلَوات في مساجدِ الجماعات[٤]، وإفشاءِ السَّلام للخواصِّ والعوام، والأمرِ

---

(١) بعدها في (س): «بنت حيي».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (٣٢٨١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب السلام، باب بيان أنه يُستحب لمن رُئي خاليًا بامرأة، وكانت زوجة أو محرمًا له، أن يقول: هذه فلانة؛ ليدفع ظن السوء به، (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها.

(٣) لم أقف عليها مسندة، وذكرها القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٧: ٦٣).

(٤) **قال عبد الإله:** كان شيخنا محافظًا على صلاة الجماعة في المسجد إلى آخر حياته، ولم ينقطع عن المسجد إلا بعد أن أقعده الوهن وأثقله المرض، فكان من عادته أن يستعد لها قبل دخول وقتها بحيث يمكنه أداء سنتها القبلية في المسجد، وإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام، وإذا كان في زيارة فقد كان يسأل عن الوقت المتبقي لدخول وقت الصلاة، ويسأل عن الوقت اللازم للوصول إلى بيته، ثم ينهض في الوقت المناسب الذي يمكنه من إدراك الصلاة وراتبتها، ولم يكن يمنعه عن صلاة الجماعة وجود ضيوف في مجلسه، بل كان يستأذن منهم وينصرف للاستعداد لمناجاة ربه.

ومن شواهد حرصه الشديد على صلاة الجماعة في المسجد أنه دُعي إلى وليمة غداء، فتأخر أصحاب الضيافة عن تقديم طعامهم حتى أوشك وقت صلاة العصر على الدخول، =

....

= فقام شيخنا ونزع بِشته، وجعله في مكانه؛ مُوهمًا أصحاب الضيافة أنه سيذهب لقضاء الحاجة؛ لئلا يُوقعهم في حرج، ثم أشار لأحد أقاربه أو طلابه أن يتبعه، فذهب معه بسيارته إلى البيت، وأخذ بِشتًا آخر، وذهب إلى المسجد كعادته، وأدى صلاته بسننها الرواتب وأذكارها الشرعية.

وقد علم طلاب شيخنا محافظته على صلاة الجماعة، فكانوا ينتظرونه عند باب بيته قبل الصلاة، فإذا خرج ركب معهم إلى المسجد، وذكر أحد طلابه أنه قصد بيت شيخنا ليصطحبه إلى المسجد في الوقت المعتاد، فلم يجده على عادته، فظن أن أحد طلابه سبقه في هذه الصحبة الطيبة، فاتجه نحو المسجد بسيارته، وما هي إلا لحظات فإذا به يرى شيخنا يمشي وحيدًا إلى المسجد، متكئًا على عصاه، يمشي قليلًا ويتوقف قليلًا، وكان حينها في التسعين من عمره.

وقد كان شيخنا يؤكد على طلابه الاهتمام بصلاة الجماعة في المسجد، فقال لأحد طلابه: هل تعرف عبد السوء؟ فقال: لا، فقال: «عبد السوء هو الذي ينتظر أن يناديَه مولاه». يقصد أنه لا يذهب إلى المسجد إلا إذا سمع الأذان.

هذا بعض ما يتعلق بشيخنا، ولم يكن مشايخنا الآخرون بأقل منه في الحرص على صلاة الجماعة، أما قيام الليل، فقد كان لهم منه حظ وافر، وكانت عناية الله بهم ظاهرة، فهذا هو الشيخ محمد الخطيب الشافعي رحمه الله (١٣٣١-١٤١٩هـ) يواظب عليه، وذات يوم رجع من مزرعته متعَبًا، فنام حتى كاد يفوته القيام، فرأى في منامه امرأة تقول له: تريد الجنة وتنام عنها! فاستيقظ وصلى ما كتب الله له، ولم يترك قيام الليل بعد ذلك. وكان وِرده من القرآن ثمانية أجزاء في الليل. أما الشيخ عبد العزيز العبيد الله الشافعي رحمه الله (١٣١٨-١٤٠٨هـ) فقد كان ورده من القرآن عشرة أجزاء يوميًا، بل كان يختمه أحيانًا في يوم واحد. ومن العلماء المكثرين من تلاوة القرآن الشيخ محمد أبو بكر الملا الحنفي رحمه الله (١٣٢٢-١٣٩٥هـ)؛ فقد قرأ خمسة عشر جزءًا في جلسة واحدة، وكان يؤتَى بطعامه إلى المسجد، فيخاطب نفسه قائلًا: «والله لن تأكلي حتى تراجعي كذا وكذا جزءًا من القرآن».

أما الشيخ عبد العزيز العلجي المالكي رحمه الله (١٢٩٠-١٣٦٢هـ) فقد كان يختم القرآن كل ليلة جمعة في قيام الليل، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وكان وِرد جَدي الشيخ محمد ابن حسين العرفج الشافعي رحمه الله (١٢٧٨-١٣٦٠هـ) أربعة أجزاء يوميًا، وبلغ من =

بالمعروف، والنّهيِ عن المنكَر، والصَّبرِ على الأذى بسبَبِ ذلك، صادعًا بالحقِّ عند السَّلاطِين[1]، باذلًا نفسَهُ لله، لا يَخافُ فيه لومةَ لائمٍ، ذاكرًا قولَه تعالى:

= تعلقه بالقرآن أنه كان يقرؤه، فيغلبه النوم، فيستيقظ ويمسح وجهه، ويستعيذ بالله، ثم يكمل من الآية التي توقف عندها.

(١) **قال عبد الإله**: حفِظت لنا المؤلفات العلمية والوثائق الأحسائية نماذج من قيام العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة أولياء الأمور، فضلًا عن عامة المسلمين، كل ذلك بسلطان الكلمة واللسان، فمن ذلك:

١. نصيحة القاضي الشيخ محمد سعيد العمير الشافعي رحمه الله (١١١٠-١٢٠٣هـ) للأمير دويحس بن عريعر أمير الأحساء في المدة من ١٢٠٠هـ إلى ١٢٠٤هـ، يعظه فيها ويذكره بواجبات الراعي، وقد آثر الشيخ أن تكون نصيحته للأمير قصيدةً شعريةً، قال في آخرها:

فإن تُرِد طِيبَ عَيشٍ في نَسا أَجَلٍ ... وهيبـةً تشـمَلُ الأدنى ومَـن غَرَبا
فـراقِـبِ اللهَ واعــدِلْ فـي بَـرِيَّـتِـهِ ... فالعــدلُ أقربُ للحُســنى إذا وَصَبا

....

فــإنْ قبلــتَ بإحســانٍ فأنــتَ حَرٍ ... بأكرم النُّزْلِ فــي الأُخرى مع النُّجَبا
وما عليَّ سِوى نَدْبي وقمتُ به ... ومـا علـيَّ إذا خالفــتُ مَــن نَدَبا
لكِنْ رَجَوتُ لِمَا يَمَّمْتُ مِن حَسَنٍ ... مَحْضَ القَبُــولِ بمَيلٍ يُوجِبُ الوَهَبا

٢. نصيحة أخرى للقاضي الشيخ محمد سعيد العمير الشافعي رحمه الله للوزير سلطان الملحم، وزير أمراء بني خالد في وقته، ينصحه فيها بعدم الاغترار بالدنيا والملك، ويذكره بمن سلف من الملوك والسلاطين، وقد جاءت نصيحته على هيئة رسالة علمية مؤلَّفة من ثلاثة فصول، وقد جاء في آخرها: «وأنا أقول لك أيها الوزير كما قال هؤلاء الأشياخ، إلى ما قد قلت لك، مبالغًا في نصحك، إشفاقًا عليك من هذا المقام، القليل غناؤه، الكثير عناؤه، ورجاء لسلامتك، وحصول نجاتك وكرامتك، وقيامًا بحق النصح الواجب على مثلي لمثلك، فقد قال ﷺ: «الدين النصيحة، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»، وقال ﷺ: «إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده»، ولم أقل لك إلا ما أقوله لنفسي، وأدعوها إليه، وأحرضها عليه، وأقوله لكل أحد، رغبةً في الثواب، من رب الأرباب، فاحرص يا أخي على أن تكون لما رسمتُه لك متأملًا، وعليه معوّلًا؛ إذ هو الحق المبين، والمنهج الذي سلوكه =

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وما كان سيِّدُنا

= متعين، واتخذه لك مخاطبًا، وجليسًا مصاحبًا، تفز بخير الأمل، إن أتبعت ذلك بحسن العمل، وذلك جزاء مَن محَّض لك نصيحته، وامتحن في جمعه قريحته، وقضى في تأليفه أيامًا، وأعمل في ترتيبه أقلامًا، آملًا أن يعم النفع به، ويفوز من أخذ به، وتمسك بسببه، لا مبتغيًا عوضًا، ولا قاصدًا عرضًا، فإن قابلت ذلك بالقبول، والعمل الخالص الموصول، كنت لنفسك ناصحًا، ولها نافعًا، وعنها دافعًا، وإلا فالذي لك عليَّ قد أديتُه، وإليك أنهيته، والله سبحانه هو الفاعل، ومنه التوفيق لكل عامل، وأسأله سبحانه أن يجعلنا وإياك ممن عرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاجتنبه ومنعه...».

٣. مقابلة الشيخ راشد آل الشيخ مبارك المالكي رحمه الله (١٢٧٣-١٣٤٠هـ) للخليفة العثماني السلطان عبد الحميد في الأستانة سنة ١٣١٥هـ، ومطالبته بإصلاح أوضاع الأحساء، ولكن مطالبه لم يُلتفت إليها؛ لأن الضعف قد كان يدب في جسد الدولة الإسلامية.

٤. ردود الشيخ عبد العزيز العلجي المالكي رحمه الله (١٢٩٠-١٣٦٢هـ) على شبهات العصرانيين المفتونين بالحضارة الغربية، وله في هذا المجال عدة قصائد، وفي إحداها ردّ على أمين الريحاني بزعمه أن حجاب المرأة علامة على التخلف والرجعية، فقال في قصيدته:

ولقد عجبنا والعجائبُ جَمّةٌ ... من فِريةٍ جاءتْ عن الرَّيحاني
زَعَمَ الجَهولُ بأن إخفاءَ النِّسا ... من مُوجباتِ الذمّ والنُّقصانِ
فإذَنْ أقولُ مخاطِبًا هذا الذي ... يروي خُرافاتٍ عن الشيطانِ
وأصونُ آياتِ الكتابِ وقدْرَها ... من أن أُجيبَ بها ذَوي الطُّغيانِ
لكن بمعقولٍ أتى عن فِطرةٍ ... قد نُوِّرَتْ بالشرع والبُرهانِ
إنّ النساءَ مَواضعٌ لودائعٍ ... نُطَفٍ تكونُ لأشرفِ الأكوانِ
فإذا بَرَزْنَ وخالطتْ مَن تشتهي ... ضاعتْ لديها نِسبةُ الإنسانِ
فافهمْ لحكمةِ محسنٍ صُنْعَ الوَرَى ... لا ما تقولُ بجهلِكَ الفتّانِ
واسمَعْ مِثالًا واعتبِرْ فلربما ... أبدَى المثالُ غرائبَ الإحسانِ
تُلفيكَ إنْ أودعتَ حَضْبا لؤلؤًا ... تختِمُ عليها خِيفةً من جانِ
أتضاعُ كلُّ كريمةٍ في قومِها ... ويُصانُ ذَيّاكَ الحقيرُ الداني
ما كان أشبَهَ جهلَكُم بطباعِكمْ ... وطباعُكمْ وعلومُكمْ سِيّانِ
أنتم خَفافيشٌ وجِعلانٌ على ... طِيبِ الروائحِ أو سَنا النيرانِ =

رسولُ الله ﷺ وغيرُه مِن الأنبياءِ عليهم السَّلامُ عليهِ مِن الصَّبر على الأذى، وما كانوا يَتحمَّلونه في الله تعالى، حتَّى كانت لهم العُقْبى، وكذلك القيامُ بإظهارِ السُّنَن، وإخمالِ[١] البِدَع، والقيامِ لله تعالى في أمور الدِّين، وما فيه[٢] مصالحُ المسلمِينَ على الطَّريقِ المشروع، والمسلكِ المطبوع، مجتهدًا[٣].

ولا يَرضَى مِن أفعالِه الظَّاهرةِ والباطنةِ بالجائز منهما[٤]، بل يأخذُ نفسَهُ بأحسنِها وأكملِها؛ فإنّ العلماءَ هم القُدوةُ، وإليهم المرجعُ في الأحكام، وهم حُجّةُ الله تعالى على العوام، وقد يُراقِبهم للأخذِ[٥] عنهم مَن لا يَنظرون، ويَقتدي بهديهِم مَن لا يعلمون، وإذا لم يَنتفعِ العالِمُ بعلمِه، فغيرُه أبعدُ عن[٦]

= ٥. مناشدة علماء الأحساء ووجهائها للملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله أن يجاهدَ ضد الظلم الواقع على فِلَسطين، فقد رفعوا برقية لجلالته جاء فيها: «جلالة سيدنا الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، أيده الله بنصره، أهالي الأحساء ونواحيه يستهجنون القرار المنكر المبرم على الديار المقدسة فلسطين المنكودة، ومندفعين بغيرتهم الدينية وحميتهم العربية يحتجون بكل شدة على الخطة المصوبة لصميم حرمهم الثالث، وينزهون جلالتكم عن إقرار تلك الطعنة النجلاء في قلب المسلمين والعرب، ويؤمنون بأن مواجهة كافة التجزئة بالصمت والاستسلام منكر وبغي، يؤثّمون عليه شرعًا، ويطلبون من جلالتكم باسم الدين والأخوة العربية أن تجاهدوا ـ كما هي عوائدكم التي يشهد لكم بها التاريخ ـ بكل ما أُوتيتم من المواهب الدينية والدنيوية ضد هذا الظلم الفادح والإهانة الشنيعة التي تهون دونها النفوس، ومنتظرين من جلالتكم تأييدنا في هذا الحق الشرعي، لا زلتم ذخرًا للإسلام والعروبة».

(١) في (ب): «وإنكار»، وفي (ف): «وإدحاض».
(٢) بعدها في (ظ): «من».
(٣) لفظ: «مجتهدًا» من (د)، ونسخة كما في هامش (يه).
(٤) في (ر) و(ش) و(ف): «منها».
(٥) في (د) و(ف) و(يه): «الآخذ»، وفي (ب): «في الأخذ».
(٦) في (ب) و(يه): «من».

الانتفاع به، كما قال الشافعيُّ رضيَ الله عنه: «ليسَ العلم ما حُفِظَ، العلمُ ما نَفَعَ»[١]، ولهذا عظُمَت زَلّةُ العالِم؛ لِمَا يَترتَّبُ عليها مِن المفاسدِ؛ لاقتداءِ النّاس به.

السّابع: أنْ يُحافِظَ على المندوباتِ الشرعيّة؛ القَوْليّة والفِعْليّة[٢]، فيلازِمَ تلاوةَ القرآن، وذكرَ الله تعالى بالقلبِ واللّسان، وكذلك ما وردَ مِن الدَّعواتِ والأذكار في آناءِ اللَّيل والنّهار، ومِن نوافلِ العبادات؛ مِن الصَّلاةِ والصِّيامِ، وحجِّ البيتِ الحرام[٣]، والصَّلاة على النّبيِّ ﷺ؛ فإنّ محبَّتَهُ[٤] وإجلالَهُ وتعظيمَهُ واجبٌ[٥]، ....

(١) سلف ص٨٩.

(٢) قوله: «القولية والفعلية» ليس في (ب) و(د) و(ف).

(٣) **قال عبد الإله**: من السنن التي كان شيخنا يحافظ عليها إلى آخر حياته جلسة الإشراق بعد صلاة الفجر، وكان يشغلها بأذكار الصباح وقراءة القرآن الكريم، فإذا أشرقت الشمس وارتفعت، أدى صلاة الضحى، وكان خلال جلسته محافظًا على مكانه الذي صلّى فيه صلاة الفجر حتى لو لم يكن مستنِدًا إلى شيء، ولا يقوم عنه إلى موضع آخر؛ حرصًا على أن يشمله قول رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة، تامة تامة تامة»، رواه الترمذي، فلاحَظ أحد جماعة المسجد أن شيخنا يتكلف في جلسته دون أن يستند إلى شيء، فأحضر مسندًا متحركًا، فكان يُقرّبه لشيخنا بعد صلاة الفجر، فكان يُسند ظهره إليه، فكان من وفاء شيخنا لذلك الرجل أنه يدخل المسجد فيراه يقرأ القرآن الكريم، فيُقرّب إليه المسند المتحرك؛ ليستند إليه، وقد حافظ شيخنا على هذه السُّنة إلى أن كثرت أوجاعه، وصار لا يستطيع المكث في المسجد مدة طويلة، فكان يكمل جلسة الإشراق في منزله، وكان يفعل بين العشاءين مثل ما يفعل بعد صلاة الفجر.

(٤) في (ب) و(ف): «ومحبته»، وفي (س) و(ش): «فإن تحيته».

(٥) لفظ: «واجب» ليس في (ب) و(ف).

والأدبَ عند سماعِ اسمهِ وذِكْرِ سنّتِه مطلوبٌ وسُنّـةٌ(١)(٢).

كان مالكٌ رضي الله تعالى عنه إذا ذُكر النّبيُّ ﷺ يَتغيَّرُ لونُه ويَنحني، وكان جعفرُ بنُ محمَّدٍ(٣) إذا ذُكِرَ النّبيُّ ﷺ عندَه اصفرَّ لونُه، ....

---

(١) قوله: «مطلوب وسنة» ليس في (ب) و(ف).

(٢) **قال عبد الإله**: كان شيخنا يغرس في نفوس أهله وطلابه حب النبيّ ﷺ واتباع سُنته، وكان يعلّمهم ذلك بحاله قبل مقاله، فكانت قصص السيرة النبوية تؤثر فيه تأثيرًا كبيرًا، ويتفاعل معها حسب طبيعة مواقفها، فيتغير لونه، وترتعد فرائصه، فقد كان مرّة يقرأ مع صاحبه الشيخ عبد اللطيف الحسين العرفج الشافعي رحمه الله (١٣٢٥-١٤٠٩هـ) في «السيرة الحلبية» بين العشاءين في مسجد العمير في حي الكوت، وكنت معهما، وأثناء القراءة رفع شيخنا الكتاب، وأخفى وجهه عن ناظريه، ثم اهتز جسده اهتزازًا بيّنًا، فلما هدأ أنزل الكتاب برفق، وكأن شيئًا لـم يكن، أما الموقف التالي فلم يتمكن شيخنا من إخفاء حاله، بل إنه كاد ينهار بسببه، فقد كان شيخنا في درسه مع طلابه في مسجد الحليبي في حي الخالدية، وكنت حاضرًا معهم، وكان القارئ يقرأ «صحيح مسلم» بشرح النووي، فجاءت قصة النبيّ ﷺ عندما اعتزل نساءه شهرًا، وأن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن عليه في الـمشرُبة، فدخل على النبي ﷺ وهو مضطجع على حصير، وليس عليه إلا إزاره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، ورأى في خزانته ﷺ قبضة شعير، وقَرَظًا في ناحية الغرفة، فبكى، فقال ﷺ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» فقال: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، فقال ﷺ: «يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» فقال: بلى، انتهى، ففعلتْ هذه القصة في شيخنا فعلها، وكأني برُوحه طارت حتى رفرفت حول تلك الحُجُرات، وانتشقت من عبير تلك النفحات، فأخذ شيخنا يضرب فخذه بيده ضربًا شديدًا عدة مرات حتى هدأ، ولقد بلغ حب شيخنا للنبي ﷺ وإجلاله له أنه كان ينصح طلابه إذا كانوا في الحرم النبوي، وأرادوا الانصراف منه بعد أداء صلواتهم، ألا يُلقوا أحذيتهم على الأرض إلقاء، بل كان ينصحهم أن يضعوها على الأرض وضعًا رفيقًا؛ احترامًا لموضع قد تكون وطِئته أقدام رسول الله ﷺ.

(٣) هو الإمام التّابعيُّ الصّادق، جعفر بن محمَّد بن علي بن أبي عبد الله الحسين بن علي بن =

وكان ابنُ القاسم[١] إذا ذُكِرَ النّبيُّ ﷺ يَجِفُّ لسانُه في فيه؛ هيبةً لرسول الله ﷺ[٢].

ويَنبغي له إذا تَلا القرآن أنْ يَتفكَّرَ في معانيه، وأوامرِه ونواهِيه، ووَعْدِه ووَعِيدِه، والوقوفُ عندَ حدودِه[٣]، وليَحذَرْ من نسيانِه بعدَ حفظِه؛ فقد وَرَدَ في الأخبار النبويّة ما يَزجُرُ عن ذلك[٤].

والأَوْلَى أنْ يكونَ له منه في كلِّ يومٍ وِرْدٌ راتبٌ، لا يُخِلُّ به، فإنْ غُلِبَ عليه فيومٌ ويوم، فإنْ عجزَ ففي ليلتي الثُّلاثاء والجُمُعة؛ لاعتيادِ بطالةِ الاشتغالِ فيهما[٥].

= أبي طالب رضي الله عنهما، القرشيُّ الهاشميُّ العلويُّ النّبويُّ المدني، أحدُ الأعلام، توفِّي سنة (١٤٨هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦: ٢٥٥-٢٧٠).

(١) هو الإمام التابعيُّ، أبو محمد، عبدُ الرَّحمن بنُ القاسم بنِ محمَّد بن أبي بكر الصِّديق رضيَ الله عنه، قال ابنُ عيينة عنه: كان أفضلَ أهل زمانه، وهو خالُ جعفر الصّادق، توفي سنة (١٢٦هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦: ٥-٦).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض ص٥٢١-٥٢٢.

(٣) قوله: «والوقوف عند حدوده» ليس في (ب) و(ف).

(٤) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي ص٧٥-٧٦.

(٥) **قال عبد الإله**: جرت عادة علماء الأحساء أن يوقفوا دروسهم العلمية في مساجدهم ومدارسهم الشرعية يومي الثلاثاء والجمعة، ويبدو أن معظم المدارس الشرعية في العالم الإسلامي كانت تتخذ من هذين اليومين إجازةً عن التدريس كما أشار المؤلف، وكان علماؤنا يُشغلون يوم الثلاثاء باستدراك مسؤولياتهم التي تفوتهم أيام تدريسهم، كقضاء مصالحهم وزيارة أرحامهم وزيارة بعضهم لبعض، ويشغلون يوم الجمعة لمزيد من الأوراد والأذكار، ويخصصون الغالب من وقتهم للصلاة والسلام على سيد الأبرار ﷺ، ونظرًا لاختلاف المذاهب الفقهية لعلماء الأحساء فقد كانوا حريصين أشد الحرص على توثيق روح الأخوة الإسلامية فيما بينهم، وتوريثها لطلابهم، وكانوا يغتنمون بعض أيام الثلاثاء لزيارة بعضهم بعضًا مع طلابهم، وكانت معظم تلك اللقاءات الثلاثائية تُعقد في البساتين، حتى سُمي يوم الثلاثاء بيوم البساتين، وفي تلك اللقاءات كانت روح التسامح المذهبي =

وقراءةُ القرآن في كلِّ سبعةِ أيّام وِرْدٌ حسنٌ، وَرَدَ[١] في الحديثِ[٢]، وعَمِلَ به أحمدُ بنُ حنبل[٣]، ويُقال: مَن قرأ القرآنَ في كلِّ سبعةِ أيّام لم يَنْسَهُ قطّ[٤].

الثّامن: معاملةُ النّاس بمكارمِ الأخلاق؛ مِن طلاقةِ الوَجهِ، وإفشاءِ السَّلام، وإطعامِ الطَّعام، وكَظْمِ الغَيظِ، وكَفِّ الأذى عن النّاس، واحتمالِه مِنهم[٥]،

= تتجلى بأبهى صورها، وذلك بطرح المسائل العلمية وبحثها ومناقشتها، وكانت تلك المجالس لا تخلو من الفوائد الأدبية والقصص التربوية، وكان طلاب العلم ينظرون إلى مشايخهم، ويتعلمون منهم الأدب وحسن الخلق كما يتعلمون منهم العلم.

(١) بعدها في (س): «ذلك».

(٢) أخرج البخاريُّ في «صحيحه»، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ، (٥٠٥٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الصيام، باب النّهي عن صوم الدهر، (١١٥٩): (١٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقرأ القرآنَ في شهرٍ»، قلت: إنّي أجدُ قوّةً، حتى قال: «فاقْرَأْهُ في سَبعٍ، ولا تَزِد على ذلك».

(٣) قوله: «وعمل به أحمد بن حنبل» ليس في (ب) و(ف).

(٤) من قوله: «والصَّلاة على النبي ﷺ فإنَّ محبَّتَهُ» إلى هنا ليس في (د).

(٥) **قال عبد الإله**: عاش شيخنا في مرحلة زمنية وبيئة مكانية ظهر فيها على الساحة الدينية أفكار ومذاهب وطوائف تخالف منهجه العلمي، فحرص أشد الحرص على أن يـجنب مدرسته الدخول في صراعات فكرية، أو خصومات مذهبية، أو نزاعات طائفية، فكان ينهى طلابه عن التطرق لنقد مدارس المخالفين، ويعُد هذا من ضياع الأعمار والأوقات، فسار بمدرسته بين أشواك الخلاف وألغام التعصب، حتى أرساها في بر الأمان، وقد اشتد عودها، واستوت على سُوقها، ورغم أن شيخنا ضُويق بسبب منهجه العلمي في شخصه وطلابه، فقد حافظ على توازنه النفسي، وسـموّه الخلقي، فلم يستطل بلسانه ومدرسته في مقارعة خصومه، بل قرر منهجه، ورسّخه في نفوس طلابه، وكأنه يتبع الحكمة القائلة: «بدلًا من أن تذم الظلام أوقد شمعة»، وإذا تعرّض للأذى والإساءة ترفَّع عن مقابلتها بمثلها، ولم يسمح لأحد أن يستدرجه في معارك فكرية جانبية، تضيّع عليه وقته وجهده وطاقته، وتصرفه عن هدفه ورسالته، وهذا الأمر ـ مع دلالته على حلم شيخنا ـ دليل عظيم على إخلاصه في مشروعه العلمي؛ إذ إن كثيرًا من الأنشطة العلمية والدعوية تبدأ خالصةً لوجه الله، ثم ما =

والإيثارِ، وتركِ الاسْتِئثار، والإنصافِ، وتركِ الاستنصاف، وشكرِ التَّفضُّل، وإيجادِ الرّاحة، والسَّعيِ في قضاءِ الحاجات، وبذلِ الجاهِ في الشَّفاعات، والتَّلطُّفِ بالفقراء، والتَّحبُّبِ إلى الجِيرانِ والأقرباء، والرِّفقِ بالطَّلبة، وإعانتِهم وبِرِّهم، كما سيأتي إنْ شاء اللهُ تعالى[١].

وإذا رأى مَن لا يُقيمُ[٢] صلاتَه، أو طَهارتَه، أو شيئًا مِن الواجباتِ عليه، أرشدَهُ بتَلَطُّفٍ ورِفْقٍ، كما فعل رسولُ الله ﷺ مع الأعرابيِّ الذي بالَ في المسجد[٣]، ومع معاويةَ بنِ الحَكَم لمّا تكلَّم في الصَّلاة[٤].

= تلبث ـ تحت مطرقة المواجهات الفكرية والخلافات العلمية ـ أن تنحرف عن مسارها، وتنتصب النفس مطالبة بحقوقها وحظوظها. ومن الأمثلة على ذلك أنه كان يومًا في الحرم المكي أو المدني، وبيده السُّبحة، يذكر الله تعالى بها، فأتاه شاب صغير وقال له: السُّبحة بدعة؛ فما كان من شيخنا إلا أن أدخل السبحة في جيبه، من غير نقاش أو جدال.

أما الموقف العجيب الدال على حكمة شيخنا، وترفعه عن الجدال والمراء، وتحمله الأذى والسفه، فملخصه أنه صلى صلاة العشاء ذات ليلة إمامًا في مسجده، فجهر بالبسملة كما هو مذهب الشافعية، وكان في المسجد داعية غير فقيه، فقام أمام المصلين ينكر على شيخنا جهره بالبسملة، ولم يراعِ رأيًا ولا مذهبًا، فالتزم شيخنا صمت العلماء، وعلاه وقار الحكماء، إلى أن انتهى ذلك الداعية من إنكاره، ثم مضى شيخنا في حال سبيله، آخذًا بالعفو، وآمرًا بالعُرف، ومعرِضًا عن الجاهلين، مقبِلًا على إتمام مشروعه العلمي وبنائه التربوي، ومؤكدًا أن التسامح مع الآخرين لا يعني التنازل عن المبادئ.

(١) انظر ما سيأتي ص١٥٩-١٦١.

(٢) في (يه): «لا يتم»، والمثبت نسخة في هامشها.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الوضوء، باب صبِّ الماء على البول في المسجد، (٢٢١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الطهارة، باب وجوب غَسل البول وغيره من النّجاسات، (٢٨٤) من حديث أنس بن مالك رضيَ الله عنه، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في =

التاسع: أن يُطَهِّر باطنَه وظاهرَهُ مِن الأخلاقِ الرديّة، ويَعمُرَهُ بالأخلاق المرضيّة، فمن الأخلاقِ الرَّدِيّة: الغِلُّ، والحَسَد[١]، والبَغيُ، والغضبُ لغيرِ الله تعالى، والغِشُّ، والكِبْرُ، والرِّياءُ، والعُجْبُ[٢]، والسُّمْعةُ، والبُخْلُ، والخُبْثُ، والبَطَرُ، والطَّمَعُ، والفَخْرُ، والخُيَلاءُ، والتَّنافسُ في الدُّنيا، والمباهاةُ بها، والمداهنةُ، والتَّزيُّنُ للنّاس، وحبُّ المدحِ بما لم يَفعل، والعَمَى عن عيوبِ النّفس، والاشتغالُ عنها بعيوبِ الخَلْق[٣]، والحَمِيّةُ والعَصَبيّةُ لغيرِ الله تعالى، والرَّغبةُ والرَّهبةُ لغيرِه، والغِيبةُ والنّميمةُ، والبُهتانُ والكذِبُ، والفُحشُ في القولِ، واحتقارُ النّاسِ ولو كانوا دونَه.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن هذه الصِّفاتِ الخبيثة، والأخلاقِ الرَّذيلة؛ فإنّها بابُ كلِّ شرٍّ، بل هيَ الشَّرُّ كلُّه.

وقد بُلِيَ بعضُ أصحابِ النُّفوسِ الخبيثةِ من فقهاءِ الزَّمان بكثيرٍ مِن هذه الصِّفات - إلّا مَن عَصَمَ[٤] الله تعالى - ولا سيّما الحَسَدُ، والعُجْبُ، والرِّياءُ، واحتقارُ النّاس. وأدويةُ هذه البليّةِ مستوفًى في كتبِ الرَّقائق[٥]، فمَن أرادَ تطهيرَ

= الصلاة، (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم رضيَ الله عنه.

(١) في هامش (يه): «نسخة: والحقد».

(٢) في هامش (يه): «نسخة: والحسد».

(٣) في هامش (يه): «نسخة: الناس».

(٤) في (ب) و(ف): «عصمه».

(٥) وقع في هامش (يه) ما نصه: «مثل «منهاج العابدين»، وكتاب «الأربعين»، و«إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي، و«الرعاية» للحارث بن أسد المحاسبي رحمهم الله تعالى».

ووقع في هامشها أيضًا ما نصه: «الرقائق جمع رقيقة، قال ابن الأنباريّ: والرقيق من اللفظ: ما سهل منه وعذب».

نفسِه مِنها فعليه بتلك الكتُب، ومِن أنفعِها كتابُ «الرّعاية» للمُحاسِبيّ[1] رحمه الله تعالى[2].

ومِن أدويةِ الحسَد[3] الفِكرُ بأنّه اعْتِراضٌ على الله سُبحانه وتعالى في

---

(١) وقع في هامش (يه) ما نصه: «منسوب إلى الحساب... يحاسب نفسه».

(٢) هو الزّاهدُ العارف، أبو عبد الله، الحارثُ بنُ أسدٍ البغداديُّ، صاحبُ التّصانيف الزُّهديّة، تُوفي سنة (٢٤٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٣: ١١٠-١١٢)، وكتابه «الرعاية» طُبع غير مرة.

(٣) **قال عبد الإله**: الحسد صفة من الصفات التي قلما يسلم منها أحد، وقديمًا قيل: «ما خلا جسد من حسد، ولكنّ الكريم يخفيه، واللئيم يبديه»، وقد سلَّم الله شيخنا من هذه الصفة، فكان كثير الثناء على أصحابه وأقرانه، يُفضّلهم على نفسه، ويجعل سهمهم أعلى من سهمه، فمن ذلك أن الشيخ عبد العزيز العبيد الله الشافعي رحمه الله (١٣١٨-١٤٠٨هـ) كان من أصحاب شيخنا، وتتلمذا معًا على الشيخ عبد العزيز العلجي المالكي رحمه الله (١٢٩٠-١٣٦٢هـ) في علم العربية، فلما تقدم الشيخ العلجي في العمر، وثقل عن أداء الدروس، أشار على طلاب العلم من حي الكوت أن يستفيدوا من الشيخ العبيد الله، مما يدل على شهادة الشيخ العلجي له بالتفوق في علمِ العربية، فكان شيخنا يذكر تلك الحادثة، ويشيد بصاحبه على مسمع من طلابه، وكان يشيد بالشيخ عبد العزيز الدوغان الشافعي رحمه الله (١٣٢٦-١٣٨٠هـ) في حرصه واجتهاده في طلب العلم، وبالشيخ محمد الجلال رحمه الله (١٣٣٣-١٤٢٩هـ) في إتقان حفظِ القرآن الكريم، وبالقاضي الشيخ محمد الخطيب الشافعي رحمه الله (١٣٣١-١٤١٩هـ) في سرعة حل المسائل الحسابية في المناسخات الطويلة رغم فقد بصره، وبالشيخ عبد الله بو عيسى العمير الشافعي رحمه الله (١٣٤٢-١٤٣٩هـ) في علم الفرائض. ومن ثناء شيخنا على علماء زمانه أنه اتفق له في الحرم المكي حضور آخر درس في تفسير القرآن الكريم للسيد محمد المنتصر الكتاني المغربي المالكي رحمه الله (١٣٣٢-١٤١٩هـ)، وقد أمضى عشرين سنة في تفسيره، وسجد سجدة الشكر، وقال: «والآن أقلد السادة الشافعية، وأسجد سجدة الشكر»، فسجد، وسجد الحضور، وسجد شيخنا معهم، وقال: «ما هذا العلم الواسع! عشرون سنة وهو يفسر القرآن الكريم»، وكان يثني على العلماء الشناقطة؛ لقوةِ ذاكرتهم واتساع حفظهم. وثناءُ شيخنا على أصحابه وأقرانه وعلماء زمانه دليل على سلامة قلبه من داء الحسد.

حكمتِه المقتضيةِ تَخصيصَ[١] المَحسُودِ بالنِّعمة، كما قال الشّاعرُ العربيُّ:

فإنْ تَغْضبوا مِن قِسْـمةِ اللهِ بينَنا ... فَلَلّهُ إذْ لم يُرضِكُمْ كانَ أبصَرا[٢]

مع ما فيه مِن الغَمِّ و[٣]تعبِ القلب، وتعذيبِه بما لا ضررَ فيه على المَحسُودِ.

ومن أدويةِ **العُجْبِ**[٤] تذكُّر أنَّ علمَهُ وفهمَه وجودةَ ذهنِه وفصاحتَهُ وغيرَ

---

(١) في (س): «تخصص».

(٢) البيت لجميل بن عبد الله العذري، كما في «حماسة» أبي تمام بشرح التبريزي (١: ١٦٦-١٦٧)، و«الزهرة» لابن داود الظاهري (٢: ٦٣٨)، و«ديوان جميل» ص١٢٣. قال التّبريزي: أي: إنْ سخطتُم ما قسمَ اللهُ تعالى لكم وجعله نصيبَكم، فلله كان أعلمَ بكم وبقدرِ استحقاقكم لمّا لم يركم أهلًا لأكثر منه. اهـ. وقبله بيتان هما قوله:

أبوكَ حُبابٌ سارقُ الضَّيفِ بُردَهُ ... وجدِّيَ يـا حجّـاجُ فارسُ شَـمَّرا

بنو الصّالحين الصّالحون ومَن يَكنْ ... لآبـاءِ صِـدْقٍ يَلقَهُـم حيثُ سَـيَّرا

(٣) قوله: «الغم و» ليس في (ب) و(د).

(٤) **قال عبد الإله**: كان شيخنا حذِرًا من تسلل الشيطان عبر ثغرات النفس المتطلّعة للشهرة والسمعة، فكان مراقبًا لها في حركاته وسكناته، يخشى عليها أن يدخلها غرور أو عُجب أو كِبر، وخصوصًا إذا أوشك على الدخولِ على طلابه، فقد ذكر ابنه الشيخ عبد العزيز أنه كان يقود به الكرسيّ المتحرك، ويوشك الدخول على طلابه وضيوفه في مجلسه، فكان يسمعه - رغم اشتداد مرضه وتعكُّر مزاجه آخر حياته - يتعوذ بالله من العُجب والغرور، وكان يلتزم الصمت في مجالس العلماء رغم أنه معدود فيهم، وكان كثيرًا ما يردد أبيات الإمام الشافعي رضيَ الله عنه:

أُحِبُّ الصالحينَ ولستُ منهمْ ... لَعلّـي أن أنالَ بهم شـفاعةْ

وأكرَه مَن بِضاعتُه المعاصي ... وإنْ كُنّا سـواءً في البضاعةْ

وكان إذا قرأ خاتمة متن «الزُّبَد» في الفقه الشافعي، ومنها قوله:

وقاصِـرُ الهِمّـةِ لا يُبالي ... يجهلُ فوقَ الجهلِ كالجُهّالِ

يشير بيده عند قوله: «وقاصر الهمة» إلى نفسه، في تواضع وانكسار.

ذلك مِن النِّعم فضلٌ مِنَ الله عليه، وأمانةٌ عنده ليَرعاها حقَّ رعايتِها، وأنّ مُعْطِيَهُ إيّاها قادِرٌ على سَلبِها مِنه في طَرْفةِ عينٍ، كما سَلَبَ بلعام ما عَلّمَهُ في طَرفةِ عينٍ[١]، وما ذلك على الله بعزيز، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومن أدويةِ الرِّياءِ الفكرُ بأنّ الخَلْقَ كلَّهم لا يَقدِرون على نفْعِه بما لم يَقْضِهِ اللهُ تعالى له، ولا على ضرِّه بما لم يُقدِّرهُ اللهُ تعالى عليه، فَلِمَ يُحْبِطُ عملَهُ[٢]، ويضرُّ دينَهُ، ويَشْغَلُ نفسَه بمراعاةِ مَن لا يَملكُ له في الحقيقةِ نَفعًا ولا ضَرًّا؟! مع أنّ اللهَ تعالى يُطلِعُهم على نيّتِه وقُبحِ سريرتِه، كما صحَّ في الحديث: «مَن سَمَّعَ سمَّعَ اللهُ به، ومَن راءى راءى اللهُ به»[٣].

ومن أدويةِ احتقارِ النّاسِ تَدبُّر قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ[٤]﴾ الآية [الحجرات: ١١]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وربَّما كان المحتقَرُ أطهرَ عندَ الله قَلْبًا، وأزكى عَمَلًا، وأخلَصَ نيّةً، كما قيل: «إنّ اللهَ تعالى أخفَى ثلاثةً في ثلاثة: وليَّهُ في عبادِه، ورضاهُ في طاعاتِه[٥]، وغضَبَهُ في معاصِيه»[٦].

---

(١) خبر بلعام أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠: ٥٧٦-٥٧٨) عن أبي المعتمر.

(٢) في (ش) و(يه): «علمه»، وأشار في هامش (يه) إلى ما هو مثبت هنا.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، (٦٤٩٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، (٢٩٨٧) من حديث جُندُب العَلَقي رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٤) بعدها في (يه): ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

(٥) في (س) و(ش) و(ظ) و(ف) و(يه): «طاعته».

(٦) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٥٩) من قول ذي النون.

ومِنَ الأخلاقِ المَرْضيّةِ: دوامُ التَّوبة، والإخلاصُ، واليقينُ، والتَّقوى، والصَّبرُ[١]، والرِّضا، والقناعةُ، والزُّهدُ، والتَّوكُّل، والتَّفويضُ، وسلامةُ الباطن، وحسْنُ الظَّنِّ، والتَّجاوزُ، وحُسْنُ الخُلُق، ورؤيةُ الإحسانِ، وشكرُ النِّعمةِ، والشَّفَقةُ على خَلْقِ الله تعالى[٢]، والحَياءُ مِن اللهِ تعالى ومِن النّاس، ومحبّةُ اللهِ

(١) **قال عبد الإله**: الصبر أنواع متعددة، منها الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على المصائب، وقد كابد شيخنا كل هذه الأنواع، ولكني سأذكر نوعًا آخر من الصبر اتصف به شيخنا في مسيرته التعليمية، ألا وهو الصبر في تعليم طلابه، والتأني في تكوين ملكتهم العلمية، والتدرج بهم في صغار العلم قبل كباره، فقد تحلق حول شيخنا طلاب في سن البلوغ، وكان يكبرهم بخمسين سنة، وقد تجاوز الخامسة والستين من العمر، وقد كان يدرك خطورة المرحلة العمرية التي بلغها، وأن الموت قد يأتيه بين عشية وضحاها، وربما كانت نفسه تدعوه إلى العزلة عن الناس، والإقبال على الله، وتدارُك ما تبقى من سويعات العمر، وفي الوقت نفسه فقد كان يعلم علم اليقين أن مسيرة التعليم طويلة المدى، كثيرة المشاكل، محفوفة بالمصاعب، ولا يمكن أن تؤتي أُكلها في يوم وليلة، وكان يعلم أن العلم بناء شامخ يحتاج أساسات تُقام عليها أعمدة، وتربط بينها لبنات، فإذا اختل البناء جاء المنتَج مائلًا، ولم يكن لشيخنا أن يسمح بإنتاج مخرَجات مائلة تكون عبئًا على الساحة العلمية؛ إذ إن نصف العالِم يفسد أكثر مما يفسد الجاهل، فكان شيخنا طويل النفس في تعليمه وتربيته، متأنيًا في صناعة طلابه، متدرجًا معهم في رحلة البناء والتكوين، متنقلًا بهم من كتيِّب إلى كتاب إلى موسوعة، متحققًا بوصف العالم الرباني، الذي يربي بصغار العلم قبل كباره، فسلك بطلابه مَسلكًا متوازنًا متكاملًا، وبناهم بناءً متأنيًا متدرجًا، فرباهم على عينه، وسقى شجرتهم بعرقه، فنضجت ثمرتهم، واختمرت عجينتهم، واستوت على الجُودي سفينتهم.

(٢) **قال عبد الإله**: كانت معاملة شيخنا لمن حوله تفيض رحمة ورأفة، وشفقة ومحبة، أوصل خيره للناس قدر إمكانه، وخفَض جناحه لهم، وألان جانبه معهم، فعاش بين أسرته الصغيرة زوجًا لطيفًا، وأبًا شفيقًا، واتصفتْ علاقته معهم بالمودة والرحمة، فقد ذكرت زوجته ـ بعد وفاته ـ أنهما لم يختلفا قطّ مدةَ حياته، وذكرت أنها مرِضت مرة، ودخلت المستشفى، فذهب لزيارتها، فدخل عليها وعيناه تذرفان، وذكرت أيضًا أنه بكى رحمةً بإحدى بناته =

= أثناء ولادتها، وقد كان شيخنا يتعامل مع أولاده معاملة الاحترام والتقدير، فكان رفيقًا بهم، ملاطِفًا لهم، ملبّيًا طلباتهم، قابلًا أعذارهم، مشفِقًا عليهم من كل ما يُعنتهم ويتعبهم، مجنّبًا إياهم كل ما يسخط ربهم عليهم، وقد امتدت هذه الصفات الجميلة لتُظل في وارف ظلالها أحفاد شيخنا، فقد كان يطلب من أولاده أن يترفقوا بأولادهم في تدريسهم والمذاكرة لهم، وأن يتجنبوا ضربهم والقسوة عليهم، وكان يحذرهم من الدعاء عليهم بسبب الغضب، أما طلابه فقد نالوا من رحمته نصيبًا كبيرًا، وقدرًا وفيرًا، فقد كان متابعًا لأحوالهم الأسرية والدراسية والعملية، يعودهم إذا مرضوا في بيوتهم ومستشفياتهم، وينزعج إذا وقع ضُرٌّ بهم، ويعزيهم في وفاة أقاربهم، ويسأل عنهم إذا سافروا حتى يطمئن على سلامتهم، ويوقف درسه أيام اختباراتهم، ويهنئهم بنجاحهم وتفوقهم، ولم يكن يتأخر عن مشاركتهم في أفراحهم إلا في حضور مناسبات زواجهم؛ للمشقة الشديدة التي تلحقه، ولكنه كان يبادر إلى تهنئتهم بزواجهم في أول لقاء يجمعه بهم، وكما كان شيخنا يدعو لمشايخه الذين كانت لهم المِنة عليه بتعليمه، ويشهد بفضلهم عليه، ويصرح بحبه لهم، فإنه كان يدعو لطلابه رغم مِنته عليهم بتعليمهم، ويشهد بفضلهم عليه، ويصرح بحبه لهم، وكان أكثر الأدعية التي يلهج بها لسانه لطلابه: «كان الله لكم»، وكان ينسب هذا الدعاء لشيخه الشيخ محمد بن حسين العرفج الشافعي رحمه الله (١٢٧٨-١٣٦٠هـ)، وكان يخص بعض طلابه بالاسم، خصوصًا أبناء مشايخه وأصحابه، وكان يحصن أهله وطلابه من العين والحسد، ولا يخبر عن عددهم إذا سُئل عنهم، فقد كان يقول دائمًا: «حصنت نفسي وزوجتي وذريتي وجيراني وأحبابي وطلابي بالحي القيوم الذي لا يموت أبدًا، ودفعت عني وعنهم السوء بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ثم العجب كل العجب أن رحمة شيخنا بمن حوله شملتهم في منامه أيضًا، فقد رأى في منامه رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث سنوات تقريبًا، وبالتحديد في ليلة الأحد ٢٣/ ١١/ ١٤٣١هـ، وهي الليلة التي خرج فيها من المستشفى، فسأله أن يستغفر له ولذريته، فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك ولذريتك»، فسأله أن يستغفر له ولزوجته وإخوانها وأخواتها، فقال ﷺ: «غفر الله لك ولزوجك وإخوانها وأخواتها»، فسأله أن يستغفر له ولإخوته وأحبابه، فقال ﷺ: «غفر الله لك ولإخوتك وأحبابك»، فسأله أن يستغفر له ولأسماء - يعني ابنته - فقال ﷺ: «غفر الله لك ولأسماء»، وقد بشّر أهله بهذه الرؤيا، ثم قال: «بعد هذه =

تعالى هي الخَصلةُ الجامِعةُ لمحاسنِ الصِّفات كلِّها، وإنّما تَتحقَّقُ بمُتابعةِ الرَّسولِ ﷺ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

العاشر: دوامُ الحرصِ على الازدياد، بملازمةِ الجدِّ والاجتهاد، والمواظبةِ على وظائفِ الأوراد، مِن العبادةِ والاشتغالِ والإشغال؛ قراءةً وإقراءً ومطالعةً، وفكرًا وتعليقًا، وحفظًا وتصنيفًا وبحثًا.

ولا يُضيِّعُ شيئًا من أوقاتِ عمرِه في غير ما هو بصددِه مِن العلمِ والعمل، إلّا بقدرِ الضَّرورة، مِن أكلٍ، أو شُربٍ، أو نومٍ، أو استراحةٍ لملَلٍ، أو أداءِ حقِّ زوجةٍ، أو زائرٍ، أو تحصيلِ قُوتٍ وغيرِه ممّا يحتاجُ إليه، أو لألمٍ، أو غيرِه ممّا يَتعذَّرُ معه الاشتغالُ؛ فإنّ بقيّة عمرِ المؤمنِ لا قيمةَ له[1]، ومَن استوى يوماهُ فهوَ مغبونٌ، وكان بعضُهم لا يَتركُ الاشتغالَ لعُروضِ مرضٍ خفيفٍ، أو ألمٍ

= الرؤيا هان عليَّ كل ما لاقيته من آلام»، وهذه الرحمة هي سر نجاح شيخنا في اجتماع الطلاب حوله رغم فارق السن وفتور همة الشباب نحو العلم، مقتديًا بالمعلم الأكمل، والرسول الأعظم ﷺ، الذي وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) ذكر أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في «اللؤلؤيات» في الباب الثامن والثمانين، والحصري في «زهر الآداب» (١: ٨٠) عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: بقيّةُ عمرِ المؤمنِ لا ثمنَ لها؛ يُدرِكُ بها ما قد فات، ويُحيي بها ما أمات.

ووقع في هامش (يه) ما نصه: «وعلى قوله: «فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له» قول الشاعر:

بقيّةُ العُمْرِ عندي ما لـه ثَمَنٌ ... وإنْ غَدا غيرَ محمودٍ مِنَ الزَّمنِ

يَستدرِكُ المرءُ فيه ما أفاتَ ويُحْـ ... ـيي ما أماتَ ويَمحو السُّوءَ بالحسَنِ».

قلت: البيتان ـ باختلاف يسير ـ لأبي الفتح البستي، كما في «زهر الآداب» للقيرواني (١: ٨١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٥: ١٩٥).

لطيفٍ، بل كان يَستشْفي بالعلم، ويَشتغِلُ بقدرِ الإمكان، كما قيل:

إذا مَرِضْنا تَداوَينا بِذِكرِكُمُ ونَتركُ الذِّكرَ أحيانًا فنَنتكِسُ[1]

وذلك لأنَّ درجةَ العلمِ درجةُ وراثةِ الأنبياء، ولا تُنالُ المعالي إلّا بشِقِّ الأنْفُس.

وفي «صحيح مسلم» عن يحيى بن أبي كثيرٍ قال: «لا يُستطاعُ العِلْمُ براحةِ الجسم»[2]، وفي الحديث: «حُفَّتِ الجنّةُ بالمكاره»[3]، وكما قيل:

ولا بُدَّ دون الشَّهْدِ مِن إبَرِ النّحْلِ[4]

---

(١) من قوله: «كما قيل: إذا مرضنا» إلى هنا ليس في (ب) و(د) و(ف)، وذُكر بهامش (ب) مع كلام في هذا المعنى. انظر التعليق (٣) في الصفحة التالية.
ولم أقف على قائل البيت، وذكره ابنُ القيم في «الوابل الصيِّب» ص١٧٢، وفي «مدارج السالكين» (٢: ١٤٣) دون نسبة، وفيهما: «أحيانًا» بدل: «إجلالًا»، وأثبتنا ما فيهما لأنه واضح المعنى.

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، (٦١٢): (١٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق، باب حُجبت النار بالشهوات، (٦٤٨٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) البيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (بشرح البرقوقي) (٤: ٤)، وصدره:

تريدين لُقيانَ المعالي رَخيصةً

وورد هذا الشطر في النسخة (ف)، فانفردت به، ولعله من زيادة الناسخ، ونصه فيها:

«تُريد إدراكَ المعالي برخصةٍ»

ووقع في هامش (ب) ما نصه: «وقال القاضي شرف الدين خطيب المدينة الفيومي رحمه الله: سمعتُه رحمه الله يقول غيرَ مرّةٍ - يعني مصنِّفَ الكتاب -: قلعُ الضُّروس ولا قطعُ الدُّروس، وأنشدَنا وقد انقطعَ عن الدَّرسِ أيامًا قلائل، وحضرَ وعليه أثرُ ضعفٍ، فقيل له: تكلَّفتَ، أو معنى ذلك، فأنشد:
=

وكما قيل:

لا تحسَبِ المجدَ تمرًا أنتَ آكِلُهُ   لا تبلغُ المجدَ حتَّى تلعَقَ الصَّبِرا[١]

وقال الشَّافعيُّ رضيَ الله عنه: «حقٌّ على طلبةِ العلمِ بلوغُ غايةِ جهدِهم في الاستكثارِ مِن علمِه، والصَّبرِ على كلِّ عارضٍ دونَ طلبِه، وإخلاصِ النِّيَّةِ لله تعالى في إدراكِ علمِه نصًّا واستنباطًا، والرَّغبةِ إلى الله تعالى[٢] في العَونِ عليه»[٣].

وقال الرَّبيع[٤]: «لم أرَ الشَّافعيَّ رضيَ الله عنه آكِلًا بنهار، ولا نائمًا بليل؛ لاشتغاله بالتَّصنيف»[٥].

ومع ذلك فلا يُحَمِّلُ نفسَه مِن ذلك فوقَ طاقتِها؛ كي لا تسأمَ وتملَّ، فربَّما

= إذا مرِضنَـا تَداوَينـا بذِكرِكُمُ   ونَقطَعُ الذِّكرَ أحيانًا فنَنتكِسُ

رحمه الله تعالى».

قلت: سلف البيتُ قريبًا، وأشرت أنه لم يرد في النسخة (ب).

(١) ذكره أبو تمام في «الحماسة» (بشرح التبريزي) (٤: ٣-٤)، ونسبه لرجلٍ من بني أسد، وقبله بيتان هما قوله:

دَبيتَ للمجدِ والسّاعون قد بَلغُوا   جَهْـدَ النُّفوسِ وألقَوا دونـه الأُزُرا

فكابَـروا المجدَ حتَّى مـلَّ أكثرُهمْ   وعانقَ المجـدَ مَن أوفى ومَن صَبَرا

وهي في «الأمالي» للقالي (١: ١١٣) منسوبة لبعض العرب، ونسبها المستعصمي في «الدر الفريد» (١١: ١٣٣) لطَرَفة بن العَبْد، ولم أقف عليه في «ديوانه».

(٢) من قوله: «في إدراك علمه» إلى هنا ليس في (س) و(ش).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٦٣).

(٤) هو الإمام المحدث الفقيه الكبير، أبو محمد الربيع بن سليمان، المرادي مولاهم، المصري المؤذن، صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، ومستملي مشايخ وقته، توفي سنة (٢٧٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٢: ٥٨٧-٥٩١).

(٥) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١: ٢٣٧).

نَفَرَت نفرةً لا يُمكنُه تَداركُها، بل يكون أمرُه في ذلك قصدًا، وكلُّ إنسانٍ أبصَرُ بنفسِه.

الحادي عشر: ألّا يَستنكِفَ أنْ يَستفيدَ ما لا يَعلمُه ممَّن هو دونَه منصِبًا أو نَسَبًا أو سِنًّا، بل يكونُ حريصًا على الفائدة حيث كانت[١]، والحكمةُ ضالّةُ المؤمن، يَلتقِطُها حيثُ وجدَها[٢].

قال سعيدُ بنُ جُبير: «لا يزالُ الرجلُ عالمًا ما تَعلَّمَ، فإذا تركَ التَّعلُّمَ وظنَّ أنّه قد استَغنى واكتفى بما عنده؛ فهو أجهَلُ ما يكون»[٣].

وأنشدَ بعضُ العرب:

وليسَ العَمَى[٤] طولَ السُّؤالِ وإنّما تمامُ العَمَى طولُ السُّكوتِ على الجهْلِ[٥]

---

(١) قال وكيع بن الجراح رحمه الله: «لا يَنبُلُ الرَّجلُ مِن أصحاب الحديث حتّى يكتبَ عمَّن هو فوقَه، وعمَّن هو مثلُه، وعمَّن هو دونَه». انظر «مقدمة ابن الصلاح» ص٢٤٩.

(٢) قوله: «الحكمةُ ضالّة المؤمن...» رُوي نحوه مرفوعًا، فقد أخرج الترمذي في «سننه»، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٧)، وابن ماجهْ في «سننه»، كتاب الزهد، باب الحكمة، (٤١٦٩) عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمةُ الحكمةُ ضالّةُ المؤمن، فحيث وجدَها فهو أحقُّ بها».

قال الترمذيُّ: هذا حديث غريب، لا نعرفُه إلّا من هذا الوجه، وإبراهيمُ بن الفضل المخزوميُّ يُضعَّفُ في الحديث من قِبَل حفظه. اهـ. قلت: وقال النّسائيُّ وجماعة في إبراهيم بن الفضل: متروك، وقال أحمدُ وأبو زُرعة: ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١: ٨٧-٨٨).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٥٧).

(٤) في المصادر: «شفاء العمى» بدل: «وليس العمى».

(٥) نسبه الماوردي في «أدب الدنيا والدين» ص٦٧ لبشار بن بُرد، وبعده فيه:

فكُنْ سائلًا عمّا عناكَ فإنّما دُعيتَ أخا عقلٍ لتَبحَثَ بالعقلِ

ونُسبا في «تاريخ بغداد» (٥: ٣١٧)، و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» ص١٥٤ لأبي الفضل =

وكان جماعةٌ مِن السَّلَفِ يَستفيدونَ من طَلَبتِهم ما ليسَ عندَهم، قالَ الحُمَيديُّ[(١)] ـ وهو تلميذُ الشّافعيِّ ـ: «صَحِبتُ الشّافعيَّ مِن مكّة إلى مصر، فكنت أستفيدُ مِنه المسائلَ، وكان يَستفيدُ منِّي الحديثَ»[(٢)].

وقالَ أحمدُ بنُ حنبل: قال لنا الشّافعيُّ: «أنتم أعلمُ بالحديثِ مِنّي، فإذا صَحَّ عندكم الحديثُ فقولوا لنا[(٣)]؛ حتى آخذَ به».

وصَحَّ روايةُ جماعةٍ مِن الصَّحابة عن التّابعين[(٤)]، وأبلغُ مِن ذلك كلِّه قراءةُ رسول الله ﷺ على أُبَيّ، وقال: «أمرني اللهُ أنْ أقرأَ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ

= العباس بن الفرج الرِّياشيّ. والبيت دون نسبة في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢: ١٢٣)، و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١: ٣٨٠) (٥٣٨).

(١) هو الإمامُ الحافظُ الفقيه، أبو بكر، عبدُ الله بنُ الزُّبير، القرشيُّ الأسديُّ، شيخ الحرَم، تتلمذَ للشّافعيّ، وروى عنه البخاريُّ وغيره، له «المسند»، توفي سنة (٢١٩هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٦١٦-٦٢١).

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢: ١٥٣).

(٣) في (ب) و(ف): «لي»، والمثبت موافق لما في «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ١٥٤)، والقول مخرَّج فيه.

(٤) انظر ما ذكر المصنِّفُ في باب رواية الأكابر عن الأصاغر في كتابه «المنهل الروي» ص٧٧، وأفرد السيوطيُّ في «تدريب الراوي» بابًا في رواية الصحابة عن التابعين عن الصحابة، (٢: ٥٣٣-٥٣٥) وقال: وقد ألَّف فيه الخطيب، وقد أنكرَ بعضُهم وجود ذلك، وقال: إنَّ روايةَ الصحابة عن التّابعين إنّما هي في الإسرائيليّات والموقوفات، وليس كذلك.

ثم ذكر أمثلةً على ذلك، ثمَّ قال: وجمع الحافظُ أبو الفضل العراقيُّ الأحاديثَ التي بهذه الشريطة، فبلغت عشرين حديثًا. اهـ.

قلت: وللحافظ ابن حجر جزء سمّاه: «نزهةَ السّامعين في رواية الصَّحابة عن التّابعين»، اختصر فيه كلامَ الخطيب البغداديّ ورتَّبه، وقد طُبع في دار الهجرة بالرياض بتحقيق: طارق محمد العمودي.

كَفَرُواْ﴾»(١)، قالوا: مِن فوائدِه **ألّا يمتنعَ الفاضلُ مِن الأخذِ عن المفضول.**

الثّاني عشر: الاشتغالُ بالتّصنيفِ والجمعِ والتّأليف، لكنْ(٢) معَ تمامِ الفضيلة، وكمالِ الأهليّة، فإنّه يَطّلِعُ على حقائقِ الفُنون، ودَقائقِ العلوم؛ للاحتياجِ إلى كثرة التّفتيش والمطالَعة، والتّنقيبِ والمراجعة، وهو كما قالَ الخطيبُ البغداديُّ(٣): «يُثبِّتُ الحفظَ، ويُذْكي القلبَ، ويَشحَذُ الطَّبعَ، ويُجيدُ البيانَ، ويُكسِبُ جميلَ(٤) الذِّكر، وجزيلَ الأجر، ويُخلِّدُه إلى آخرِ الدَّهر»(٥).

والأَوْلى أنْ يَعتنيَ بما يَعُمُّ نفعُه، وتَكثُرُ الحاجةُ إليه، وليكنِ اعتناؤه بما لم يُسْبَق إلى تصنيفِه، متَحرِّيًا إيضاحَ العبارةِ في تأليفِه، معرِضًا عن التَّطويلِ المملِّ، والإيجازِ المخِلِّ، مع إعطاءِ كلِّ مُصنَّفٍ ما يَليقُ به.

ولا يُخرِجُ تصنيفَهُ مِن يدِه قبلَ تهذيبِه(٦)، وتكريرِ النّظرِ فيه، وترتيبِه.

ومِن النّاسِ مَن يُنكِرُ التّصنيفَ والتّأليفَ في هذا الزّمانِ على مَن ظهرَت أهليّتُه، وعُرِفَت معرفتُه! ولا وجهَ لهذا الإنكارِ إلّا التّنافسَ بين أهلِ الأعصار،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، سورة البينة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، (٤٩٥٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذّاق فيه، (٧٩٩) من حديث أنس بن مالك رضيَ الله عنه.

(٢) لفظ: «لكن» ليس في (ب) و(ف). وفي (د): «عند» بدل: «لكن مع».

(٣) هو العلّامةُ المفتي، الحافظُ النّاقد، أبو بكر، أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابت، صاحب التّصانيف، وخاتمةُ الحُفّاظ، مِن مصنّفاته: «تاريخ بغداد»، و«شرف أصحاب الحديث»، و«الكفاية» وغيرها، توفّي سنة (٤٦٣ هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨: ٢٧٠-٢٩٦).

(٤) في (ف): «حميد».

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي (٢: ٢٨٠).

(٦) وقع في هامش (يه) ما نصه: «أي: تحريره».

وإلّا فمَن إذا تَصرَّفَ في مِدادِه ووَرَقِه بكتابةِ ما شاءَ مِن أشعارٍ أو حكاياتٍ مباحةٍ، أو غيرِ ذلك، لا يُنكَرُ عليه، فلِمَ إذا تَصرَّفَ فيه بتسويدِ ما يُنتفَعُ به مِن علومِ الشَّريعةِ يُنكَرُ ويُستهجَن؟!

أمّا مَن لم يَتأهَّل لذلك، فالإنكارُ عليه متَّجِهٌ؛ لما يَتضمَّنه من الجهلِ وتغريرِ مَن يَقفُ على ذلك التَّصنيف به، ولكونه يُضيِّعُ زمانَه فيما لم يُتقِنهُ، ويَدَعُ الإتقانَ الذي هو أحْرَى به مِنه.

الفصل الثاني
في آداب(١) العالم في درسه

وفيه اثنا عشر نوعًا:

الأوَّل: إذا عزمَ على مجلس التَّدريسِ تطهَّرَ مِن الحَدَثِ والخَبَث، وتَنظَّفَ، وتَطيَّبَ، ولبسَ مِن أحسن ثيابِهِ اللّائقةِ به بين أهلِ زمانه؛ قاصدًا بذلك تعظيمَ العلمِ، وتبجيلَ الشّريعة(٢). كان مالكٌ رضيَ الله عنه إذا جاءَهُ النّاسُ لطلبِ(٣) الحديثِ اغتسلَ، وتَطيَّبَ، ولبس ثيابًا جُدُدًا، ووضعَ رداءَه على رأسِه، ثمَّ يَجلِسُ على مِنصّةٍ(٤)، ولا يزال يُبَخَّرُ بالعُودِ حتَّى يَفرُغَ، وقال: «أُحِبُّ أنْ أُعظِّمَ

---

(١) في (س): «أدب».

(٢) **قال عبد الإله:** كان شيخنا حريصًا على التجمل باللباس المناسب لأهل العلم، فكان حريصًا على ارتداء البِشت عند خروجه من منزله لأي غرض من الأغراض، سواء كان للصلاة أو لدروسه العلمية أو لزياراته لأصحابه وأرحامه، والبشت هو رداء خاص للرجال، يلبسونه فوق الثوب، وهو سمة واضحة لأهل العلم والمكانة الاجتماعية، وهكذا كان علماء الأحساء في الجملة، وكانوا يلبسون العمائم التي تميز أهل العلم عن غيرهم، ولم يتركوها إلا في العقود الأخيرة، ولم يكن شيخنا يترك لبس البشت إلا في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ حرصًا على أن يظهر بمظهر عامة الناس، فيسهل عليه التخفي في جملتهم، والتفرغ لعبادة ربه بعيدًا عن أعين من يعرفه منهم.

(٣) في (س): «بطلب».

(٤) في (ب) و(ف): «منصبه»، والمنصّة: كرسيّ أو مِنبر يُعَدُّ للخطيب ليَخطُب. انظر «المعجم الوجيز»: (نصص).
=

حديثَ رسولِ الله ﷺ»[١].

ثمَّ يُصلِّي ركعتَي الاستخارةِ إنْ لم يكن وقتَ كراهةٍ.

ويَنوي نشرَ العلمِ وتَعليمَه، وبثَّ الفوائدِ الشرعيّة، وتَبليغَ أحكامِ الله تعالى التي اؤتُمِنَ عليها وأُمِر ببيانِها[٢]، والازديادَ مِن العلم، وإظهارَ الصَّوابِ، والرُّجوعَ إلى الحقّ، والاجتماعَ على ذكرِ الله تعالى، والسَّلامَ على إخوانِه مِن المسلِمين، والدُّعاءَ للسَّلفِ الصّالحِين.

الثّاني: إذا خرج من بيتِه دَعا بالدُّعاء الصَّحيح عن النّبيِّ ﷺ، وهو: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك أنْ أضِلَّ أو أَذِلَّ أو أَزِلّ[٣]، أو أَظلِمَ أو أُظلَم، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ[٤]، عزَّ جارُكَ، وجلَّ ثناؤكَ، ولا إلهَ غيرُك»[٥]، ثمَّ يقول: «باسمِ الله وبالله،

= وذكر القاضي عياض في «الشّفا» ص٥٢٥ أنّه لم يكن يَجلسُ الإمامُ مالكٌ على تلك المنصّةِ إلّا إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ.

(١) «الشفا» للقاضي عياض ص٥٢٤-٥٢٥. وأخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ٣١٨)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٩٢).

(٢) في (يه): «بتبيانها».

(٣) في (ش): «أن أَضِلَّ أو أُضَلّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلّ...».

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، (٥٠٩٤)، والترمذي في «سننه»، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، (٣٤٢٧)، والنّسائي في «سننه»، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الضلال، (٥٤٨٦)، وابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، (٣٨٨٤) من حديث أمّ سلمة رضيَ الله عنها.

(٥) قوله: «عزَّ جارك....» ورد في حديثٍ أخرجهُ ابنُ السُّنّيّ في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٥) عن ابن عمر رضيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خِفتَ سلطانًا أو غيره، فقل: لا إله إلّا الله الحليمُ الكريم، سبحان ربِّ السّموات السبع وربِّ العرش العظيم، لا إله إلّا أنت، عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤك، ولا إلهَ غيرُك».

حَسْبيَ الله، توكَّلتُ على الله، لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليّ العظيم[١]، اللهمَّ ثبِّت جَناني، وأدِرِ الحقَّ على لساني»، ويُدِيمُ ذكرَ الله تعالى إلى أنْ يَصِلَ إلى مَجلِسِ التَّدريس، فإذا وَصَلَ إليه سَلَّمَ على مَن حَضَرَ، وصلَّى ركعتَينِ إنْ لم يكن وقتَ كراهةٍ، فإنْ كان مسجدًا تأكَّدَتْ[٢] مطلقًا، ثمَّ يَدعو اللهَ تعالى بالتَّوفيق والإعانةِ والعِصْمة.

ويَجلِسُ مستقبلَ القبلةِ إنْ أمكنَ، بوَقارٍ وسَكِينة، وتواضعٍ وخشوعٍ، متربِّعًا، أو غيرَ ذلك ممّا لم يُكرَهْ مِن الجلسات، ولا يَجلِسُ مُقْعِيًا، ولا مُستَوفِزًا[٣]، ولا رافعًا إحدى رِجْلَيهِ على الأخرى، ولا مادًّا رِجْلَيهِ أو إحداهما مِن غيرِ عُذرٍ، ولا متَّكئًا على يدِه إلى جَنْبِه أو وراءَ ظَهْرِه[٤].

---

(١) أخرج أبو داود في «سننه» (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «الكبرى»، كتاب عمل اليوم والليلة، (٩٨٣٧) عن أنس بن مالك، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا خرجَ الرجلُ من بيته، فقال: باسم الله، توكَّلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذٍ: هُديتَ وكُفيت ووُقِيت، فتتنحّى له الشياطين، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟!».

(٢) في (ب): «تأكد»، وفي (ف): «تتأكد الصلاة».

(٣) الإقعاء: أن يُلصِقَ الرَّجلُ أليتيهِ بالأرض، ويَنصب ساقيه، ويتساندَ إلى ظهره. والاستيفازُ: أن يقعدَ قعودًا منتصبًا غير مطمئن. «مختار الصحاح»: (قعا)، (وفز).

(٤) **قال عبد الإله:** لم يكن شيخنا في دروسه متميزًا على طلابه، بل كان يجلس على الأرض كما يجلسون، قابضًا رجليه، مسندًا ظهره إلى مسند خلفه، ولم يتخذ ما يتكئ عليه، وقد بقي على ذلك سنين طويلة رغم كِبَر سنه وطول دروسه، فلما ازداد تعبه ومشقته وقد قارب التسعين من عمره أحضر له ابنه الشيخ عبد العزيز فراشًا صغيرًا ليجلس عليه، فرفض ذلك أول الأمر، ولكن شدة التعب والمشقة اضطرته لقبول ذلك، ثم اضطر بعد ذلك للجلوس على الكرسي؛ نتيجة لمعاناته لآلام الركب التي اشتدت عليه مع تقدم عمره ووهن عظمه، وهكذا كان علماؤنا رحمهم الله مع أصحابهم وطلابهم، وهكذا كان كثير من العلماء الذين =

ولْيَصُنْ بدَنَهُ عن الزَّحفِ والتَّنقُّلِ عن مكانه، ويدَيهِ عن العبَثِ والتَّشبيكِ بها، وعينيه عن تفريقِ النَّظرِ مِن غير حاجةٍ.

ويَتَّقي المِزاحَ وكثرةَ الضَّحِك؛ فإنّه يُقلِّلُ الهَيبةَ، ويُسقِطُ الحِشْمةَ، كما قيل: «مَن مزحَ استُخِفَّ بهِ، ومن أكثرَ مِن شيءٍ عُرِفَ به»(١).

ولا يُدرِّسُ في وقتِ جُوعِه أو عَطَشِه، أو همِّه أو غضبه، أو نُعاسِه أو قَلَقِه، ولا في حالِ بردِه المؤلِمِ، وحَرِّهِ المزعِج؛ فربَّما أجابَ أو أفتى بغير الصَّواب، ولأنّه لا يَتمكَّنُ مع ذلك مِن استيفاءِ النّظر.

الثّالث: أنْ يَجلِسَ بارزًا لجميع الحاضرين، ويُوقِّرَ أفاضلَهم بالعلمِ والسِّنِّ والصَّلاح والشَّرَف، ويَرفعَهم على حسَبِ تَقديمِهم في الإمامة، ويَتلطَّفُ بالباقين، ويُكرِمُهم بحُسنِ السَّلام، وطلاقةِ الوجه، ومَزيدِ الاحترام.

ولا يُكرَهُ القيامُ لأكابرِ أهلِ الإسلام على سبيلِ الإكرام، وقد وردَ إكرامُ

= تشرفنا بلقياهم والأخذ عنهم واستجازتهم. ومن شواهد ذلك أن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي رحمه الله (١٣٣٦-١٤١٧هـ) زار مشايخنا في الأحساء عام ١٤٠٦هـ، فاجتمع به المشايخ والطلاب في مزرعة الشيخ محمد الفاروق بن أحمد أبي بكر الملا الحنفي وقت الظهيرة، فبسط له فراشًا على الأرض؛ إكرامًا له، فجلس عليه الشيخ عبد الفتاح، ودار حديث ماتع بين المشايخ، وقرأت عليه المنظومة البيقونية كاملة، وكنا في غاية السرور والحبور، وفجأة انتفض الشيخ عبد الفتاح من مكانه، وكأن حية لدغته، فتطلعنا لمعرفة السبب، فاتضح أن الشيخ عبد الفتاح انتبه أن مشايخنا كانوا جالسين على الأرض، ولم يُبسط لهم فراش كما بُسط له، فشعر أنه رُفع مقامه فوق مقامهم، فاعتذر عن ذلك، وأصر على أن يُرفع فراشه أو يُبسط لمشايخنا فرش لهم، فأصروا عليه أن يجلس مطمئنًا، وألا يكترث للأمر، وما زالوا بالشيخ عبد الفتاح حتى عاد إلى حاله.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٥٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩٥٣) من قول سيِّدنا عمرَ بن الخطاب رضيَ الله عنه، يخاطبُ به الأحنف بن قيس.

العلماءِ وإكرامُ طَلَبةِ العلمِ في نصوصٍ كثيرة[١].

ويَلتفتُ إلى الحاضِرينَ التفاتًا قصْدًا بحسَبِ الحاجـة، ويَخُصُّ[٢] مَن يُكلِّمُه أو يَسألُه أو يَبحثُ معَـهُ على الوجـه عنـدَ ذلك بمَزيـدِ التفاتٍ إليـه، وإقبالٍ عليه، وإنْ كان صغيرًا أو وَضِيعًا؛ فإنّ تَرْكَ ذلك مِن أفعالِ المتجبِّرينَ المتكبِّرين.

الرّابع: أنْ يُقدِّمَ على الشُّروعِ في البَحثِ والتَّدريسِ قراءةَ شيءٍ مِن كتابِ الله تعالى؛ تَبرُّكًا وتيمُّنًا، وكما هو العادة، فإنْ كان ذلك في مدرسةٍ شُرِطَ فيها ذلك، اتَّبعَ الشَّرطَ، ويَدعو عَقِيبَ القراءةِ لنفسِه وللحاضرين وسائرِ المسلمِين.

ثمَّ يَستعيذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيم، ويُسمِّي اللهَ تعالى، ويَحمَدُه، ويُصلِّي على النّبيِّ ﷺ وعلى آله وأصحابِه، ويَترضَّى عن أئمّة المسلمينَ ومشايخِه، ويَدعُو لنفسِه وللحاضِرين ووالدِيهم أجمعين، وعن واقفِ مكانِه إنْ كان في مدرسةٍ أو نحوِها؛ جزاءً لحُسْنِ فعلِه، وتحصيلًا لقصدِه[٣].

---

(١) جعل الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» لهذا المعنى أبوابًا؛ فذكر بابًا في توقير طلَبة العلم، وأخذِ المعلّم نفسَه بحسن الاحتمال لهم والحِلم، وبابًا في احترام المشايخ وأهل المعرفة، وبابًا في إكرام الغُرباء من الطَّلبة وتقريبهم، فانظرها إن شئت فيه (١: ٣٤٣-٣٤٥، ٣٤٨-٣٤٩).

(٢) بعدها في (ب): «كل».

(٣) **قال عبد الإله**: كانت عادة شيخنا في دروسه أن يتخذ قارئًا للدرس، وكان يوصيه أن يبدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم يدعو بقوله: «اللهم افتح علينا حكمتك، وانشر علينا رحمتك، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا»، ثم يفتتح قراءة الدرس بقوله: «قال المؤلف رحمه الله، ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين»، وقد جمعتْ هذه المقدمة الثناء على الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، واستمطار الفتح الإلهي، واستجلاب الرحمة الربانية، وطلب العلم النافع، والزيادة منه، والدعاء للمؤلف، وبهذه الكلمات يتوكل =

وكان بعضُهم يؤخِّرُ ذكرَ نفسه في الدُّعاء عن الحاضرين؛ تأدُّبًا وتواضُعًا، لكنَّ الدُّعاءَ لنفسه قربةٌ، وبه إليه حاجةٌ، والإيثارُ بالقُرب وما[1] يحتاجُ إليه شرعًا خلافُ المشروع، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وقال النبيُّ ﷺ: «ابدأ بنفسك ثمَّ بمَن تعُول»[2]، وهذا الحديثُ وإنْ ورَدَ في الإنفاقِ، فالمحقِّقون يستعملونَهُ في أمورِ الآخرة، وبالجُملة فالكلُّ حسنٌ، وقد عمِلَ بالأوَّلِ قومٌ، وبالثَّاني آخرُون.

الخامس: إذا تعدَّدتِ الدُّروسُ قدَّمَ الأشرفَ فالأشرفَ، والأهمَّ فالأهمَّ[3]؛

= طالب العلم على ربه، ويشهد منته عليه بإرسال نبيه ﷺ، ويتعلق بميراثه العلمي، ويسند الفضل لأصحابه. وكان يخلل درسه بالثناء على العلماء والدعاء لهم، وسرد بعض قصصهم.

(١) في (ر): «وبما».

(٢) لم أقف على من خرَّجه بهذا اللَّفظ، قال الحافظ ابنُ حجر في «تلخيص الحبير» (٢: ٣٥٤): لم أره هكذا. اهـ. وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة، (٩٩٧) من حديث جابر رضيَ الله عنه مرفوعًا، ولفظه عنده: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإنْ فضَلَ شيء فلأهلك، فإنْ فضَلَ عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضَل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا». وأخرجه البيهقي في «الكبرى»، كتاب المدبَّر، باب المدبَّر يجوز بيعه متى شاء مالكه، (٢١٥٣٧): «إذا كان أحدُكم فقيرًا فليَبدأ بنفسه، فإنْ كان له فضل فليبدأ مع نفسه بمن يعول».

وأخرج البخاري في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلَّا عن ظهر غنى، (١٤٢٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب بيان أنَّ اليد العليا خير من اليد السُّفلى، (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضيَ الله عنه مرفوعًا: «اليدُ العُليا خير من اليد السُّفلى، وابدأ بمَن تعول، وخيرُ الصَّدقةِ عن ظهرِ غنى».

وأخرج البخاري في «صحيحه»، (١٤٢٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «خيرُ الصَّدقة ما كان عن ظهرِ غنى، وابدأ بمَن تعول».

(٣) قال عبد الإله: أولَى شيخنا عنايته لكثير من العلوم الشرعية واللغوية، ولكن أبرز العلوم التي أولاها اهتمامًا بالغًا علم الفقه والنحو والفرائض، أما الفقه فلأنه علم غاية وثمرة، =

....

= ويصعب أداء التكاليف على وجهها الصحيح إلا بعلم الفقه، وأما النحو فلأنه علم آلة ومفتاح لفهم العلوم، وأداة مهمة للبيان، وأما الفرائض فلأنه باب من أبواب الفقه، وطبيعته تُنمّي الملكات العقلية، وقد كان شيخنا ينشد الأبيات الشعرية التي تبين مقدار تلك العلوم، ويطلب من طلابه حفظها، ومنها ـ في علم الفقه ـ قول الإمام عمر ابن الوردي رحمه الله (٦٩١-٧٤٩هـ) في «بهجة الحاوي»:

والعُمْرُ عن تحصيلِ كلِّ عِلمِ يَقصُـرُ فابـدَأْ منـه بالأَهَمّ
وذلـك الـفِـقـهُ فـإنّ منهُ مـا لا غِنَى في كلِّ حالٍ عنهُ

ومنها:

عليك بعلمِ الفقهِ في الدينِ إنهُ سيُرفَعُ فاستدرِكْهُ قبلَ صُعودِهِ

ومنها:

فـإنّ فقيهًـا واحـدًا متورِّعًـا أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدِ

ومنها ـ في علم النحو ـ قصيدة الإمام الكِسائي رحمه الله (١١٩-١٨٩هـ)، أحد القرّاء السبعة، وفيها:

إنمـا النحـوُ قِيـاسٌ يُتّبَـعْ وبـه فـي كلِّ علـمٍ يُنتفَـعْ
فإذا مـا أبصرَ النحـوَ الفتَى مرَّ في المَنطِقِ مرًّا واتسَـعْ
واتقـاه كلُّ مَـن جالَسَـهُ من جَلِيسٍ ناطقٍ أو مُستمِعْ
وإذا لـم يُبصِرِ النحوَ الفتَى هاب أن ينطِقَ جُبنًا وانقَمَعْ

ومنها:

النحوُيُصلِحُ مِن لسانِ الألْكَنِ والمرءُ تُكرِمُهُ إذا لـمْ يَلحَنِ
وإذا طلبتَ منَ العلومِ أجلَّها فأجلُّها نفعًا مُقِيمُ الألسُـنِ

ومنها:

مَن فاتهُ النحوُ فذاكَ الأخرسُ وفهمُهُ فـي كلِّ عِلمٍ مُفلِسُ

ومنها:

كلامٌ بلا نحوٍ طعامٌ بلا مِلحِ ونحوٌ بلا شِعرٍ ظلامٌ بلا صُبْحِ

ولم يكن شيخنا يقبَل من طلابه أن يقعوا في أخطاء نحْوية أثناء قِراءتهم لكتب العلم، ولكنه كان يتبع طريقة لطيفة لتنبيههم إذا أخطؤوا، فكان يقول عند الخطأ: «سيبويه حاضر»، =

فيُقدِّمُ تفسيرَ القرآن، ثمَّ الحديثَ، ثمَّ أصُولَ الدِّين، ثمَّ أصُولَ الفقهِ، ثمَّ المَذهَبَ، ثمَّ الخِلافَ، أو النَّحوَ، أو الجَدَل[١].

وكان بعضُ العلماءِ الزُّهّادِ يَختِمُ الدُّروسَ بدرسِ[٢] رقائقَ يُفيدُ[٣] به الحاضرين تطهيرَ الباطن، ونحوَ ذلك مِن عِظةٍ ورقّةٍ وزُهْدٍ وصَبر.

فإنْ كان في مدرسةٍ ولواقِفِها في الدُّروسِ شرطٌ اتَّبعَهُ، ولا يُخِلُّ بما هو أهمُّ ما بُنِيَت له تلك البِنْيةُ ووُقِفَت لأجله.

ويَصِلُ في درسِه ما يَنبغي وَصْلُه، ويَقِفُ في مواضعِ الوقفِ ومُنقَطَعِ الكلام.

= أو «سيبويه لا يرضى»، وكان شيخنا كثيرًا ما يحضُر للدرس قبل طلابه، فإذا اجتمع حوله بعضهم اغتنم وقتًا قصيرًا في إعراب آية قرآنية، أو بيان الشاهد النحوي في بيت شعري، أو حل مسألة فرَضية، أو تلخيص باب فقهي، وقد كان من نتائج هذه الدقائق القصيرة إعراب ما يقرب من عشرة أجزاء من القرآن الكريم على مدى عدة سنوات، وصدق ابن النحاس الحلبي رحمه الله (٦٢٧-٦٩٨هـ):

اليومَ شيءٌ وغدًا مِثلُهُ ... مِن نُخَبِ العلمِ التي تُلتَقَطْ
يُحصِّلُ المرءُ بها حِكمةً ... وإنما السيلُ اجتماعُ النُّقَطْ

لقد كان الطلاب يرون في هذه الدقائق المعدودة نشاطًا علميًا ممزوجًا بالمرح، وعامرًا بالرياضة الذهنية، ومعرفة المسائل النادرة، ومحفزًا نحو المنافسة العلمية، ومنشطًا للهمة والروح المعنوية، فكانوا يحرصون على الحضور المبكر لكيلا يفوتهم نصيبهم من ذلك النشاط العلمي، وكان شيخنا يخلل درسه بهذه الأنشطة العلمية المختلفة من إعراب آية قرآنية أو بيت شعري، أو حل مسألة فرَضية، أو كشف لغز فقهي، قاصدًا إبقاء طلابه في أعلى درجات الانتباه واليقظة، وألا يتسلل إليهم الكسل والملل.

(١) في (ب): «والنحو والجدل»، وفي (ف): «أو النحو والجدل»، وفي (يه): «ثم النحو أو الجدل».
(٢) في (يه): «بدروس»، والمثبت نسخة بهامشها.
(٣) في (د) و(يه): «فيفيد».

ولا يَذكرُ شبهةً في الدِّين في درسٍ ويُؤخِّرُ الجوابَ عنها إلى درسٍ آخر، بل يَذكرُهما جميعًا، أو يَدعُهما جميعًا، ولا يَتقيَّدُ في ذلك بمصنَّفٍ يَلزَمُ مِنه تأخيرُ جوابِ الشُّبهةِ عنها؛ لما فيه من المفسَدة، لا سيَّما إذا كان الدَّرسُ يَجمعُ الخواصَّ والعوام.

ويَنبغي ألّا يُطيلَ الدَّرسَ تطويلًا يُمِلُّ، ولا يُقصِّرَهُ تقصيرًا يُخِلُّ، ويُراعي في ذلك مصلحةَ الحاضِرين في الفائدةِ والتَّطويل، ولا يَبحثُ في مقامٍ أو يَتكلَّم على فائدةٍ إلّا في موضعِ ذلك، فلا يُقدِّمُهُ عليه، ولا يُؤخِّرُهُ عنه، إلّا لمصلحةٍ تَقتضي ذلك وتُرجِّحُهُ(١).

السّادس: ألّا يرفعَ صوتَهُ زائدًا على قدرِ الحاجة، ولا يَخفضَه خَفْضًا لا يَحصلُ معه كمالُ الفائدةِ.

روى الخطيبُ في «الجامع» عن النّبيِّ ﷺ قال: «إنّ اللهَ يُحِبُّ الصَّوتَ الخفيضَ(٢)، ويُبغِضُ الصَّوتَ الرَّفيع»(٣).

قال أبو عثمانَ محمَّدٌ ابنُ الشّافعيِّ(٤): ما سمعتُ أبي يُناظِرُ أحدًا قطُّ فرفعَ صوتَهُ.

---

(١) في (ب): «أو ترجحه».

(٢) في (س): «الخفيف».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩٨٦) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما، وفي إسناده جُبارةُ بن المغلّس، وهو ضعيف، وعثمانُ بن عبد الرحمن الوقّاصيُّ، وهو متروك. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (١: ٣٥٧)، (٣: ٤٨-٤٩).

(٤) هو الشيخ القاضي، محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ إدريس الشّافعيِّ المطّلبي، أكبرُ أولاد الإمام الشّافعيِّ رحمه الله، ولي القضاءَ بالجزيرة وأعمالها، وحدَّثَ فيها، وبها توفّي بعد سنة (٢٤٠هـ). انظر «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٧١-٧٣).

قال البيهقيُّ: أرادَ - والله أعلم - فوقَ عادتِه[١].

والأَوْلى ألّا يُجاوِزَ صوتُه مجلسَه، ولا يُقصِّرَ عن سماع الحاضِرين، فإنْ حضرَ فيهم ثقيلُ السَّمْع فلا بأسَ بعلوِّ صوتِه بقدرِ ما يُسْمِعُه، فقد رُوِيَ في فضيلةِ ذلك حديثٌ[٢].

ولا يَسرُدُ الكلامَ سَرْدًا، بل يرتِّلُهُ ويُرَتِّبُه، ويتمهَّلُ فيه؛ ليُفكِّر فيه هو وسامعُه، وقد[٣] رُوي أنَّ كلامَ رسولِ الله ﷺ كان فَصْلًا، يَفهمُهُ مَن سَمِعَهُ[٤]، وأنّه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادَها ثلاثًا؛ لتُفهَمَ عنه[٥].

وإذا فرغَ مِن مسألةٍ أو فَصْلٍ سكتَ قليلًا حتَّى يَتكلَّمَ مَن في نفسِه كلامٌ عليه؛ لأنّا سنذكرُ - إنْ شاء اللهُ - أنّه لا يُقطَعُ على العالمِ كلامُه، فإذا[٦] لم

---

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢١٦-٢١٧).

(٢) يشيرُ إلى حديث سهل بن سعد رضيَ الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إسماعُ الأصمِّ صدقة». أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩٩٠)، وفي إسناده إسماعيل بن قيس بن سعد، ضعَّفه النّسائيُّ وغيره، وقال البخاريُّ والدّارقطنيُّ: منكر الحديث، وقال ابنُ عَديّ: وعامّةُ ما يرويه منكر. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (١: ٢٣٩).

(٣) في (د) و(يه): «فقد».

(٤) أخرج أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، (٤٨٣٩)، والترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ، (٣٦٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٧٣) من حديث عائشة رضيَ الله عنها قالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يَسرُدُ سردَكم هذا، ولكنّه كان يتكلَّمُ بكلام بيِّنٍ فصلٍ، يحفظُهُ مَن جلس إليه. قال التّرمذيُّ: هذا حديث حسن. اهـ.
و«فصل» يعني: بيِّن ظاهر، يَفصِلُ بين الحقّ والباطل. «النهاية» لابن الأثير: (فصل).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليُفهَم عنه، (٩٥) من حديث أنس بن مالك رضيَ الله عنه.

(٦) في (س): «فإنه إذا».

يَسكُتُ هذه السَّكتةَ ربَّما[١] فاتتِ الفائدةُ.

السّابع: أنْ يَصونَ مجلِسَهُ عن اللَّغَط[٢]؛ فإنّ الغَلَطَ تحتَ اللَّغَط[٣]، وعن رفعِ الأصواتِ، واختلافِ جِهاتِ البحث.

قال الرَّبيع: كانَ الشّافعيُّ إذا ناظَرَهُ إنسانٌ في مسألةٍ، فعدا[٤] إلى غيرِها يقول[٥]: نفرُغُ مِن هذه المسألةِ ثمَّ نصيرُ إلى ما تُريد[٦].

ويَتلطَّفُ في دفعِ ذلك في[٧] مَبادِيهِ قبلَ انتشارِه وثَوَرانِ النُّفوس، ويُذكِّرُ الحاضرِينَ بما جاءَ في كراهيةِ المماراة، لا سيَّما بعدَ ظهورِ الحقِّ، وأنّ مقصودَ الاجتماعِ ظهورُ الحقِّ، وصفاءُ القلوب، وطلبُ الفائدةِ، وأنّه لا يَليقُ بأهلِ العلم تعاطي المنافسةِ والشَّحْناء؛ لأنّها سببُ العداوةِ والبغضاء، بل يجبُ أنْ يكون الاجتماعُ ومقصودُه خالصًا لله تعالى؛ ليُثمرَ[٨] الفائدةَ في الدُّنيا، والسَّعادةَ في الآخرة، ويَتذكَّر قولَه تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]؛ فإنّ ذلك مُفهِمٌ أنّ إرادةَ إبطالِ الحقِّ أو تحقيقِ الباطلِ صفةُ إجرامٍ، فليُحذَر مِنه.

الثّامن: أنْ يَزجُرَ مَن تَعدَّى في بحثِه، أو ظهرَ منه لَدَدٌ[٩] في بحثِهِ، أو سوءُ أدبٍ، أو تَرَكَ الإنصافَ بعد ظهورِ الحقِّ، أو أكثرَ الصِّياحَ بغيرِ فائدةٍ، أو أساءَ

---

(١) لفظ: «ربما» ليس في (س).
(٢) اللَّغطُ: الصَّوتُ والجلبة. «مختار الصحاح»: (لغط).
(٣) في (يه): «اللغط يحث الغلط».
(٤) في (ش) و(يه): «فعدل».
(٥) في (س): «حتى» بدل: «يقول».
(٦) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١: ١٩٧).
(٧) في (ر): «من».
(٨) في (ب) و(ف): «التتم».
(٩) اللَّددُ: شدّةُ الخصومة. انظر «مختار الصحاح»: (لدد).

أدبَهُ على غيرِه مِن الحاضرين أو الغائبين، أو تَرفَّع[١] في المجلس على مَن هو أَولى مِنه، أو نامَ، أو تَحدَّثَ مع غيرِه، أو ضَحِكَ، أوِ استهزأَ بأحدٍ مِن الحاضرين، أو فعلَ ما يُخِلُّ بأدبِ الطّالِبِ في الحلقة، وسيأتي تفصيلُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٢]، هذا كلُّه بشرطِ ألّا يترتَّبَ على ذلك مفسدةٌ تَربُو عليه.

ويَنبغي أنْ يكونَ له نقيبٌ فَطِنٌ كيِّسٌ[٣] دَرِبٌ؛ يُرتِّبُ الحاضرِينَ ومَن يَدخلُ عليهم على قدرِ منازلِهم، ويُوقِظُ النّائمَ، ويُشيرُ إلى مَن تركَ ما يَنبغي فعلُه، أو فَعلَ ما يَنبغي تركُه، ويَأمرُ بسماعِ الدُّروسِ والإنصاتِ لها[٤].

التّاسع: أنْ يُلازِمَ الإنصافَ في بحثِهِ وخِطابِه، ويَسمعَ السُّؤالَ مِن مُورِدِهِ على وجهِه، وإنْ كان صغيرًا، ولا يَترفَّعَ عن سماعِه فيُحرَمَ الفائدة.

وإذا عَجَزَ[٥] السّائلُ عن تقريرِ ما أوردَهُ، أو تحريرِ العبارةِ فيه؛ لحياءٍ، أو قُصورٍ، ووقعَ على المعنى، عبَّر عن مرادِه، وبيَّنَ وجهَ إيرادِهِ، ورَدَّ على مَنْ ردَّ عليه، ثمَّ يجيبُ بما عندَه، أو يَطلبُ ذلك مِن غيره، ويَتروَّى فيما يُجيبُ به.

وإذا سُئل عمّا لم يَعلمهُ، قال: لا أعلَمُه، أو: لا أدري؛ فمِن العِلمِ أنْ يقولَ: لا أعلم[٦]، ....

(١) في (ش): «يرفع نفسه» مكان: «ترفع».
(٢) انظر ما سيأتي ص٢٠١.
(٣) في (يه): «لسن»، والمثبت نسخة بهامشها.
(٤) في (ب): «إليها»، وليست في (س).
(٥) في (ب): «عي».
(٦) **قال عبد الإله**: كان طلاب شيخنا يجدون عنده أجوبة أسئلتهم، ولكنه لم يكن يجيب عن =

وعن بعضِهم: «(لا أدري) نصفُ العلم»(١).

وعن ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: «إذا أخطأَ العالِمُ (لا أدري) أُصيبَتْ مَقاتِلُه»(٢).

= كل ما يُسأل، فقد كان يتوقف أحيانًا؛ إما للتأكد والمراجعة أو للبحث والمطالعة، ولم يكن يستنكف أن يقول: «لا أدري»، فكان يَعِد بالبحث عن إجاباتها، ويطلب من طلابه أن يشاركوه تلك المهمة؛ ليتعلموا مهارة البحث عن المسائل، وليضيفوا لهم رصيدًا من الفوائد التي سيلتقطونها في رحلتهم البحثية، فكان شيخنا وطلابه ينظرون في الكتب، ويبحثون عن المسائل، فيسبق طلابَه أحيانًا، ويسبقونه أحيانًا أخرى، فإذا سبقهم عرض الإجابة لهم، وإذا سبقوه طلب من الطالب الذي عثر على الجواب أن يعرض نتيجة بحثه، فيناقش شيخنا مع طلابه تلك النتيجة، ويثني على تلميذه جهده، ويشجعه على المواصلة.

بل كان شيخنا ـ رغم علو مقامه ـ لا يستنكِف أن يسأل طلابه ويناقشهم ويستعين بهم، ومن ذلك أن أحد طلابه تولى إمامة مسجد، وكان يطيل دعاء القنوت في وتر رمضان؛ تلبية لرغبة المأمومين في ذلك، وكان شيخنا يكره المبالغة في تطويل القنوت؛ لأن الاعتدال من الركوع ركن قصير عند الشافعية، فسأل شيخنا أحد طلابه عن حكم فعل تلميذه الآخر، فأجابه بأن تطويل قيام الركعة الأخيرة لا يبطل الصلاة كما رجحه ابن حجر الهيتمي رحمه الله (٩٠٨-٩٧٤هـ)، فابتسم شيخنا، ثم قال: «لأنه ابن عمك؟!»، وقد كان المسؤول والمسؤول عنه ابني عم.

وعُرضت على شيخنا مسألة فرضية، توالى فيها موت الورثة واحدًا تلو آخر، ولم تُقسم تركة الميت الأول، وهو ما يسمى بمسائل المناسخة، وقد بلغ عدد الأموات تسعة أشخاص، فطلب شيخنا من أحد طلابه أن يساعده في حلها، فكان التلميذ يأتي منزل شيخه بعد صلاة العصر إلى المغرب أو العشاء لمدة أسبوعين، ويقومان بحل المسألة، فاكتسب التلميذ من شيخه خبرة كبيرة في كيفية قراءة الصكوك الرسمية وحصر الورثة وحل مسائل المناسخات عمليًا.

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٨٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١١١٩) عن الشعبي.

(٢) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» ص١١٥، ومن طريقه الخطيب البغدادي في «الفقيه =

وقيل: «يَنبغي للعالم أنْ يُورِّثَ أصحابَه (لا أدري)؛ لكثرة ما يقولُها»(١).

قال محمَّدُ بنُ عبد الحَكَم(٢): سألتُ الشّافعيَّ رضيَ الله عنه عن المتعةِ؛ أكان فيها طلاقٌ أو ميراثٌ أو نفقةٌ تجبُ أو شهادةٌ؟ فقال: «والله ما ندري»(٣).

واعلم أنّ قولَ المسؤولِ: «لا أدري» لا يَضَعُ مِن قدرِه كما يَظنُّه بعضُ الجَهلة، بل يَرفعُهُ؛ لأنّه دليلٌ على عِظَم محلّهِ، وقوّةِ دينِه، وتَقوى ربِّه، وطهارةِ قلبِه، وكمالِ معرفتِه، وحُسْنِ تَثبُّتِه(٤)، وقد رَوَينا معنى ذلك عن جماعةٍ مِن

= والمتفقه» (١١١٢)، عن مالك، أرسله عن ابن عباس رضيَ الله عنهما.
وأخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٨١٣) من طريق أخرى عن مالك عن ابن عجلان عن ابن عباس رضيَ الله عنهما.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» ص٧٨-٧٩، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٨١٢)، و«مناقب الشافعي» (٢: ١٥١)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١١١٣)، وابنُ الصَّلاح في «أدب المفتي والمستفتي» ص٧٦-٧٧ من طريق أحمد بن حنبل، عن الشافعيّ، عن مالكٍ، عن محمَّدِ بن عجلان قولَه.
قال ابن الصَّلاح: هذا إسناد جليل عزيز جدًّا؛ لاجتماع أئمّة المذاهب الثّلاثةِ فيه بعضهم عن بعض.

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (٨٠٩)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١١١٤) من قول عبدِ الله بنِ يزيدَ بنِ هرمز.

(٢) هو الإمام الفقيهُ شيخُ الإسلام، أبو عبد الله، محمَّدُ بنُ عبد الله بنِ عبد الحكم، المصريّ، كان عالمَ الدِّيار المِصريّةِ مع المُزَنيّ، عارفًا بأقاويل الصَّحابة والتّابعين، عالمًا بمذهب مالك، وكان من أصحابِ الشّافعيّ، ثمَّ ترك مجلسَه، ومن مصنّفاته «الردُّ على الشّافعيّ»، و«أحكامُ القرآن»، و«الرَّدُّ على فقهاء الأمصار»، توفّي سنةَ (٢٦٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٢: ٤٩٧-٥٠١).

(٣) وقع في هامش (يه): «نسخة: والله لا أدري». والأثر أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٥١-١٥٢).

(٤) في (ب) و(د): «نيته»، وفي (س) و(يه): «تثبيته».

السَّلَفِ، وإنّما يَأنفُ مِن قول: «لا أدري» مَن ضَعُفَت ديانتُه، وقلَّت معرفتُه[١]؛ لأنه يَخافُ مِن سقوطِه مِن أعينِ الحاضِرين، وهذه جَهالةٌ ورِقّةُ دِينٍ، وربَّما يَشتَهِرُ خطؤُه بينَ النّاس، فيَقعُ فيما فرَّ مِنه، ويَتَّصفُ عندَهم بما احترزَ عنه.

وقد أدَّب اللهُ تعالى العلماءَ بقصّة موسى مَعَ الخَضِرِ عليهما السلام، حينَ لم يَردَّ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام العلمَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لمّا سُئِل: هل أحدٌ في الأرض أعلمُ مِنك؟[٢].

العاشر: أنْ يَتودَّدَ لغريبٍ حضرَ عندَهُ، ويَنبسِطَ[٣] له؛ ليَنشرحَ صدرُه؛ فإنّ للقادمِ دَهْشة، ولا يُكْثِرُ الالتفاتَ والنّظرَ إليه استغرابًا له؛ فإنّ ذلك مُخْجِلُهُ[٤].

وإذا أقبلَ بعضُ الفُضَلاءِ وقد شرعَ في مسألةٍ أمسكَ عنها حتَّى يجلِسَ، وإنْ جاءَ وهو يَبحثُ في مسألةٍ أعادَها له أو مقصودَها.

وإذا أقبلَ فقيهٌ، وقد بقِيَ لفراغِه وقيامِ الجماعةِ بقدرِ ما يصِلُ الفقيهُ إلى المجلس، فليؤخِّرْ تلك البقيّةَ، ويشتغلْ عنها ببحثٍ أو غيره، إلى أن يَجلِسَ الفقيهُ، ثمَّ يعيدُها، أو يُتمِّمُ[٥] تلك البقيّةَ؛ كي لا يَخجَلَ المقبِلُ بقيامِهم عندَ جلوسِه.

---

(١) من قوله: «وحسن تثبته» إلى هنا ليس في (ف).

(٢) قصّةُ موسى مع الخضِر عليهما السلام أخرجها البخاري في «صحيحه» في مواضع، منها ما في كتاب العلم، باب ما يُستحب للعالم إذا سُئل: أيُّ الناس أعلم؟ فيكل العلمَ إلى الله، (١٢٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، (٢٣٨٠) من حديث أُبيّ بن كعب رضيَ الله عنه.

(٣) في (س) و(ر): «ويتبسط»، ولم تُنقط في (ظ).

(٤) في (ب) و(ظ) و(ف): «يخجله».

(٥) في (ر) و(ش): «يتم».

ويَنبغي مراعاةُ مصلحةِ الجماعةِ في تقديم وقتِ[١] الحضورِ وتأخيرِه، إذا لم يكُنْ عليه فيه ضرورةٌ، ولا مَزيدُ كُلفةٍ، وأفتى بعضُ أكابر العلماء أنّ المدرِّسَ إذا ذكرَ الدَّرسَ في مدرسةٍ قبل طلوعِ الشَّمسِ أو أخَّرهُ إلى بعدَ الظُّهر، لم يَستحِقَّ معلومَ التَّدريس، إلّا أنْ يَقتضيَهُ شرطُ الواقفِ؛ لمخالفتِه[٢] العُرفَ المعتادَ في ذلك.

الحادي عشر: جرتِ العادةُ أن يقولَ المدرِّسُ عند ختمِ كل درسٍ: واللهُ أعلم، وكذلك يَكتبُ المفتي بعد كتابةِ الجواب، لكن الأَوْلى أنْ يُقالَ قبل ذلك كلامٌ[٣] يُشعِرُ بختمِ الدَّرسِ، كقوله: وهذا آخرُه، أو: وما بعدَهُ يأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى، ونحو ذلك؛ ليَكون قولُه: «واللهُ أعلمُ» خالصًا لذكرِ الله تعالى، ولقصدِ معناه، ولهذا يَنبغي أنْ يَستفتِحَ كلَّ درسٍ بـ: «بسم الله الرَّحمن الرحيم»؛ ليكونَ ذاكرًا لله[٤] تعالى في بداءتِه وخاتمتِه[٥].

والأَوْلى للمدرِّس أنْ يَمكثَ قليلًا بعد قيام الجماعة؛ فإنّ فيه فوائدَ وآدابًا له ولهم[٦].

---

(١) في (يه): «تقديمهم لوقت»، والمثبت نسخة بهامشها.

(٢) في (س) و(ف): «المخالفة».

(٣) في (ب): «يقول... كلامًا».

(٤) في (د) و(ف) و(يه): «ذكر الله».

(٥) في (ب) و(ش): «بدايته وخاتمته»، وفي (يه): «بداية وخاتمة».

(٦) **قال عبد الإله**: جرت عادة شيخنا أن يكون آخر من ينصرف من المسجد بعد انتهاء دروسه، وكان يأمر طلابه بالانصراف في شؤونهم، وينهاهم عن الوقوف والتجمُّع أمام المسجد لتبادل الأحاديث الجانبية؛ كيلا يؤدي تصرفهم إلى إيذاء جيران المسجد، وقد كان معظم طلابه في العشرينيات من عمرهم، فينصرف شيخنا مطمئنًا أن طلابه انصرفوا في حفظ الله وكلاءته.

منها: عدمُ مزاحمتِهم.

ومنها: إنْ كان في نفسِ أحدٍ بقايا سؤالٍ سأله.

ومِنها: عدمُ ركوبِه بينَهم إنْ كان[١] يَركبُ، وغير ذلك.

ويُستحَبُّ إذا قامَ أنْ يدعوَ بما ورد به الحديثُ: «سبحانَك اللَّهُمَّ وبحمدِك، لا إلهَ إلّا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك»[٢].

الثّاني عشر: ألّا يَنتصِبَ للتَّدريسِ إذا لم يَكن أهلًا له، ولا يَذكر الدَّرسَ مِنْ عِلْـمٍ لا يَعـرفُه، سواءٌ اشترطَه الواقفُ أم لم يَشترِطهُ[٣]؛ فإنّ ذلك لَعِبٌ في الدِّين[٤]، وازدراءٌ بين النّاس، قال النّبيُّ ﷺ: «المتشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثوبَي زُورٍ»[٥].

---

(١) بعدها في (د) و(يه): «ممن».

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، (٤٨٥٩)، والنسائي في «الكبرى»، كتاب عمل اليوم والليلة، باب كفارة ما يكون في المجلس، (١٠١٨٧) من حديث أبي بَرْزةَ الأسلميّ، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٨٥٨)، والترمذي في «سننه»، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، (٣٤٣٣)، والنّسائي في «الكبرى»، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر لغطه، (١٠١٥٧) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، ورُوي عن غيرهما. وسيأتي في آخر الكتاب.

(٣) في (ب) و(د): «شرطه... يشرطه»، وفي (س): «اشترط... يشترطه»، وفي (ش) و(يه): «اشترط... يشرطه»، وفي (ر): «أشرطه... يشرطه»، والمثبت من (ظ).

(٤) في (س): «الدرس».

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، (٥٢١٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، (٢١٣٠) من حديث أسماء رضيَ الله عنها.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٢١٢٩) من حديث عائشة رضيَ الله عنها.

وعن الشِّبليِّ[(١)]: «مَن تَصدَّرَ قبل أوانِه فقد تَصدَّى لهوانِه»[(٢)].

وعن أبي حنيفةَ رضيَ الله عنه: «مَن طلبَ الرِّياسةَ في غيرِ حِينِه لم يَزلْ في ذُلٍّ[(٣)] ما بَقي»[(٤)].

واللَّبيبُ مَن صان نفسَهُ عن تَعرُّضِها لما يُعَدُّ فيه ناقصًا، وبتعاطيهِ[(٥)] ظالمًا، أو بإصرارِه عليه فاسقًا؛ فإنّه متى لم يكن أهلًا لما شَرَطَهُ الواقفُ في وقفِه، أو لما يَقتضيهِ عُرْفُ مثلِه، كان بإصرارِه على تناولِ ما لا يَستحِقُّه فاسقًا.

فإنْ كان الواقفُ شَرَطَ في الوقف أنْ[(٦)] يكون المدرِّسُ عاميًّا، أو جاهلًا، لم يَصِحَّ شرطُه، وإنْ شَرَطَ جَعْلَ ناقِصٍ مخصُوصٍ[(٧)] مدرِّسًا، سقطَ اسمُ الفِسْقِ، وخَطَرُ الإثم، ويَبقى التَّنقُّصُ به، والاستهزاءُ به بحالِه، ولا يَرضَى ذلك لنفسِهِ أرِيبٌ، ولا يتعاطاهُ[(٨)] معَ الغِنى عنه لبيبٌ، ولا يَظْهَرُ مِنْ واقفٍ شَرَطَ

---

(١) هو شيخ الصُّوفيّة، أبو بكر، دُلَف بن جعفر ـ وقيل في اسمه غير ذلك ـ الشِّبليُّ البغداديُّ، صَحِبَ الجنيد وغيره، وكان فقيهًا عارفًا بمذهبِ مالك، وكتبَ الحديث عن طائفة، وله ألفاظ يُعتذَر عنها، ولا يُقتدى به فيها، توفّي سنة (٣٣٤هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥: ٣٦٧-٣٦٩).

(٢) نسبه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠: ٥١٦)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٩: ٧٥)، و«السير» (١٧: ٢٠٨)، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٤: ٣٩٨) لأبي الطَّيب سهل بن محمَّد الصُّعلوكيّ.

(٣) في (س): «ذلة».

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» ص٣١١.

(٥) في (ش): «أو بتعاطيه».

(٦) في (ش) و(ظ) و(يه): «بأن».

(٧) في (س): «مخصوصًا».

(٨) في (س): «يتطأطؤه»، وهو تحريف.

ذلك قصدُ الانتفاع، ولا يَؤولُ أمرُ وَقْفِه إلّا إلى ضياع، وأقلُّ مفاسدِ ذلك أنّ الحاضرِينَ يَفقدون الإنصافَ؛ لعدَمِ مَن يَرجعونَ إليه عند الاختلاف؛ لأنّ ربَّ الصَّدْرِ لا يَعرفُ المصيبَ فيَنصُرَه، أو المخطِئ[1] فيَزجُرَه.

وقيل لأبي حنيفةَ رحمه الله: في المسجدِ حَلْقةٌ يَنظرون في الفقه، فقال: ألهم رأسٌ؟ قالوا: لا، قال: لا يَفقهُ هؤلاءِ أبدًا[2].

ولبعضِهم في تدريس مَن لا يَصلُحُ[3]:

تَصدَّرَ للتَّدريسِ كلُّ مُهوَّسٍ جَهُولٍ[4] تَسمَّى بالفَقيهِ المُدرِّسِ
فحُقَّ لأهلِ العلمِ أنْ يَتمثَّلوا ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مجلسِ
لقد هَزُلَتْ حتَّى بَدا مِن هُزالِها كُلاها وحتَّى سامَها[5] كلُّ مُفلِسِ[6]

---

(١) في (د) و(س): «ولا المخطئ».

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٧٩٠)، وابن عبد البر في «الانتقاء» ص٢٥٧، وأورده في «جامع بيان العلم» (٩٢٦).

(٣) بعدها في (ب): «قال»، ووقع في هامش (يه) ما نصه: «وهو أبو علي الآمدي». وانظر التعليق التالي.

(٤) وقع في هامش (يه): «نسخة: بليد».

(٥) في (ب) و(س) و(ش) و(ظ) ونسخة كما في هامش (يه): «استامها»، وهو بهذا اللفظ في «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢: ٨٤٧)، وذكر البيت الأخير فقط دون نسبة، وأشار محققه أنه وقع في إحدى نسخه: «سامها»، ووقع برواية «استامها» في طبعة التدمري من «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٠: ١٨٣)، وهو في طبعة د. بشار عواد (٩: ٧١١) بلفظ: «سامها».

(٦) الأبيات لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الفالي المؤدِّب، المتوفَّى سنة (٤٤٨هـ). انظر «المنتظم» لابن الجوزي (١٦: ١٠)، و«الكامل» لابن الأثير (٨: ٣٣٥)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٤: ١٦٤٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٩: ٧١١)، ونسبه ياقوت في موضعٍ آخرَ من «معجم الأدباء» (٣: ١٠٦٣) لأبي علي الحسين بن سعد الآمدي، المتوفى سنة (٤٤٤هـ).

الفصل الثالث
في أدب العالم مع طلبته مطلقًا وفي حلقته

وهو أربعةَ عشرَ نوعًا:

الأوّل: أن يَقصِدَ بتعليمِهم وتهذيبِهم وجهَ الله تعالى، ونشرَ العلمِ، وإحياءَ الشَّرع، ودوامَ ظهورِ الحقِّ وخُمُولِ الباطل، ودوامَ خيرِ الأُمّة بكثرةِ علمائها، واغتنامَ ثوابِهم، وتحصيلَ ثوابِ مَن يَنتهي إليه عِلمُه مِن بعدهم، وبركةَ دعائِهم له، وتَرحُّمَهُم عليه، ودخولَهُ في سلسلة العلمِ بين رسولِ الله ﷺ وبينَهم، وعدادَهُ في جملةِ مبلِّغي وحيِ الله تعالى وأحكامِه؛ فإنّ تعليمَ العلمِ مِن أهمِّ أمورِ الدِّين، وأعلى درجاتِ المؤمنين[1].

قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ اللهَ تعالى وملائكتَه وأهلَ السَّمواتِ والأرضِ حتَّى النّملةَ في جُحْرِها يُصَلُّون على معلِّمِ النّاسِ الخيرَ»[2].

---

(١) **قال عبد الإله:** قدّمنا فيما سبق شواهد على إخلاص شيخنا في تعليمه طلابه، وكان شيخنا يربي طلابه على الإخلاص في طلب العلم، ولا يدع فرصة تفوت بدون أن يرسل لهم رسالة في الإخلاص، وكان كثيرًا ما يردد قول القائل: «الناس هلكى إلا العالِمين، والعالمون هلكى إلا العاملين، والعاملون هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم»، ومن الأمثلة على ذلك أنه أعطى طلابه مسألة في الفرائض والمواريث، فقاموا بكتابة حلها في ورقة، ثم اقترح أحدهم على شيخنا أن يكتب في أسفلها: «هذا عمل طلاب الشيخ أحمد الدوغان»، فقال شيخنا له بهدوء: «يا بني، إياك أن تحرص على إظهار عملك لأحد».

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه»، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٥) =

لعَمْرُكَ[1] ما هذا إلّا منصِبٌ جَسِيمٌ، وإنّ نَيْلَهُ لَفوزٌ عظيمٌ، نعوذُ بالله مِن قواطعِه ومكدِّراتِه، ومُوجِباتِ حِرمانِهِ وفواتِه.

الثّاني: ألّا يمتنعَ من تعليمِ الطّالب لعدمِ خلوص نيّتِه؛ فإنّ حُسنَ النِّيّةِ مرجوٌّ له ببركةِ العلم، قال بعضُ السّلف: «طلبْنا العلمَ لغيرِ الله، فأبى أنْ يكونَ إلّا لله»[2]، قيل: معناهُ: فكان عاقبته أنْ صارَ لله.

ولأنّ إخلاصَ النِّيّة لو شُرِطَ في تعليم المبتدِئين فيه، مع عُسْرِهِ على كثيرٍ منهم، لأدّى ذلك إلى تفويتِ العلمِ كثيرًا من النّاس، لكنّ الشّيخَ يُحرِّضُ المبتَدِئَ على حُسنِ النِّيّة بتدريجٍ قولًا وفعلًا، ويُعلِّمهُ بعد أنسِهِ به[3] أنّه ببركةِ حسنِ النِّيّة يَنالُ الرُّتبةَ العلِيّةَ مِن العلم والعمل، وفيضَ اللّطائفِ، وأنواعَ الحِكمِ، وتنويرَ القلبِ، وانشراحَ الصّدرِ، وتوفيقَ العزمِ، وإصابةَ الحقِّ، وحُسنَ الحالِ، والتّسديدَ[4] في المقالِ، وعُلُوَّ الدّرجاتِ يومَ القيامة.

الثّالث: أنْ يُرغِّبَهُ في العلمِ وطلبِهِ في أكثر الأوقات بذكرِ[5] ما أعدَّ اللهُ تعالى للعلماءِ من منازلِ الكرامات، وأنّهم ورثةُ الأنبياء[6]، وعلى منابرَ مِن نورٍ[7]

= من طريق سلمة بن رجاء، عن الوليد بن جميل، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة رضيَ الله عنه. وسلف طرفه ص٦٠، وانظر تتمّة تخريجه ثمّة، وهو حديث حسن لغيره.

(١) في (س): «العمري».

(٢) أخرج الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٧٥) عن معمر قال: «إنّ الرجلَ ليطلبُ العلمَ لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله عزَّ وجلَّ».

(٣) في نسخة كما بهامش (يه): «بعد الثقة به».

(٤) في (ر) و(س) و(ظ): «والتشديد».

(٥) في (ب): «يذكر».

(٦) سلف ص٧٤.

(٧) لم أقف عليه، وسلف ص٧٨.

يَغبطُهم الأنبياءُ والشُّهداء، ونحو ذلك ممّا[١] وَرَدَ في فضل العِلْم والعُلماء مِن الآياتِ والأخبارِ والآثارِ والأشعار[٢].

---

(١) في (س) و(ش): «لما».

(٢) **قال عبد الإله:** كان شيخنا يربي طلابه بحاله ومقاله على الاجتهاد في طلب العلم، وإيثاره على شهوات النفس الباحثة عن الراحة والمتعة، أما حاله فقد كان طلابه يرونه دائمًا معلمًا أو متعلمًا، معلمًا لهم في حلقاته العلمية المتعددة، أو متعلمًا مع أصحابه وأقرانه بقراءة الكتب ومذاكرة العلم في ساعات لقاءاتهم واجتماعاتهم، وكان يخصّص وقتًا في دروسه لقراءة الكتب التي تحث على طلب العلم، وتبين فضل العلم والعلماء. وأما بمقاله فقد كان شيخنا يحث طلابه على مراجعة الدرس قبل انعقاده وبعد انتهائه، وكان يذكر لهم نماذج من العلماء الذين اشتهر عنهم مراجعة الدرس مرات كثيرة، مثل الإمام أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله (٣٩٣-٤٧٦هـ)، فقد كان يراجع الدرس مِئة مرة، وكان شيخنا يسلك مسلكًا طريفًا في التأكيد على أهمية المراجعة، فكان بعض طلابه يسألون أسئلة، فيأتي جوابها فيما يُقرأ في الدرس، فيبتسم ويقول: «لا يسبقنكم أبو إسحاق الشيرازي». ومن علماء الأحساء المعاصرين الذين كان شيخنا يستشهد بهم على كثرة مراجعة الدرس الشيخ عبد العزيز العكّاس الحنفي رحمه الله (١٣٠٤-١٣٨٢هـ)، فقد كان يراجع درسه أربعين مرة، فكان بعض الطلاب إذا سألوا شيخنا سؤالًا، ثم أتت إجابته، قال لهم: «يبدو أنكم راجعتم الدرس تسعًا وثلاثين مرة، ولو أنكم راجعتموه أربعين مرة، كما كان يفعل الشيخ العكاس، لما سألتم». وكان شيخنا يترنم بترديد الأبيات الشعرية المبينة لأهمية العلم، ويوصي طلابه بحفظها، ومنها قصيدة أبي إسحاق الإلبيري رحمه الله (ت٤٦٠هـ)، وفيها:

أبا بكرٍ دعوتُكَ لو أَجَبْتا ... إلى ما فيه حظُّكَ إنْ عَقَلْتا
إلى علمٍ تكونُ به إمامًا ... مُطاعًا إنْ نَهيتَ وإنْ أَمَرْتا
وتَجلُو ما بعينِكَ مِن عَشاها ... ويَهديكَ السبيلَ إذا ضَلَلتا
وتحملُ منه في ناديكَ تاجًا ... ويكسُوكَ الجمالَ إذا اغتَرَبتا
ينالُكَ نفعُه ما دمتَ حيًّا ... ويبقَى ذُخرُه لكَ إن ذَهَبتا

ومنها أبيات الإمام محمود بن عمر الزمَخشَري رحمه الله (٤٦٧-٥٣٨هـ):

سَهَري لِتنقِيحِ العلومِ ألذُّ لي ... مِن وَصْلِ غانيةٍ وطِيبِ عِناقِ =

ويُرغِّبُه مع ذلك بتدريجٍ على ما يُعينُ على تحصيلِه؛ مِن الاقتصارِ على

= وتمايُلي طَرَبًا لحلِّ عَويصةٍ أشهَى وأحلَى من مُدامةِ ساقي
وصَريرُ أقلامي على أوراقِها أحلى من الدُّوكاءِ والعُشّاقِ
وألذُّ من نقرِ الفتاةِ لدُفِّها نقْري لأُلقي الرملَ عن أوراقي
يا مَن يحاولُ بالأماني رُتبتي كم بينَ مُستفِلٍ وآخرَ راقي
أأبيتُ سَهرانَ الدُّجى وتَبيتُه نومًا وتَبغي بعدَ ذاكَ لِحاقي

ومنها أبيات من لامية الإمام ابن الوَرْدِي رحمه الله (٦٩١-٧٤٩هـ):

اطلُبِ العلمَ ولا تكسَلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ
واحتفِلْ للفقهِ في الدينِ ولا تَشتغِلْ عنه بمالٍ وخَوَلْ
لا تقُلْ قد ذهبتْ أربابُهُ كلُّ مَن سار على الدَّرْبِ وَصَلْ
في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدا وجمالُ العلمِ إصلاحُ العَمَلْ
جمِّلِ المَنطِقَ بالنحوِ فمَن يُحرَمِ الإعرابَ في النطقِ اختَبَلْ

ومنها:

تَعَلَّمْ فليسَ المرءُ يُولَدُ عالمًا وليسَ أخو علمٍ كمَن هو جاهِلُ
وإن كبيرَ القومِ لا عِلمَ عندهُ صغيرٌ إذا التفّتْ عليه المَحافلُ
وإن صغيرَ القومِ والعلمُ عندَهُ كبيرٌ إذا رُدتْ إليه المسائلُ

ومنها:

العلمُ نُورٌ وسِراجٌ يُقتبَسْ صاحبُه مُكَرَّمٌ حيثُ جَلَسْ
مَن فاتَهُ العلمُ تطاطا وانتكَسْ شَتّانَ ما بينَ حِمارٍ وفَرَسْ

ومنها في التحذير من الجهل:

إنَّ الخَلِيَّ عن العلومِ مَقامُهُ عندَ النِّعالِ له صُمُوتُ الأَخرَسِ

وقد كان مشايخنا عمومًا يحضون طلابهم على الاهتمام بالعلوم الشرعية، وينبهون طلابهم بألطف الأساليب. وقد حدث أن أحد طلاب الشيخ عبد العزيز العبيد الله الشافعي رحمه الله (١٣١٨-١٤٠٨هـ) تكرر تأخره عن حضور الدروس، فقال له:

إذا كان يؤذيك حرُّ المَصيفِ ويُبسُ الخريفِ وبردُ الشّتا
ويُلهيك حُسنُ زَمانِ الربيعِ فأخْذُك للعلمِ قُلْ لي مَتى =

المَيسُورِ وقدرِ الكفايةِ مِن الدُّنيا، والقناعةِ بذلك عن شغلِ القلبِ بالتَّعلُّق بها، وغَلَبةِ الفكرِ، وتفريقِ الهمِّ بسببها؛ فإنّ انصرافَ القلبِ عن تعلُّقِ[١] الأطماعِ بالدُّنيا، والإكثارِ مِنها، والتأسُّفِ على فائتِها: أجمَعُ لقلبه، وأرْوَحُ لسِرِّه[٢]، وأشرَفُ لنفسِه، وأعلَى لمكانتِه، وأقلُّ لحسّادِه، وأجدَرُ بحفظِ[٣] العلمِ وازديادِه، ولذلك قلَّ مَن نال مِن العلمِ نصيبًا وافرًا إلّا مَن كان في مبادئ تحصيلِه على ما ذكرْتُ مِن الفقرِ والقناعة، والإعراضِ عن طلبِ الدُّنيا وعَرَضِها الفاني. وسيأتي في هذا النّوعِ أكثرُ مِن هذا في أدبِ المتعلِّمِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٤].

الرّابع: أنْ يُحِبَّ لطالبِه ما يُحِبُّ لنفسِه، كما جاء في الحديث[٥]، ويَكرَهَ له ما يَكرهُ لنفسِه.

قال ابنُ عبّاس: «أكرمُ النّاس عَلَيَّ جَلِيسي الذي يَتخطَّى رقابَ النّاسِ إليَّ، لو استطعتُ ألّا يقعَ الذُّبابُ عليه لفعلتُ»[٦].

= وقد سمعت هذه الأبيات من الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي رحمه الله (١٣٣٦-١٤١٧هـ) مرارًا أثناء زياراته المتكررة للأحساء.

(١) في (س): «تعليق».

(٢) في (ب): «لصدره»، وفي (ف): «لبدنه».

(٣) في (ب) و(يه): «لحفظ».

(٤) ص١٦٥.

(٥) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضيَ الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «لا يُؤمِنُ أحدُكم حتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِه».

(٦) في (س): «فعلت»، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٤٥)، (١١٤٦)، ويعقوب =

وفي روايةٍ: «إنّ الذُّباب ليَقعُ علَيهِ فيُؤذيني»[١].

ويَنبغي أنْ يَعتنيَ بمصالحِ الطّالب، ويُعامِلَهُ[٢] بما يُعامِلُ به أعزَّ أولادِهِ؛ من الحُنوِّ والشَّفقةِ عليه، والإحسانِ إليه[٣]، والصَّبرِ على جَفاءٍ ربَّما وقعَ مِنه، ونقصٍ لا يَكادُ يَخلُو الإنسانُ عنه، وسُوءِ أدبٍ في بعض الأحيان، ويَبسُطَ عذرَهُ بحسَبِ الإمكان، ويُوقِفَه معَ ذلك على ما صدرَ مِنه بنُصْحٍ وتَلَطُّف، لا بتَعْنيفٍ وتعَسُّف؛ قاصدًا بذلك حُسنَ تربيتِه، وتحسينَ خُلُقِه، وإصلاحَ شأنِه، فإنْ عرفَ ذلك لذكائه بالإشارة، فلا حاجةَ إلى صريحِ العبارة، وإنْ لم يَفهم ذلك إلّا بصريحِها أتى به، وراعى التَّدريجَ في التَّلطُّفِ، ويؤدِّبهُ بالآدابِ السَّنيّة، ويُحرِّضهُ على الأخلاقِ المرضيّة، ويُوصِيهِ بالأمورِ العُرفيّةِ على الأوضاعِ الشَّرعيّة[٤].

= ابن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١: ٥٣٣-٥٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٢٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٩٢).

(١) أخرجها الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧١٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٩٣). وانظر «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي ص٤٨-٤٩.

(٢) بعدها في (ر): «من الشفقة والحنو عليه».

(٣) وقد عهدتُ هذا من بعض أساتذتي في داريّا بضواحي دمشق حفظها الله وفرَّج عنها، فكان بعضُ خطبائها، وهو الأستاذ أحمد جلال عليّان رحمه الله وغفر له، يتعهَّد طلّابه أشدَّ التعهُّد؛ فإذا رأى فيهم فقيرًا سارعَ إلى سدِّ حاجته، وإذا رأى طالبًا بثيابٍ رقيقةٍ في أيّام الشّتاء سارع ليَكسوَه بثيابٍ تُدفئه، فكان لطلّابه كالأب الرفيق بأبنائه، ورأيتُ قريبًا من ذلك من الشيخ فيّاض وهبة، وهو أيضًا من خطباء تلك البلدة وحفّاظها، فرَّج اللهُ عنه، ومن الأستاذ المحقّق عبده كوشك الدّاراني رحمه الله. وممّا اشتهر عن الشيخ الفقيه المقرئ عبد الرزّاق الحلبي شيخ المسجد الأمويّ رحمه الله أنّه كان يأتي إلى المسجد وقد لبسَ عدّة جُبَب، فإذا رأى طالبًا فقيرًا ألبسَه إحداها. وهذا غيضٌ من فيضٍ ممّا كان عليه شيوخُنا، رحم الله مَن سبقنا إلى رحمتِه، وحفظَ من بقيَ ونفع به المسلمين.

(٤) **قال عبد الإله:** كان شيخنا يعامل طلابه معاملة الأب الرحيم، يحلم عليهم، ويقبل أعذارهم، =

الخامس: أنْ يَسمحَ له بسهولةِ الإلقاءِ في تعليمه، وحُسنِ التَّلطُّفِ في تفهيمِه، لا سيَّما إذا كان أهلًا لذلك؛ لحُسْنِ أدبِه وجَودةِ طَلَبه، ويُحرِّضُه[١] على ضبطِ الفوائد، وحفظِ النّوادرِ الفرائد.

ولا يَدَّخِرَ عنه مِن أنواع العلوم ما يَسألُه عنه[٢] وهو أهلٌ له؛ لأنّ ذلك ربَّما يُوحِشُ الصَّدرَ، ويُنفِّرُ القلبَ، ويُورِثُ الوَحْشَةَ.

وكذلك[٣] لا يُلقي إليه ما لم[٤] يَتأهَّلْ له؛ لأنّ ذلك يُبدِّدُ ذهنَهُ، ويُفرِّقُ فهمَهُ، فإنْ سألَهُ الطّالبُ شيئًا مِن ذلك لم يُجبْهُ، ويُعَرِّفُهُ أنّ ذلك يَضرُّهُ ولا يَنفعُه، وأنّ منعَهُ إيّاه منه شَفَقةٌ عليه، ولطفٌ به، لا بُخْلًا عليه، ثمَّ يُرغِّبُهُ عندَ ذلك في الاجتهادِ[٥] والتَّحصيل؛ ليتأهَّلَ لذلك وغيرِه. وقد رُوي في تفسيرِ

= ويغضُّ النظر عن أخطائهم، فقد جلس بين يديه مئات من الطلاب، وكان يكبرهم بستين وسبعين سنة، وكان بعضهم يـخطئ في تعامله معه بقوله أو فعله، فيغفل عن شيخنا أثناء شرحه تارة، ويتكلم مع زميله بجواره تارة أخرى، فيتفهّم مرحلتهم العمرية، ويتغافل عنهم؛ حلمًا عليهم، وترويحًا لأنفسهم.

وكان شيخنا يربي طلابه بالقدوة الحسنة، وكان يسلك أحيانًا طريقة التربية غير المباشرة، فكان إذا رأى خطأ من أحد طلابه، وخشي أن يحرجه بنصحه، يخبر أحد طلابه ممن له دلالة عليه؛ لينبهه وينصحه، وأحيانًا كان ينتقي كتابًا ينبه على هذا الخطأ فيحضره الدرس، ويطلب من أحد طلّابه قراءته عليهم بدون توجيه عتاب لأي أحد من طلابه، وما كان شيخنا يلجأ إلى طريقة التربية المباشرة، والمناصحة وجهًا لوجه، إلا قليلًا، ولكنها ممزوجة بالتلطف والترفق، الأمر الذي يدل على محبة شيخنا لطلابه وشفقته عليهم.

(١) في (س): «ولحرصه».

(٢) لفظ: «عنه» ليس في (ب) و(ف).

(٣) في (ب) و(د) و(س) و(ش): «ولذلك».

(٤) في (س): «حتى» مكان: «ما لم».

(٥) في (س): «بالاجتهاد».

الرَّبّانيّ: أنّه الذي يُربّي النّاسَ بصِغارِ العلم قبلَ كِبارِه[١].

السّادس: أنْ يَحرِصَ على تعليمِه وتفهيمِه ببذلِ جُهْدِه، وتقريبِ المعنى له، مِن غير إكثارٍ لا يَحتمِلُهُ ذِهْنُه، أو بسْطٍ لا يَضْبطُه حِفظُه، ويُوضِحُ لمتوقِّفِ الذِّهنِ العبارةَ، ويَحتسِبُ إعادةَ الشَّرحِ له وتَكرارَهُ[٢].

ويَبدأُ بتصويرِ المسائل، ثمَّ يُوضِحُها بالأمثلةِ وذكرِ الدَّلائل، ويَقتصِرُ على تصويرِ المسألةِ وتمثيلها لِمَنْ لم[٣] يتأهَّل لفهمِ مأخذِها ودليلِها[٤]، ويَذكرُ الأدلّةَ والمآخذَ لمحتمِلِها، ويُبيِّنُ له معانيَ أسرارِ حِكَمِها وعِلَلِها، وما يَتعلَّقُ بتلك المسألةِ مِن فرعٍ وأصل، ومَن وَهِمَ[٥] فيها في حكمٍ أو تخريجٍ أو نَقْل، بعبارةٍ حسنةِ الأداء، بعيدةٍ عن تنقيصِ أحدٍ مِن العلماء، ويَقصِدُ ببيانِ ذلك الوهْمِ طريقَ النّصيحة، وتعريفَ النُّقولِ الصَّحيحة، ويَذكرُ ما يُشابِهُ تلك المسألةَ ويناسِبُها،

---

(١) أورده البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، في آخر باب العلم قبل القول والعمل، قبل الحديث (٦٨).

(٢) **قال عبد الإله**: كان شيخنا في تدريسِه مقتديًا بالنبي الأكرم ﷺ، قال أنس بن مالك رضيَ الله عنه: «كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه»، رواه البخاري والترمذي، وقالت عائشة رضيَ الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يُبيّنه، فصلٍ، يحفظه من جلس إليه»، رواه أحمد والترمذي، فكان شيخنا يكرر مسائل العلم، ويتأنى في شرحها، ويتدرج في تعليمها، ويحرص على أن يكون شرحه للعبارات العلمية متوسطًا، لا اختصارًا مخِلًّا ولا إسهابًا مملًّا، وكانت تلك الطريقة مناسبة لطلابه، خصوصًا أنهم حديثو عهد بهذه الدروس، فكانت هذه الطريقة تعينهم على فهم المراد فهمًا سليمًا، وفي الوقت نفسه تثير عندهم أسئلة يستكملون بها كمال المعنى.

(٣) لفظ: «لم» ليس في (ظ).

(٤) من قوله: «وذكر الدلائل ويقتصر» إلى هنا ليس في (يه).

(٥) في (س): «ووقوع وأصل وهم» بدل: «من فرع وأصل ومن وهم».

وما يُفارِقُها ويُقارِبُها(١)، ويُبيّنُ مأخذَ الحُكمَين، والفرقَ بين المسألَتَين(٢).

---

(١) فوقها في (يه): «نسخة: ويقارنها».

(٢) **قال عبد الإله:** كان لشيخنا طرق متعددة في تدريس طلابه مسائل العلم، فلم يكن يقتصر على شرح الدروس لهم، ويكتفي بفهمهم لها، بل كان يحرص على أن يكونوا قادرين على تحمل أمانة التعليم في مستقبلهم، فقد كان شيخنا يُغيّر قرّاء الدروس من حين لآخر، ويراعي في ذلك مستوى القارئ ومستوى الكتاب ونوع العلم، وكان غرضه من ذلك تدريب طلابه على قراءة عبارات الأقدمين المسبوكة سبك الذهب، ولكنه كان يقدّم في القراءة الأقدم والأكبر من طلابه، وكان يقدّمهم في القرب منه أيضًا، ويطلب منهم الدعاء في ختام الدرس أحيانًا، ثم كان القارئ يشرع في قراءة الكتاب عبارة عبارة، وكان شيخنا يشرح كل كلمة فيها، وهو ما يسمى بتفكيك العبارة، وكان يعيد شرح العبارة أكثر من مرة، فيفهم الطلاب معناها تفصيلًا وإجمالًا، ثم يواصل الدرس على هذا النحو، وكان أحيانًا يلخص الدرس كاملًا بعد الفراغ منه، وكان يقصد من ذلك زيادة التوضيح، واستدراك ما فات على من حضر متأخرًا، وأحيانًا كان يشرح أهم مسائل الباب قبل القراءة، ثم يشرع القارئ في القراءة مع تعليقات مختصرة لشيخنا على بعض المسائل، وفي كثير من الدروس كان شيخنا يطلب من بعض طلابه أن يعيدوا شرح الدرس، خصوصًا بعد أن برع كثير منهم، وتشربوا طريقة شيخهم، فكانت هذه الإعادة شبيهة بالتدريب العملي على القيام بالتدريس، فكان شيخنا يستمع لشرح طلابه، ويصوبهم، ويهيئهم لمهمتهم القادمة، وقد كانت بعض الدروس تتطلب تطبيقًا عمليًا لفهمها واستيعابها، ولم يكن هذا الأمر خافيًا على شيخنا، فكان يطبق بعض الأحكام الفقهية التي يصعب استيعابها إلا بالتطبيق والممارسة، فكان يبين لهم طريقة الوضوء والتيمم، والمسح على الخفين، والافتراش والتورك في تشهدات الصلاة، وغير ذلك، ولم يكتفِ شيخنا من طلابه بفهم الدروس، وتطبيقها أمامهم عمليًا، بل كان يطلب منهم تطبيقها أمامه، فكان يطلب منهم قراءة سورة الفاتحة وتشهد الصلاة، وحفظ أدعية الحج وصلاة الجنازة، وأداء التيمم، وإعداد الخطب، وغير ذلك. وكان يحث طلابه على تسجيل الفوائد والفرائد، والمقطوعات والمنثورات، ويطلب منهم أن يُحضروا معهم دفاتر؛ لتسجيلها وتقييدها.

وقد كان شيخنا متدرجًا مع طلابه في تنمية مهاراتهم العقلية، وكان يجد في علم الفرائض والمواريث وسيلة مناسبة لتحقيق هذا الهدف، فكان يسألهم عن المسائل الفرضية =

ولا يَمتنِعُ مِن ذكرِ لفظةٍ يُستَحيا مِن ذِكْرِها عادةً، إذا احتيجَ إليها، ولم يتمَّ التَّوضيحُ إلّا بذكرِها، فإنْ كانت الكنايةُ تُفيدُ معناها، وتُحصِّلُ مقتضاها تَحصيلًا بيِّنًا، لم يُصرِّح بذكرِها، بل يَكتفي بالكنايةِ عنها(١)، وكذلك إذا كان في المجلسِ مَن لا يَليقُ ذِكرُها بحضورِه؛ لحيائِه، أو لجفائِه، فيَكني عن تلك اللَّفظةِ بغيرِها، ولهذه المعاني واختلافِ الحال - والله تعالى أعلم - وردَ في حديث النَّبيِّ ﷺ التَّصريحُ تارةً، والكنايةُ أُخرى.

= الميسرة، فيقومون بحلها في أوراقهم وكراريسهم، ثم يزيد المسائل صعوبة، فيحلونها بالطريقة نفسها، ثم يطلب منهم أن يحلوا المسائل ذهنيًّا بدون كتابة، فيواجهون صعوبة في البداية، ثم ينجحون أخيرًا، ثم يزيد الأمر صعوبة حينما يطلب إيجاد نسبة ميراث كل وارث إلى مصحح المسألة الفرضية، وفي بعض الأحيان كان شيخنا يفاجئ طلابه بمسائل فرضية معقدة، فلا يتمكنون من حلها إلا بالكتابة، فيكون شيخنا مستعدًّا بالأقلام والأوراق، فلا يبقى أمام الطلاب عذر إلا الاجتهاد وإعمال العقل، ونظرًا لصعوبة علم الفرائض، وتباين مستويات الطلاب في إتقانه، فقد كان شيخنا يُقسّم طلابه إلى مجموعات، بحيث يكون في كل مجموعة طالب متقن وعدة طلاب مبتدئين، ثم يطرح عليهم المسألة الفرضية، فيتعلم بعضهم من بعض، وهذه هي طريقة التعلم بالأقران.

وليس من المبالغة القول بأنه لا تكاد توجد طريقة صحيحة للتدريس إلا طبقها شيخنا في تدريسه لطلابه، فقد استخدم معهم طريقة المحاضرة والإلقاء المباشر، وطريقة الإجمال ثم التفصيل، وطريقة الحوار والمناقشة، وطريقة طرح الأسئلة لاكتشاف المواهب والقدرات، وطريقة التطبيق والممارسة، وطريقة التدريب العملي أو الميداني، وقد أضاف بعض طلابه طريقة جديدة في التعليم، وهي إجراء المناظرات بين الطلاب في مسائل العلم المختلفة.

(١) **قال عبد الإله**: من المواقف التي تجلت فيها هذه الصفة عند شيخنا أن أحد طلابه سأله قائلًا: إذا جامع الرجل زوجته... إلخ، وكان كل طلاب شيخنا عزابًا آنذاك، فقال شيخنا له: لا تقل هكذا، ولكن قل: إذا وجب على الرجل غُسل... إلخ، وهذا الأدب مستفاد مما قاله عبد الله بن عباس رضيَ الله عنهما: «الدخول والتغشي والإفضاء والمباشرة والرفث واللمس، هذا الجماع، غير أن الله حيي كريم، يكني بما شاء عما شاء»، رواه عبد الرزاق.

السّابع: إذا فرغَ الشَّيخُ مِن شرحِ درسٍ، فلا بأسَ بطرحِ مسائلَ تتعلَّق به على الطَّلبةِ؛ يَمتحِنُ بها فهمَهم وضبطَهم لِما شَرَحَ لهم، فمَن ظهرَ استحكامُ[١] فهمِه له بتَكرارِ الإصابةِ في جوابِه، شَكرَه، ومَن لم يَفهمهُ تَلطَّفَ في إعادتِه له.

والمعنى بطرحِ المسائل أنّ الطّالبَ ربَّما استَحيا مِن قوله: لم أفهم؛ إمّا لرفعِ كُلفةِ الإعادةِ على الشيخِ، أو لضيقِ الوقتِ، أو حياءً مِن الحاضِرين، أو كي لا تتأخَّر قراءَتُهم بسببِه، ولذلك[٢] قيل: لا يَنبغي للشيخِ أنْ يقول للطالب: هل فهمت؟ إلّا إذا أمِن مِن[٣] قولِه: نعم، قبل أنْ يَفهمَ، فإنْ لم يَأمَن مِن كذبِهِ لحياءٍ أو غيرِهِ، فلا يَسألهُ عن فهمِه؛ لأنه ربَّما وقعَ في الكذبِ بقوله: نعم؛ لما قدَّمناه مِن الأسباب، بل يَطرحُ عليه مسائلَ كما ذكرناهُ، فإن سألَهُ الشَّيخُ عن فهمِه، فقال: نعم، فلا يَطرحُ عليه المسائلَ بعد ذلك، إلّا أنْ يَستدعيَ الطّالبُ ذلك؛ لاحتمالِ خَجَلِه بظهورِ خلافِ ما أجابَ به.

ويَنبغي للشَّيخ أنْ يأمرَ الطَّلبةَ بالمرافقةِ في الدُّروس، كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٤]، وبإعادةِ الشَّرح بعدَ فراغِهِ فيما بينَهم؛ ليَثبُتَ في أذهانِهم، ويَرسَخَ في أفهامِهم، ولأنه يَحثُّهم على استعمالِ الفِكرِ، ومؤاخذةِ النّفسِ بطَلَب التَّحقيق.

الثّامن: أنْ يُطالِبَ الطَّلبةَ في بعضِ الأوقاتِ بإعادةِ المحفوظات[٥]،

---

(١) لفظ: «استحكام» ليس في (ب) و(د).

(٢) في (ب): «وكذلك».

(٣) لفظ: «من» ليس في (د) و(س) و(ف) و(يه).

(٤) انظر ما سيأتي ص٢٠٩.

(٥) **قال عبد الإله**: بعد أن قطع شيخنا شوطًا طيبًا مع طلابه، وأخذ يكتشف طاقاتهم ومواهبهم، شرع يوجّه بعضهم إلى حفظ المنظومات العلمية؛ لأنها تحوي أصول العلوم وأمهات مسائلها وقواعدها، ومن أبرز تلك المنظومات: متن «الرحبية» في الفرائض والمواريث =

ويَمتحِنَ ضبطَهم لما قدَّمَ لهم مِن القواعدِ المهمّة، والمسائلِ الغريبة، ويَختبرَهُم بمسائلَ تَنبني[١] على أصلٍ قرَّرهُ، أو دليلٍ ذكرَهُ، فمَن رآهُ مُصِيبًا في الجواب، ولم يَخَفْ عليه شِدّةَ الإعجابِ، شَكرَهُ، وأثنى عليه بين أصحابه؛ ليبعثَهُ وإيّاهم على الاجتهادِ في طلبِ الازدياد، ومن رآهُ[٢] مقصّرًا، ولم يَخَفْ نفورَهُ، عنّفهُ على قصورِه[٣]، وحرَّضَهُ على علوّ الهمّةِ، ونَيلِ[٤] المنزلةِ في طلبِ العِلْم، لا سيَّما إنْ كان ممَّن يَزيدُه التَّعنيفُ نشاطًا، والشُّكرُ انبساطًا.

ويُعيدُ ما يقتضي الحالُ إعادتَه؛ ليَفهمَهُ الطّالبُ فهمًا راسخًا.

التّاسع: إذا سلكَ الطّالبُ في التَّحصيل فوقَ ما يَقتضيهِ حالُه، أو تَحمِلُهُ

= (١٧٦ بيتًا)، ومتن «الزبد» في الفقه الشافعي (١٠٨٠ بيتًا)، ومتن «ألفية ابن مالك» في النحو (١٠٠٠ بيت)، وقد كان شيخنا يتابع طلابه بنفسه في حفظ تلك المنظومات، ويخصص أول الدرس أو آخره لتسميع محفوظاتهم، وقد كان السرور يبلغ منه مبلغه عندما يختم أحد طلابه منظومة علمية، فكان يطلب منه أن يسجد سجدة الشكر لله على ما منّ به عليه، وأن يدعو للمؤلف على نظمه المفيد، وأن يدعو للعلماء على قيامهم بمهمة رسل الله، عليهم صلوات الله وسلامه.

وكان شيخنا كثيرًا ما يستشهد بأبيات من المنظومات العلمية التي يحفظها، وكان يستنطق طلابه أيضًا للاستشهاد بمحفوظاتهم على المسائل العلمية التي يناقشها معهم، ويحثهم على مراجعتها، وكان يخبرهم أنه يراجع محفوظاته أيضًا، وأنه راجع اليوم كذا وكذا، وقد رآه بعض طلابه وهو يراجع محفوظاته من كتاب الله والمتون العلمية وهو في الثمانين من عمره، وذكر ابنه الشيخ عبد العزيز أنه رأى شيخنا يراجع متن «الزبد» في آخر سنتين من حياته، أي وهو في سن المئة.

(١) في (ب) و(د) و(ف): «تبنى».

(٢) في (س) و(ش) و(يه): «يراه».

(٣) في (ب): «تقصيره».

(٤) في (س): «ونبل».

طاقتُه، وخافَ الشَّيخُ ضَجَرَهُ، أوصاهُ بالرِّفق بنفسِه، وذَكَّرَهُ بقول النّبيّ ﷺ: «إنّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطعَ، ولا ظهرًا أبقَى»(١)، ونحوِ ذلك ممّا يَحمِلُهُ على الأَناةِ والاقتصادِ في الاجتهاد(٢).

وكذلك إذا ظهرَ له مِنه نوعُ سآمةٍ أو ضَجَرٍ أو مبادئُ ذلك، أمرَهُ بالرّاحةِ وتخفيفِ الاشْتِغال(٣).

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٧٤ـ كشف الأستار)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٩٥-٩٦، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة والجهد في المداومة، (٤٧٤٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٤٧) من طريق محمَّد بن سُوقة، عن محمَّد بن المنكَدِر، عن جابرٍ مرفوعًا، وتمامه: «إنّ هذا الدِّينَ متين، فأوغِل فيه برفقٍ؛ فإنّ المنبَتَّ...».
قال الحاكم: هذا حديث غريبُ الإسناد والمتن، فكلُّ ما رُوِيَ فيه فهو من الخلاف على محمَّدِ بن سُوقة، فأمّا ابنُ المنكدر عن جابر، فليس يرويه غير محمَّد بنِ سُوقة، وعنه أبو عقيل، وعنه خلّاد بن يحيى. اهـ.
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٠٤٣): وهو ممّا اختُلفَ فيه على ابن سُوقة؛ في إرساله ووصله، وفي رفعِه ووقفه، ثمَّ في الصَّحابيّ، أهو جابر أو عائشة أو عمر، وقال الدّارقطني: ليس فيها حديث ثابت، ورجَّح البخاريُّ في «تاريخه» [(١: ١٠٣)] من حديث ابن المنكَدِر الإرسال. وانظر تتمّة الكلام عليه ثمّةَ.
وأخرجه مرسلًا المروزي في «زوائد الزهد» عقب الحديث (١١٧٨).

(٢) كالحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (٣٩) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنّ الدِّين يسر، ولن يشادَّ الدِّين أحد إلّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشِروا، واستعينوا بالغَدوة والرَّوحة وشيءٍ من الدُّلجة».

(٣) **قال عبد الإله**: كان شيخنا مدركًا لأهمية التوازن في حياة طلابه، فكان يقتصر على ساعة واحدة كل ليلة للدرس العام، وكانت دروسه الأخرى مخصصة للطلاب الراغبين في مزيد من التحصيل العلمي، وكان يوقف درسه قبل الاختبارات النهائية بأسبوعين؛ ليعطي طلابه الوقت الكافي للاستعداد لها، وكان يتابع نتائجهم، ويفرح بتفوقهم، وقد لاحظ علاقة =

ولا يُشيرُ على الطّالبِ بتعلُّمِ ما لا يَحتمِلُهُ فَهمُه أو سِنُّهُ، ولا بكتابٍ يَقْصُرُ ذهنُه عن فهمِه.

فإن استشارَ الشَّيخَ مَنْ لا يَعرِفُ حالَهُ في الفهم والحفظِ في قراءةِ فنٍّ أو كتابٍ، لم يُشِر عليه بشيءٍ حتَّى يُجَرِّب ذهنَه، ويَعلَمَ حالَهُ، فإنْ لم يَحتمِلِ الحالُ التّأخيرَ، أشارَ عليه بكتابٍ سهلٍ مِن الفنِّ المطلوب، فإنْ رأى ذهنَهُ قابلًا، وفهمَهُ جيِّدًا، نقلَهُ إلى كتابٍ يَليقُ بذهنِه، وإلّا تركَه؛ وذلك لأنّ نقلَ الطّالبِ إلى ما يَدلُّ نقلُهُ إليه على جودةِ ذِهنِه، يَزيدُ انبساطَه، وإلى ما يَدلُّ على قصورِهِ يُقلِّلُ نشاطَه.

ولا يُمكِّنُ الطّالبَ مِن الاشتغالِ في فنّين أو أكثرَ إذا لم يَضبِطهُما، بل يُقدِّمُ الأهمَّ فالأهمّ، كما سنذكرُ إنْ شاءَ الله تعالى[1].

وإذا عَلِمَ أو غلبَ على ظنِّه أنه لا يُفلِحُ في فنٍّ، أشارَ عليه بتركِهِ والانتقالِ إلى غيره ممّا يُرجَى فيه فلاحُه.

= مطّردة بين تفوق طلابه في درسهم ومدارسهم، فقال: «المتفوقون في درسي متفوقون في مدارسهم»، وهي إشارة إلى أن طلب العلم يعين على التفوق المدرسي والجامعي، وكان شيخنا يشارك طلابه في رحلاتهم، ويخرج معهم في متنزهاتهم، ويسافر معهم في بعض أسفارهم، ويصحبهم في زيارة العلماء والصالحين، ويفتح بيته لاستقبالهم كل أسبوع، وكان يقيم بعض دروسه أثناء تنزههم، وكان يخص مسجد جواثا بالزيارة مع طلابه وإقامة بعض دروسه الصباحية فيه، وهذا المسجد أُقيمت فيه ثاني جمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله ﷺ، فيقصده شيخنا مع طلابه منذ الصباح الباكر، فيركعون فيه ركعات الضحى، ثم يشرع شيخنا في درسه، ثم يتناولون إفطارهم، ويتبادلون الحديث الجميل، وينشدون المدائح النبوية، فإذا ارتفع النهار عاد الطلاب برفقة شيخهم بطانًا من العلم والتزكية.

(١) ص٢٠٣.

العاشر: أنْ يَذكرَ للطَّلبةِ قواعدَ الفنِّ التي لا تَنخرِمُ:

إمّا مطلقًا، كتقديمِ المباشرةِ على السَّببِ في الضَّمان.

أو غالبًا، كاليمين على المدَّعَى عليه إذا لم تكن بيِّنةٌ، إلّا في القَسامة.

والمسائلَ المستثناةَ مِن القواعد، كقوله:

العملُ بالجديدِ مِن كلِّ قولين قديمٍ وجديد، إلّا في أربعَ عشْرةَ مسألة، ويذكُرُها[١].

وكلُّ يمينٍ على نفيِ فعلِ الغير، فهيَ على نفيِ العلمِ، إلّا مَن ادُّعيَ عليه أنّ عبدَهُ جَنى، فيَحلفُ على البتِّ على الأصحِّ[٢].

وكلُّ عبادةٍ يُخرَجُ مِنها بفعلِ مُنافِيها ومبطِلِها، إلّا الحجَّ والعُمْرة.

وكلُّ وضوءٍ يجبُ فيه التَّرتيبُ إلّا وضوءًا تخلَّلهُ غسلُ الجنابةِ، وأشباه ذلك.

ويُبيِّنُ مآخذَ ذلك كلِّه.

وكذلك كلَّ أصلٍ وما يُبنَى عليه مِن كلِّ فنٍّ يُحتاجُ إليه، مِن عِلمَي التَّفسيرِ والحديث، وأبوابِ أصُولَي[٣] الدِّين والفقه، والنّحوِ والتَّصريفِ واللُّغة، ونحوِ ذلك؛ إمّـا بقراءةِ كتـابٍ في الفَـنِّ، أو بتدريجٍ على الطُّول.

وهذا كلُّه إذا كانَ الشيخُ عارفًا بتلك الفنونِ، وإلّا فلا يَتعرَّضُ لها، بل يَقتصِرُ على ما يُتقِنُه منها.

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (١: ٦٦).

(٢) لأنّ عبدَه مالُه، وفعلَه كفعلِه. انظر «الأشباه والنظائر» للسبكي (١: ٤٣٩).

(٣) في (د) و(ش) و(ف) و(يه): «أصول».

ومن ذلك نوادرُ ما يَقعُ مِن المسائل الغريبة، والفتاوى العجيبة[١]، والمعاني العجيبة[٢]، ونوادرِ الفروق والمعاياة[٣].

ومِن ذلك ما لا يَسعُ الفاضِلَ جَهْلُهُ، كأسماء المشهورين مِن الصَّحابةِ والتّابعين، ومَن بعدَهم مِن أئمّة المسلمين، وكبارِ الزُّهّاد والصّالحين، كالخلفاءِ

---

(١) لفظ: «العجيبة» ليس في (ب).

(٢) لفظ: «العجيبة» ليس في (ف)، ورسمها في (ر) قريب من «الفجيئة»! والله أعلم.

(٣) **قال عبد الإله**: كان شيخنا يشحذ أذهان طلابه بالمسائل الغريبة والألغاز العجيبة، وكان يضع طلابه أمام تحديات عقلية، تتطلب منهم عصفًا ذِهنيًا وتفكيرًا عميقًا، فمن أمثلة الألغاز الفقهية أن رجلًا مسافرًا يجد الماء أحيانًا فيتوضأ، ويفقده أحيانًا أخرى فيتيمم، فوجب عليه إعادة الصلوات التي توضأ لها دون التي تيمم لها، وقد نظمه الإمام السيوطي رحمه الله (٨٤٩-٩١١هـ) فقال:

أليسَ عجيبًا أنّ شخصًا مسافرًا ... إلى غير عِصيانٍ تُباحُ له الرُّخَصْ
إذا ما توضَّا للصلاةِ أعادَها ... وليس مُعيدًا للتي بالترابِ خَصْ

وجواب اللغز أن الرجل أجنب، ثم نسِي جنابته، فوضوؤه لا يكفي في رفع حَدَثِه الأكبر، فيجب عليه إعادة صلوات الوضوء، أما تيممه فيكفيه في استباحة فرض الصلاة؛ لأنه يقوم مقام الغسل عند فقد الماء، فلا يجب عليه إعادة صلوات التيمم، وقد أجاب عنه الشيخ عبد الله بن أحمد الأنصاري رحمه الله ـ من علماء القرن الحادي عشر الهجري ـ فقال:

لَقَدْ كانَ هذا للجَنابةِ ناسيًا ... وصَلّى مِرارًا بالوضوءِ أتى بنصْ
وصلّى مِرارًا بالتيمم يا فتى ... عليك بكتْبِ العلمِ يا خيرَ مَن فحَصْ
قضاءُ التي فيها تَوضَّأ واجبٌ ... وليس مُعِيدًا للتي بالترابِ خَصْ
لأن مَقامَ الغُسلِ قام تيمُّمٌ ... خِلافَ وضوءٍ هاك فرقًا به تُخَصْ
وذا نَظْمُ عبدِ الله وهْو ابنُ أحمدٍ ... فيا ربِّ سلِّمْهُ من الهَمِّ والغُصَصْ

أما الألغاز الفرضية فقد كان شيخنا يختبر بها ذكاء طلابه وسرعة بديهتهم، مثل الدينارية الصغرى والدينارية الكبرى، والمسألة المأمونية، ومسألة الامتحان، وتفصيل كل مسألةٍ مبسوط في كتب الفرائض والمواريث، مثل كتاب «الفوائد الشنشورية شرح المنظومة الرحبية» للشنشوري، وعليها حاشية «التحفة الخيرية» للباجوري.

الأربعة، وبقيّة العشرة، والنُّقباءِ الاثني عشر، والبدريِّين، والمكثِرين، والعبادِلة، والفُقهاءِ السَّبعة، والأئمّةِ الأربعة، فيَضبط أسماءَهم، وكُناهم[(١)]، وأعمارَهُم، ووفاتهم[(٢)]، وما يُستفادُ مِن محاسنِ آدابِهم، ونوادرِ أحوالِهم، فيَحصلُ له مع الطُّول فوائدُ كثيرةُ النّفع، ونفائسُ عزيزةُ[(٣)] الجمع.

وليَحذَرْ كلَّ الحذرِ مِن منافسةِ بعضِهم لكثرة تحصيله، أو زيادةِ فضائلِه؛ لأنّ ثوابَ فضائلِهم عائدٌ إليه، وحُسْنَ تربيتهم[(٤)] مَحسُوبٌ عليه، وله من جهتِهم في الدُّنيا الدُّعاء والثَّناءُ والذِّكرُ الجميل، وفي الآخرةِ الثَّوابُ الجزيل.

الحادي عشر: ألّا يُظهِرَ للطَّلبة تفضيلَ بعضِهم على بعضٍ عندَه في مودّةٍ أو اعتناء، مع تساويهِم في الصِّفات؛ مِن سِنٍّ، أو فضيلةٍ، أو تحصيلٍ، أو ديانةٍ؛ فإنّ ذلك ربَّما يُوحِشُ الصَّدرَ، ويُنفِّرُ القلبَ، فإنْ كان بعضُهم أكثرَ تحصيلًا، وأشدَّ اجتهادًا[(٥)]، وأحسَنَ أدبًا، فأظهرَ إكرامَهُ وتفضيلَهُ، وبيَّنَ أنّ زيادةَ إكرامِه لتلك الأسبابِ، فلا بأسَ بذلك؛ لأنّه يُنشِّطُ، ويَبعثُ على الاتِّصافِ بتلك الصِّفات.

وكذلك لا يُقدِّمُ أحدًا في نوبةِ غيرِه، أو يؤخِّرُهُ عن نوبتِه، إلّا إذا رأى في ذلك مصلحةً تَزيدُ على مصلحة مراعاةِ النّوبة، فإنْ سمحَ[(٦)] بعضُهم لغيرِه في نوبتِه، فلا بأس، وسنذكرُ ذلك مفصَّلًا إن شاء اللهُ تعالى[(٧)].

---

(١) في (س): «وكبارهم».
(٢) في (ر) و(ش) و(ظ): «ووفياتهم».
(٣) في (س) و(ش): «غزيرة».
(٤) في (س): «ترتيبهم».
(٥) بعدها في (د) و(ر) و(س) و(ش) و(ف) و(يه): «وأبلغ اجتهادًا».
(٦) في (س): «آثر».
(٧) ص٢١٤.

وينبغي أنْ يَتودَّدَ لحاضرِهم، ويَذكرَ غائبَهم بخيرٍ وحُسْنِ ثناءٍ، وينبغي أنْ يَستعلِمَ أسماءَهم وأنسابَهم، ومواطنَهم وأحوالَهم، ويُكثرَ الدُّعاءَ لهم بالصَّلاح[1].

الثّاني عَشَر: أنْ يُراقِبَ أحوالَ الطَّلَبة في آدابِهم، وهَدْيِهم، وأخلاقِهم، باطنًا وظاهرًا، فمَن صدرَ مِنه مِن ذلك ما لا يَليقُ مِن ارتكابِ محرَّمٍ أو مكروهٍ، أو ما يؤدِّي إلى فسادِ حالٍ، أو تركِ اشتغالٍ، أو إساءةِ أدبٍ في حقِّ الشَّيخ أو غيره، أو كثرةِ كلامٍ[2] بغيرِ توجيهٍ ولا فائدة، أو حِرْصٍ على كثرةِ الكلام، أو مُعاشرةِ مَن لا تَليقُ[3] عِشرتُهُ، أو غيرِ ذلك ممّا سيأتي ذِكرُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى في آدابِ المتعلِّم[4]: عَرَّضَ الشيخُ بالنّهي عن ذلك بحضورِ مَنْ صدرَ منه غير مُعَرِّضٍ به، ولا معَيِّنٍ له، فإنْ لم يَنتهِ، نهاهُ عن ذلك سرًّا، ويكتفي بالإشارة مع مَن يَكتفي بها، فإنْ لم يَنتهِ نهاهُ عن ذلك جهرًا، ويُغلِظُ القولَ عليه إن اقتضاهُ الحال؛ ليَنزجرَ هو وغيرُه، ويَتأدَّبَ به كلُّ سامعٍ، فإنْ لم يَنتهِ، فلا بأسَ حينئذٍ بطردِه والإعراضِ عنه إلى أنْ يَرجِعَ، ولا سيَّما إذا خافَ على بعضِ رُفقائِه وأصحابِه مِن الطَّلبةِ موافقتَهُ[5].

---

(١) لفظ: «بصلاح» من (ب) و(د) و(ف)، وليس في بقية النسخ.

(٢) في (ب): «أكثر كلامًا».

(٣) في (ب) و(س) و(ف) و(يه): «يليق»، ولم ينقط حرف المضارعة في (د).

(٤) انظر ص١٦٥.

(٥) **قال عبد الإله**: لم يكن شيخنا مقتصرًا على تدريس طلابه مسائل العلم، بل كان مربيًا لهم على أحسن الأخلاق وأجمل العادات، يتغافل عن هفواتهم وزلاتهم، ويحلم عليهم عند خطئهم، وينصحهم بقدر، وإذا باشر أحدهم بالنصيحة وجهًا لوجه تلطف معه أشد التلطف والترفق، ومن الأمثلة على ذلك أن أحد طلابه سهر ليلة، ثم نام حتى خرج وقت صلاة =

وكذلك يتعاهَدُ ما يُعامِلُ به بعضُهم بعضًا، مِن إفشاءِ السَّلام، وحسنِ التَّخاطب في الكلام، والتَّحابب، والتَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى، وعلى ما هُم بصَددِه.

وبالجملة فكما يُعلِّمُهم مصالحَ دينهم لمعاملةِ الله تعالى، يُعلِّمُهم مصالحَ دُنياهم لمعاملةِ النَّاس؛ لتَكملَ لهم فضيلةُ الحالتين.

الثَّالث عَشَر: أنْ يَسعى في مصالحِ الطَّلبةِ، وجمعِ قلوبهم، ومساعدَتِهم بما تيسَّرَ عليه مِن جاهٍ ومال، عند قدرتِه على ذلك، وسلامةِ دينه، وعدمِ ضرورتِه؛ فإنَّ اللهَ تعالى في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ تعالى في حاجتِه[1]، ومَن يَسَّرَ على معسرٍ يَسَّر اللهُ عليه حسابَهُ يوم القيامة[2]، ولا سيَّما إذا كان ذلك إعانةً على طلبِ العلمِ الذي هو مِن[3] أفضلِ القُرُبات.

= الفجر، فأخبر والدُه شيخَنا؛ لصداقةٍ بينهما، فلما رأى تلميذه نظر إليه نظرة محبة ورحمة، وردد بيتين من منظومة الزُّبد ـ بدون أن يزيد عليهما ـ:

فشــهوةُ النفسِ مع الذنوبِ ... موجِبتــانِ قَسـوةَ القُلوبِ
وإنَّ أبعــدَ قلــوبِ النــاسِ ... مِن ربِّنا الرحيمِ قلبٌ قاسي

(١) قوله: «من كان في حاجة أخيه...» لم يرد في (س)، وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، (٢٤٤٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما.

(٢) قوله: «ومن يسَّر على معسر...» مع قوله السالف قريبًا: «فإنَّ الله تعالى في عونِ العبد...» قطعتان من حديثٍ أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، لكن لفظه فيه: «يسَّر الله عليه في الدُّنيا والآخرة» بدل: «يسَّرَ اللهُ عليه حسابَه».

(٣) لفظ: «من» ليس في (س) و(ش).

وإذا غاب بعضُ الطَّلبةِ أو ملازمي الحَلْقة زائدًا عن(١) العادة، سألَ عنه وعن أحوالِهِ، وعمَّن يَتعلَّقُ به، فإنْ لم يُخبَر عنه بشيءٍ أرسلَ إليه، أو قصدَ منزلَهُ بنفسِه، وهو أفضل؛ فإنْ كان مريضًا عادَهُ، وإنْ كان في غَمٍّ خفضَ عليه، وإنْ(٢) كان مسافِرًا تَفقَّدَ أهلَهُ ومَن يَتعلَّقُ به، وسألَ عنهم، وتَعرَّضَ لحوائجِهم، ووصلَهم بما أمكنَ، وإنْ كان فيما يحتاجُ إليه فيه أعانَه، وإنْ لم يكن شيءٌ مِن ذلك تَودَّد إليه، ودعا له.

واعلَمْ أنّ الطّالبَ الصّالحَ أعوَدُ على العالِم بخيرِ الدُّنيا والآخرةِ مِن أعزِّ النّاسِ عليه، وأقربِ أهله إليه، ولذلك(٣) كان علماءُ السَّلفِ النّاصحون لله ودينِه، يُلقونَ شبكَ الاجتهادِ لصيدِ طالبٍ يَنتفِعُ النّاسُ به في حياتِهم ومِن بعدِهم(٤)، ولو لم يكن للعالِمِ إلّا طالبٌ واحدٌ يَنتفِعُ النّاسُ بعلمِهِ وعملِهِ، وهَدْيِهِ وإرشادِهِ، لكفاهُ ذلك الطّالبُ عند اللهِ تعالى، فإنّه لا يَتَّصِل شيءٌ مِن علمِهِ(٥) إلى أحدٍ فيَنتفِعُ به إلّا كان له نصيبٌ مِن الأجر، كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيح عن النّبيِّ ﷺ:

---

(١) في (س) و(ظ) و(ف): «على».

(٢) في (س): «ومن»، وفي (ف): «فإن».

(٣) في (ب) و(س) و(ش) و(ف) و(يه): «وكذلك».

(٤) من طرائف ما يُذكَرُ مِن حرصِ العلماء على تعليم طلّابهم وإيصال النّفع لهم ما أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩: ١١٨)، والبيهقيُّ في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٤٦)، وفي «مناقب الشافعي» (٢: ١٤٧)، وابنُ عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (٧٥٣) عن الرَّبيع ابن سليمان قال: قال لي الشّافعيُّ: «لو أستطيعُ أن أطعمَك العلمَ لأطعَمتُكَه».
قال ابنُ عبد البرّ: أخذه الخاقاني فقال:

ألا فاحفَظوا وَصْفي لكمْ ما اختصرتُهُ ... ليَدريَـهُ مَن لـم يكنْ منكُـمُ يَدري
ففي شربةٍ لو كان عِلمي سَقيتُكم ... ولم أُخفِ عنكم ذلك العِلمَ بالذُّخرِ

(٥) في (س) و(يه): «عمله».

«إذا ماتَ العبدُ انقطعَ عملُهُ إلّا مِن ثلاثةٍ؛ صَدَقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنتفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدعو له»[١].

وأنا أقول: إذا نَظرتَ وجدْتَ معانيَ[٢] الثلاثةِ موجودةً في معلِّمِ العلم:

أمّا الصَّدقةُ فإقراؤهُ إيّاهُ العلمَ، وإفادتُه إيّاه، ألا تَرى إلى قولِه ﷺ في المصلِّي وحدَه: «مَن يَتصدَّقُ على هذا؟»[٣] أي: بالصَّلاة معه؛ ليَحصلَ له فضيلةُ الجماعةِ، ومعلِّمُ العِلمِ يُحصِّلُ للطّالبِ فضيلةَ العلمِ التي هيَ أفضلُ مِن صلاةٍ في جماعة، ويَنالُ بها شرَفَ الدُّنيا والآخرة.

وأمّا العلمُ المنتفَعُ به فظاهرٌ؛ لأنّه كان سببًا لإيصالِ ذلك العلمِ إلى كلِّ مَن انتفعَ به.

وأمّا الدُّعاءُ الصّالحُ له، فالمعتادُ المستقرَى على ألسنةِ أهل العلم والحديثِ قاطبةً مِن الدُّعاء لمشايخِهم وأئمّتهم، وبعضُ أهلِ العلمِ يَدعون لكلِّ مَن يُذكَرُ عنه شيءٌ مِن العلمِ، وربَّما يقرأ بعضُهم الحديثَ بسندِه، فيَدعو لجميعِ رجالِ السَّند، فسُبحانَ مَن اختصَّ مَن شاء مِن عبادِه بما شاءَ مِن جزيلِ عطائه.

الرّابعَ عَشَر: أنْ يَتواضعَ مع الطّالب وكلِّ مسترشِدٍ سائل، إذا قامَ بما يَجبُ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

(٢) في (يه): «ما في» بدل: «معاني»، والمثبت نسخة بهامشها.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٠١٩)، (١١٤٠٨)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الصلاة، باب الجمع في المسجد مرتين، (٥٧٤)، والترمذي في «سننه»، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الجماعة في مسجد قد صُلي فيه مرة، (٢٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضيَ الله عنه.

عليه مِن حقوقِ الله تعالى وحقوقِه، ويَخفِضَ له جناحَه، ويُلِينَ له جانبَهُ[١]، قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ أنْ تواضعوا»[٢]، و«ما تواضعَ أحدٌ لله إلّا رفعَهُ الله»[٣]، وهذا لمطلقِ النّاس، فكيف بمَن له حقُّ الصُّحبةِ، وحُرمةُ التَّردُّدِ، وصدقُ التَّودُّدِ، وشَرَفُ الطَّلَبِ، وفي الحديث: «لِينُوا لمَن تُعلِّمون، ولمن تَتعلَّمون منه»[٤]، وعن الفُضَيل: مَن تَواضعَ لله ورَّثهُ الحكمةَ[٥].

ويَنبغي أنْ يُخاطِبَ كُلًّا مِنهم - لا سيَّما الفاضلُ المُتَميِّزُ - بكُنيتِه ونحوِها مِن أحبِّ الأسماءِ إليه وما فيه تعظيمٌ له وتوقير، فعن عائشةَ رضيَ الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يَكني أصحابَهُ إكرامًا لهم»[٦].

وكذلك ينبغي أنْ يَترحَّبَ بالطَّلبة إذا لقيَهم، وعندَ إقبالِهم عليه، ويُكرمَهم

---

(١) وقد رأيت من فضيلة شيخنا المحقِّق محمد نعيم عرقسوسي أخلاقًا سمحةً وتواضعًا جمًّا، رأيته مرةً وقد خرجنا من مجلس قراءة «صحيح البخاري» - وكان المجلس منه يطول لساعات - واستوقفه طالب أعجميّ يطلبُ منه أن يقرأ عليه أحاديثَ فاته سماعُها، فوقف معه في شمس الظَّهيرة حتى أنهاها، وابتسامته على وجهه، وهو يرحِّب به ويدعو له، فالله يحفظُه ويديم نفعَه وعلماءَ المسلمين، آمين.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٢٨٦٥): (٦٤) من حديث عياض بن حِمار رضيَ الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦١٨٤)، وابن عدي في «الكامل» (٥: ٥٤٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٩٨) عن أبي هريرة رضيَ الله عنه، وفي إسناده عَبَّادُ بن كثير، وهو متروك.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٩٠٠).

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٩١٩) وفي إسناده من لم أجد له ترجمة.

إذا جلسوا إليه، ويؤنِسَهم بسؤالِهِ عن أحوالِهم وأحوالِ مَن يَتعلَّقُ بهم بعدَ ردِّ سلامِهم، ويعاملهم بطلاقةِ الوجهِ، وظهورِ البِشرِ، وحُسنِ المودّة، وإعلامِ المحبّةِ، وإضمارِ الشَّفَقة؛ لأنّ ذلك أشرحُ لصدرِه، وأطلَقُ لوجهه، وأبسَطُ[١] لسؤالِه، ويَزيدُ في ذلك لمَن يُرجى فلاحُه ويَظهرُ صلاحُه.

وبالجُملةِ فهم وصيّة رسولِ الله ﷺ فيما رواهُ أبو سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه، عنه ﷺ قال: «إنّ النّاسَ لكم تَبَعٌ، وإنّ رجالًا يأتونكم مِن أقطار الأرضِ يَتفقَّهون في الدِّين، فإذا أتَوكُم فاسْتَوصوا بِهم خيرًا»[٢].

وكان البُوَيطيُّ[٣] يُدني القُرّاء ويُقرِّبُهم إذا طَلبوا العلمَ، ....

---

(١) في (يه): «وأنشط»، والمثبت نسخة بهامشها.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه»، كتاب العلم، باب ما جاء في الاستيصاء بطالب العلم، (٢٦٥٠)، وابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب السنة، باب الوصاة بطلبة العلم، (٢٤٧)، قال التِّرمذيُّ: قال علي: قال يحيى بن سعيد: كان شعبةُ يُضعِّفُ أبا هارون العبدي، قال يحيى ابن سعيد: ما زال ابنُ عون يَروي عن أبي هارونَ العبدي حتّى مات. وأبو هارون اسمه: عُمارةُ بن جوين. انتهى.
قلت: عُمارة بن جُوَين متروك. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣: ١٨٢-١٨٤).
وأخرج الحاكم في «المستدرك»، كتاب العلم، (٢٩٨) نحوه من طريق سعيد بن إياس الجُريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضيَ الله عنه أنه قال: «مرحبًا بوصيّة رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يُوصينا بكم». قال محققو «سنن ابن ماجَهْ» (الشيخ شعيب ومن معه): وهذا إسناد ضعيف من أجل الجُريري، وقد اختلطَ قبل موته بثلاث سنين، وعبّاد بن عوّام رَوى عنه بعد الاختلاط، ورُويَ نحوُه مِن وجوه أخرى لا يصِحُّ منها شيء.

(٣) هو الإمام العلامة، سيِّد الفقهاء، أبو يعقوب، يوسف بن يحيى المصري، صاحب الإمام الشافعي، كان إمامًا في العلم، قدوةً في العمل، زاهدًا ربّانيًّا، متهجِّدًا، دائم الذِّكر والعكوف على الفقه، توفي في قيده مسجونًا في فتنة خلق القرآن سنة (٢٣١هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢: ٥٨-٦١).

ويُعرِّفُهم[١] فضلَ الشّافعيّ رضيَ الله عنه، وفضلَ كتبِه، ويقول: كان الشّافعيُّ يأمرُ بذلك، ويقول: اصبِرْ للغُرباء وغيرِهِم مِن التَّلاميذ[٢].

وقيل: كان أبو حَنيفةَ أكرمَ النّاس مجالسةً، وأشدَّهم إكرامًا لأصحابه[٣].

(١) في (س): «ويعرف».

(٢) «الانتقاء» لابن عبد البر ص١٦٨-١٦٩، وأخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٠٠، ١٤٧)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٠٣).

(٣) «الانتقاء» لابن عبد البر ص٢٦٠.

الباب الثالث
في آداب[1] المتعلم

وفيه ثلاثةُ فصول:

الفصل الأول
في آدابه في نفسه[2]

وهوَ عَشَرةُ أنواع:

الأوّل: أنْ يُطهِّرَ قلبَهُ مِن كلِّ غِشٍّ ودَنَسٍ، وغِلٍّ وحسَدٍ، وسوءِ عقيدةٍ وخُلُق؛ ليَصلُحَ بذلك لقَبولِ العِلْمِ، وحفظِه، والاطِّلاعِ على دقائق[3] معانيه، وحقائقِ غوامضِه؛ فإنّ العِلمَ - كما قال بعضُهم[4] - صلاةُ السِّرِّ، وعبادةُ القلبِ، وقربةُ الباطن، وكما لا تَصِحُّ الصَّلاةُ التي هي عبادةُ الجوارحِ الظّاهرةِ إلّا بطهارةِ الظّاهر مِن الحدَثِ والخَبَث، فكذلك لا يَصِحُّ[5] العلمُ الذي هو عبادةُ القلبِ

---

(١) في (د) و(س): «أدب».

(٢) في (س): «أدب نفسه»، وفي (ش): «آدابه نفسه».

(٣) في (ب) و(س): «دقيق».

(٤) هو الغزاليُّ في «إحياء علوم الدين» (١ : ٤٩).

(٥) في (ف) و(يه): «يصلح».

إلّا بطهارته عن خَبث[١] الصِّفات، وحَدَثِ[٢] مساوئ الأخلاق ورديئها.

وإذا طُيِّبَ القلبُ للعلم، ظهرَتْ بركَتُهُ ونَما، كالأرضِ إذا طُيِّبت للزَّرع، نما زرعُها وزكا، وفي الحديث: «إنّ في الجسدِ مُضغةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَت فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهيَ القلب»[٣].

وقال سهل: «حرامٌ على قلبٍ أنْ يَدخُلَهُ النُّور وفيه شيءٌ ممّا يَكرهُ الله عزَّ وجلَّ»[٤].

الثّاني: حُسنُ النِّيّة في طلبِ العِلم، بأن يَقصِدَ به وجهَ الله عزَّ وجلَّ، والعملَ به، وإحياءَ الشَّريعة، وتنويرَ قلبِهِ، وتَحليةَ[٥] باطنِهِ، والقربَ مِن الله تعالى يوم لقائه[٦]، والتَّعرُّضَ لما أعدَّ لأهلِه مِن رضوانِه وعظيم فضلِهِ، قال سفيانُ الثَّوريُّ: «ما عالجْتُ شيئًا أشدَّ عليَّ مِن نيَّتي»[٧].

ولا يَقصدُ به الأغراضَ الدُّنيويّةَ مِن تحصيلِ الرِّياسةِ والجاهِ والمال، ومباهاةِ الأقران، وتَعظيمِ النّاسِ له، وتَصديرِه في المجالس، ونحو ذلك، فيَستبدِلُ الأدنى بالذي هو خير.

---

(١) في (ر) و(س) و(ش) و(ظ): «خبيث».

(٢) وقع في هامش (يه) ما نصه: «نسخة: وخبث».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (٥٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (١٥٩٩) من حديث النُّعمان بن بشير رضيَ الله عنه.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي كما في «المنتخب من الزهد والرقائق» (٩).

(٥) في (ب): «وحلية»، وفي (ظ): «وتجلية»، وفي (يه): «وتخلية».

(٦) في (ر) و(س) و(ف): «القيامة» بدل: «لقائه».

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٦٩٢).

قال أبو يوسف رحمه الله(١): «أريدوا بعلمِكم اللهَ تعالى؛ فإنّي لم أجلِس مجلِسًا قطُّ أنوي فيه أنْ أتواضَعَ، إلّا لم أقُم حتّى أعلوَهُم، ولم أجلِس مجلِسًا قطُّ أنوي فيه أن أعلوَهم، إلّا لم أقُم قطُّ حتّى أفتضِحَ»(٢).

والعلمُ عبادةٌ مِن العبادات، وقُربةٌ مِن القُربات(٣)، فإن خَلَصَت فيه النِّيّةُ لله تعالى، قُبِلَ وزكا ونَمَت بركتُه، وإنْ قُصِدَ به غيرُ وجهِ الله تعالى، حبِطَ وضاع، وخسِرت صفقتُه، وربَّما تفوتُه تلك المقاصِدُ ولا يَنالُها، فيَخيبُ قصدُه، ويَضيعُ سعيُهُ.

الثّالث: أنْ يُبادِرَ شبابَهُ وأوقاتَ عمرِهِ إلى التَّحصيل، ولا يَغترَّ بخِدَعِ التَّسويفِ والتأميل؛ فإنّ كلَّ ساعةٍ تَمضي مِن عمرِه لا بدَلَ لها، ولا عِوَضَ عنها(٤)، ويَقطعَ ما يَقدِرُ عليه من العلائقِ الشّاغلةِ، والعوائقِ المانِعةِ عن تمام الطَّلب، وبذلِ الاجتهادِ، وقوّةِ الجِدِّ في التَّحصيل؛ فإنّها كقواطع الطَّريق.

ولذلك استَحَبَّ السَّلفُ التَّغرُّبَ عن الأهلِ، والبُعدَ عن الوطن؛ لأنّ الفكرةَ إذا

---

(١) هو الإمام المجتهد، العلّامةُ المحدِّث، قاضي القضاة، يعقوب بن إبراهيم، الأنصاريُّ الكوفيُّ، صاحبُ أبي حنيفة، بلغ من رياسة العلم ما لا مزيدَ عليه، توفّي سنة (١٨٢هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨: ٥٣٥-٥٣٩).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٧٠). ومن قوله: «قال أبو يوسف» إلى هنا ليس في (د).

(٣) في (د) و(ر) و(ش): «القرب».

(٤) وقد توسّع في هذا المطلب الشيخُ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في كتابه الماتع «قيمة الزمن عند العلماء»، وينبغي لطالب العلم أن يكثر النظرَ فيه وفي أشباهه من الكتب؛ ليشحذَ همَّته، ويُحسِن اغتنام ساعاته وأيامه.

توزَّعَت، قَصَرَت عن دَرْكِ الحقائق، وغموضِ الدَّقائق، و﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، ولذلك[١] يُقال: «العلمُ لا يُعطيكَ بعضَهُ حتّى تُعطيَهُ كلَّك»[٢].

ونقل الخطيبُ البغداديُّ في «الجامع» عن بعضهم قال: «لا يَنالُ هذا العلمَ إلّا مَن عطَّلَ دُكّانَهُ، وخرَّب بستانَهُ، وهجرَ إخوانَهُ، ومات أقربُ أهلِهِ فلم يَشهَدْ جنازَتَهُ»[٣].

وهذا كلُّه وإن كانت فيه مبالغةٌ، فالمقصودُ به أنّه لا بدَّ فيه مِن جمعِ القلبِ، واجتماعِ الفكرِ.

وقيل: أمرَ بعضُ المشايخِ طالبًا له بنحوِ ما رواه[٤] الخطيبُ، فكان آخرُ ما أمرهُ به أن قال: اصبغ ثوبك؛ كي لا يَشغلَكَ فكرُ غَسلِه.

وممّا يُقالُ عن الشّافعيِّ أنّه قال: «لو كُلِّفتُ شِرَى[٥] بصلةٍ، لما فهمتُ مسألةً».

الرّابع: أنْ يَقْنَعَ مِن القوتِ بما تيسَّرَ، وإن كان يسيرًا، ومِن اللِّباسِ بما

---

(١) في (ب) و(ر) و(س): «وكذلك».

(٢) هذا القول رُويَ عن غير واحد من العلماء، فأخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٥٢٣) من قول أبي يوسف، وأخرجه الخطيب أيضًا في «الفقيه والمتفقه» (٨٦٤) من قول شيخ المعتزلة إبراهيم بن سيار النظّام.

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٥٢٤) من قول الفقيه نصر بن أحمد العياضي السّمرقندي.

(٤) في (س) و(ش) و(يه): «رآه».

(٥) في (س): «أشتري»، وفي (ف): «بشراء»، وفي (يه): «شراء».

يَسترُ(١) مِثلُهُ، وإنْ كان خَلَقًا، فبالصَّبرِ على ضيقِ العيشِ يَنالُ سَعةَ العِلمِ، ويجمعِ شملِ القلبِ عن مفترقاتِ الآمال، يَتفجَّرُ منه(٢) ينابيعُ الحكم.

قال الشّافعيُّ: «لا يَطلبُ أحدٌ هذا العلمَ بالمُلكِ وعِزِّ النّفسِ فيُفلِح، ولكن مَن طلبَهُ بِذُلِّ(٣) النّفسِ، وضيقِ العيش، وخدمةِ العُلماءِ؛ أفلَحَ»(٤).

وقال: لا يَصلُحُ طلبُ العلمِ إلّا لمُفْلِسٍ، قيل: ولا الغنيّ المكفيّ؟ قال: ولا الغَنيّ المَكْفِيّ(٥).

وقال مالكٌ: «لا يَبلغُ أحدٌ مِن هذا العلمِ ما يُريدُ حتّى يُضِرَّ به الفقرُ، ويؤثِرَهُ على كلِّ شيءٍ»(٦).

---

(١) في (ب): «تيسر»، وفي (د) و(ش) و(يه): «ستر».

(٢) في (ب) و(ر): «تتفجر فيه»، وفي (د): «ينفجر فيه»، وفي (ش): «يتفجر (نقطت بنقطتان تحت ونقطتان فوق) منه»، وفي (ظ): «تنفجر فيه»، وفي (ف): «فتفجر فيه». والمثبت من (س).

(٣) في (د) و(س): «ببذل».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩: ١١٩-١٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٠٣)، والبغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٢٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٦٠٢) من طريق حرملة، عن الشّافعيّ رحمه الله، وأخرجه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢: ١٤١) وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٥١٣) من طريق الربيع بن سليمان، عن الشّافعيّ.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩: ١١٩)، والبيهقي في «مناقب الشّافعيّ» (٢: ١٤١)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٣٤) من قول الشّافعيّ.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» ص١٠٠ عن الربيع، عن الشافعيّ، عن رجلٍ ذكرَه.
وأخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٢) من طريقٍ آخر عن الربيع، عن الشافعي، فذكره، وقال في آخره: وأحسبهُ حكاه عن غيره.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ٣٣١)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٣٢).

وقال أبو حنيفة: «يُستعانُ على الفقهِ بجمع الهَمِّ، ويُستعانُ على حذفِ العلائقِ بأخذِ اليسيرِ عند الحاجة، ولا تَزِد»[١].

فهذه أقوالُ هذه الأئمّة الذين لهم فيه القِدْحُ المعلّى غيرَ مدافَعٍ، وكانت هذه أحوالَـهم رضيَ الله عنهم.

قال الخطيبُ: «ويُستَحَبُّ للطالبِ أن يكون عَزَبًا ما أمكنَهُ؛ لئلّا يَقطعَهُ الاشتغالُ بحقوقِ[٢] الزوجيّة وطلبِ المعيشةِ عن إكمالِ الطَّلَب»[٣].

وقال سفيانُ الثَّوريُّ: «مَن تزوَّجَ فقد ركبَ البحرَ، فإنْ وُلِدَ له فقد كُسِرَ به»[٤].

---

(١) في (س) و(ش) و(ف) و(يه): «ولا يزد»، ولم تنقط في (ب)، والمثبت موافق للمصادر، والخبر أخرجه الصَّيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص٢٢، وعنه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٢٧)، وفيهما: «الشيء» بدل: «اليسير».
والظاهر أنّ المصنف رحمه الله نقل الأثر عن الخطيب، وفي «أخبار أبي حنيفة» زيادة فيها مزيد بيان، ونصُّه ثمّة: أن رجلًا سأل أبا حنيفة: بم يُستعانُ على الفِقه حتّى يُحفظ؟ قال: بجمع الهمِّ، قال: قلت: وبم يُستعانُ على جمعِ الهمِّ؟ قال: بحذف العلائق، قال: قلت: وبم يُستعانُ على حذف العلائق؟ قال: تأخذُ الشَّيء عند الحاجة، ولا تزد.

(٢) في (ش): «بحق».

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (١: ١٠١)، وانظر مقدمة «العلماء العزاب» للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، فقد بيَّن ثمّة أنّ العزوبةَ مسلك شخصيّ لطائفةٍ من العلماء، فضَّلوا فيه العلم على الزواج ولذاته، فانظرها ففيها فوائد جمة.

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٦٦)، وعلق عليه محققه الدكتور محمود الطحان عافاه الله فقال: هذا القولُ لسفيان رحمه الله لعلّه قصدَ به المِزاح والمداعبة، فنقلَهُ عنه بعض أصحابه، وصار فيما بعد قولًا يُستشهَدُ به على التَّنفير مِن الزَّواج وولادة الأولاد، وسنّةُ نبيّنا ﷺ واضحة في ذلك لا لبس فيها أبدًا... إلى آخر ما قاله.

وبالجملةِ فتركُ التَّزويج لغيرِ المحتاجِ إليه، أو غير القادرِ عليه: أولى، لا سيَّما للطَّالب الذي رأسُ مالِه جمعُ الخاطرِ، وإجمامُ[١] القلبِ، واستعمالُ الفِكرِ.

الخامس: أن يُقَسِّمَ أوقاتَ ليلِه ونهارِه، ويَغتنِمَ ما بقيَ من عُمُرِه؛ فإنَّ بقيَّة العمرِ لا قيمةَ له[٢].

وأجودُ الأوقاتِ للحِفْظِ الأسحارُ، وللبحثِ الأبكارُ، وللكتابةِ وسطُ النَّهار، وللمطالعةِ والمُذاكرةِ اللَّيل.

وقال الخطيب: «أجودُ أوقاتِ الحفظِ الأسحار، ثمَّ وسطُ النَّهار، ثمَّ الغداةُ». قال: «وحفظُ اللَّيلِ أنفعُ من حفظِ النَّهار، ووقتُ الجوعِ أنفعُ مِن وقتِ الشِّبَع».

قال: «وأجودُ أماكنِ الحفظِ الغُرَف، وكلُّ موضِعٍ بعيدٍ عن المُلهيات».

قال: «وليس بمحمودٍ الحِفظُ بحضرةِ النَّباتِ والخُضرةِ والأنهار، وقوارعِ الطُّرق[٣]، وضجيجِ الأصوات؛ لأنَّها تَمنعُ من خلوِّ[٤] القلبِ غالبًا»[٥].

السَّادس: مِن أعظم الأسباب المُعينةِ على الاشتغالِ والفهمِ وعدمِ المَلالِ

---

(١) في (ب): «وإحكام»، وفي (س): «وإجماع»، وفي (ف): «واجتماعه». والإجمام: الاستراحة، يقال: جمَّ الإنسانُ والفرس: استراحَ فعادَت إليه قوَّتُه. انظر «المعجم الوجيز»: (جمم).

(٢) قوله: «فإن بقية العمر لا قيمة له» منسوب لسيدنا علي رضيَ الله عنه، وسلف ذكره مع فوائد أخرى ص١١٥ فانظره لزامًا.

(٣) في (ب): «الطريق».

(٤) في (س): «خلوة».

(٥) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢: ٢٠٧-٢٠٨).

أكلُ القدرِ اليسيرِ مِن الحلال، قال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «ما شبِعتُ منذ ستَّ عشرةَ سنة»(١)، وسببُ ذلك أنّ كثرةَ الأكلِ جالبةٌ لكثرةِ الشُّربِ، وكثرتُهُ جالبةٌ للنّوم والبلادة، وقصورِ الذّهنِ، وفتورِ الحَواسّ، وكسلِ الجسم، هذا مع ما فيه من الكراهيةِ الشّرعيّة، والتّعرُّضِ لخطَرِ الأسقامِ البدنيّة، كما قيل:

فـإنّ الـدّاءَ أكثـرَ مـا تَـراهُ ... يكونُ مِن الطّعامِ أو الشّرابِ(٢)

ولم يُرَ أحدٌ مِن الألبّاء(٣) والأئمّة العلماء يَصِفُ شاكرًا(٤) أو يوصفُ(٥) بكثرةِ الأكلِ، ولا حُمِدَ به، وإنّما تُحمَدُ كثرةُ الأكلِ من الدوابِّ التي لا تَعقِلُ، بل هي مُرصَدةٌ للعمل.

والذِّهنُ الصَّحيحُ أشرفُ مِن تبديدِه وتَعطيلِه بالقَدرِ الحقيرِ(٦) مِن طعامٍ يَؤولُ أمرُه إلى ما قد عُلِم(٧)، ولو لـم يَكن مِن آفاتِ كثرة الطّعام والشّراب إلّا الحاجةُ إلى كثرةِ دخولِ الخلاء، لكان يَنبغي للعاقلِ اللّبيبِ أنْ يصونَ نفسَهُ عنه، ومن رامَ الفلاحَ في العلمِ، وتحصيلَ البُغيةِ مِنه، مع كثرةِ الأكلِ والشُّربِ والنّومِ، فقد رامَ مستحيلًا في العادةِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» ص ٧٨ عن الربيع عن الشافعي، ومن طريق ابن أبي حاتم أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩: ١٢٧).

(٢) البيت لابن الرومي، وهو في «ديوانه» (١: ٢٣١).

(٣) في (ب) و(ر) و(ش) و(يه): «الأولياء».

(٤) الشاكر: من ظهرَت عليه النّعمةُ، يُقال: امرأة شكور، وناقة شكور. انظر «المعجم الوسيط»: (شكر).

(٥) في (س): «يحمده» مكان: «يوصف».

(٦) في هامش (يه): «اليسير».

(٧) في (يه): «علمته»، والمثبت نسخة بهامشها.

والأَولى أنْ يكونَ(١) ما يأخذُ مِن الطَّعامِ ما وردَ في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما ملأ ابنُ آدمَ وِعاءً شرًّا مِن بطنٍ، بحسْبِ ابن آدمَ لُقيماتٌ يُقِمنَ صُلْبَهُ، فإنْ كان لا محالةَ، فثُلثٌ لطعامِهِ، وثُلُثٌ لشَرابِهِ، وثُلُثٌ لنَفَسِه». رواه التِّرمذيُّ(٢).

فإنْ زاد على ذلك، فالزِّيادةُ إسرافٌ خارِجٌ عن السُّنَّة، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]، قال بعضُ العلماءِ: جمعَ اللهُ بهذه الكلماتِ الطِّبَّ كلَّه.

السّابع: أنْ يأخذَ نفسَه بالوَرَعِ في جميع شأنِهِ، ويَتحرَّى الحلالَ في طعامِهِ وشرابِهِ ولباسِهِ ومسكَنِهِ، وفي جميع ما يَحتاجُ إليه هو وعيالُه؛ ليَستنيرَ قلبُه، ويَصلحَ لقَبولِ العلمِ ونورِهِ والنَّفعِ به، ولا يَقنعَ لنفسِهِ بظاهرِ الحِلِّ شرعًا، مهما أمكنه التَّورُّعُ، ولم تُلجئه حاجةٌ، أو يجعلَ حظَّه الجواز، بل يَطلب الرُّتبةَ العالية.

ويقتدي بمن سلفَ مِن العلماء الصّالحين في التَّورُّعِ عن كثيرٍ ممّا كانوا يُفتون بجوازِه، وأحقُّ مَن اقتُديَ(٣) به في ذلك سيِّدنا رسولُ الله ﷺ حيث لم يأكلِ التَّمرةَ التي وجدَها في الطَّريقِ؛ خشيةَ أن تكون من الصَّدقةِ(٤)،

---

(١) بعدها في (د) و(ر) و(ف): «أكثر».

(٢) في «سننه»، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، (٢٣٨٠) من حديث المقدام ابن معدي كرب رضيَ الله عنه، وأخرجه أيضًا النّسائيُّ في «الكبرى»، كتاب الوليمة، باب ذكر القَدْر الذي يُستحبُّ للإنسان مِن الأكل، (٦٧٣٧)، (٦٧٣٨)، (٦٧٣٩)، وابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع، (٣٣٤٩).

(٣) في (س): «يقتدى».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب البيوع، باب ما يتنزه من الشبهات، (٢٠٥٥)، =

مع بُعْدِ كونها منها، ولأنّ أهلَ العلمِ يُقتدى بهم ويؤخذُ عنهم، فإذا لم يَستعمِلوا الورعَ، فمَن يَستعمِلُه؟!

ويَنبغي له أنْ يَستعمِلَ الرُّخصَ في مواضعِها عند الحاجة إليها ووجودِ سببِها؛ ليُقتدى به فيها، فـ«إنّ اللهَ تعالى يحبُّ أنْ تُؤتَى رُخَصُه كما يُحِبُّ أنْ تُؤتَى عزائمُه»[1].

الثّامن: أنْ يُقلِّلَ استعمالَ المطاعم التي هي مِن أسبابِ البلادةِ وضَعْفِ الحواسِّ، كالتُّفاحِ الحامِض، والباقِلّاء، وشربِ الخَلِّ، وكذلك ما يُكثِرُ استعمالُه البلغـمَ المبلِّـدَ للذِّهن، المثقِّلَ للبدن، ككثرةِ الألبانِ والسَّمك وأشباهِ ذلك.

ويَنبغي أنْ يَستعمِل ما جعلَهُ الله تعالى سببًا لجودةِ الذِّهن، كمضغِ اللُّبان والمُصطُكَى[2] على حسب العادة[3]، وأكلِ الزَّبيبِ بُكرةً، والجُلّاب[4]، ونحوِ ذلك ممّا ليس هذا موضعَ شرحه.

ويَنبغي أنْ يَجتنبَ ما يُورِثُ النِّسيان بالخاصِّيّة، كأكلِ أثرِ سؤرِ الفأر، وقراءةِ ألواح القبور، والدُّخول بين جَمَلَينِ مَقْطورَين، وإلقاءِ القَمل، ونحو ذلك مِن المجرَّبات فيه[5].

= ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، (١٠٧١) من حديث أنس بن مالك رضيَ الله عنه.

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، (٣٥٤) من حديث ابن عباس رضيَ الله عنهما.

(٢) اللُّبان: نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغًا، ويسمى: الكندر. انظر «المعجم الوسيط»: (لبن)، والمُصطُكى: علك رومي. انظر «لسان العرب»: (صطك).

(٣) في (ب) و(د) و(ف) ونسخة كما في هامش (يه): «مزاجه».

(٤) هو ماء الورد. انظر «لسان العرب»: (جلب).

(٥) أخرج ابن عدي في «الكامل» (٢: ٤٨٣) في ترجمة الحكم بن عبد الله الأيلي - وهو متَّهم =

التّاسع: أنْ يُقلِّلَ نومَهُ ما لم يَلحقهُ ضَرَرٌ في بدنِهِ وذِهنِه، ولا يَزيد في نومِه في اليومِ واللَّيلة على ثمانِ ساعات، وهو ثلثُ الزَّمان، فإن احتملَ حالُهُ أقلَّ مِنْها فَعَل.

ولا بأسَ أن يُريحَ نفسَه وقلبَه وذهنَه وبصرَه - إذا كَلَّ شيءٌ مِن ذلك أو ضَعُفَ - بتنزُّهٍ، وتَفرُّجٍ في المستنزهات[1]، بحيث يعودُ إلى حالِهِ، ولا يَضيعُ عليه زمانُه.

ولا بأسَ بمعاناةِ المشي، ورياضةِ البدنِ به، فقد قيل: إنّه يُنعِشُ الحرارةَ، ويُذيبُ فضولَ الأخلاطِ، ويُنشِّطُ البدنَ.

ولا بأس أيضًا بالوطءِ الحلال إذا احتاجَ إليه، فقد قال الأطبّاءُ بأنّه يُجفِّفُ الفضولَ، ويُنشِّطُ، ويُصفّي الذِّهنَ، إذا كان عند الحاجةِ باعتدالٍ.

= بالكذب - من حديث عائشة رضيَ الله عنها أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «ستّ مِن النسيان؛ سُؤرُ الفأر، وإلقاءُ القملة وهي حيّة، والبولُ في الماء الرّاكدِ، وقطعُ القِطار، ومضغُ العلكِ، وأكلُ التُّفاح»، وذكر أنه موضوع.

وذكر نحوه الجاحظ في كتاب «الحيوان» (٥: ٢٦٩).

وأورد الزمخشريُّ في «ربيع الأبرار» (٣: ٤٠٥) عن عليٍّ رضيَ الله عنه أنّه قال: «عشر يُورثنَ النسيان: كثرةُ الهمِّ، والحجامةُ في النُّقْرة، والبولُ في الماء الرّاكد، وأكلُ التُّفاح الحامِض، وأكلُ الكُزْبُرة، وأكلُ سؤر الفأر، وقراءةُ ألواح القبور، والنّظر إلى المصلوب، والمشيُ بين الجملَين المقطورين، وإلقاءُ القملة حية».

وقال السَّخاويُّ في «المقاصد الحسنة» (١٢٤٢): ولا يصحُّ في المرفوع مِن ذلك شيء.

وانظر «الحث على حفظ العلم» لابن الجوزي ص٣٩.

والمذكور هنا من العلاج أو المجرَّبات لم يَثْبُت فيه شيء، وهو من ثقافةِ تلك العصور، فيُرجع في ذلك إلى كلام الأطبّاء، وما أثبتَه العلمُ في ذلك، والله الموفّق.

(١) في (ف) و(يه): «المتنزهات».

ويحذر كثرتَه حذرَ العدوّ؛ فإنّه كما قيل:

ماءُ الحياةِ يُراقُ في الأرحامِ(١)

يُضعِفُ السَّمعَ والبصرَ والعَصَبَ والحرارةَ والهضمَ، وغير ذلك مِن الأمراض الرَّديئة.

والمحقِّقون مِن الأطبّاء يَرون أنّ تركَه أولى، إلّا لضرورةٍ أو استشفاءٍ(٢).

وبالجملة فلا بأسَ أن يُريحَ نفسَهُ إذا خاف مَلَلًا، وكان بعضُ أكابرِ العلماء يَجمعُ أصحابَهُ في بعض أماكنِ التَّنزُّهِ في بعض أيّام السَّنة، ويَتمازحون بما لا ضررَ عليهم في دينٍ ولا عِرض.

العاشر: أنْ يَترُكَ العِشرة؛ فإنّ تركَها مِن أهمِّ ما يَنبغي لطالب العِلْم، ولا سيَّما لغير الجنس، وخصوصًا لِمَن كثُر لَعِبُهُ، وقلَّت فكرتُه؛ فإنّ الطِّباعَ سرّاقةٌ.

وآفةُ العِشرةِ ضياعُ العمرِ بغيرِ فائدةٍ، وذهابُ المالِ والعِرضِ إن كانت لغير أهل، وذهابُ الدِّين إن كانت لغيرِ أهله.

---

(١) عجُز بيتٍ نسبه ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢: ١٦١)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣: ٨٦) لابن سينا، وصدره فيهما:

واحفَظْ مَنيَّك ما استطعتَ فإنّهُ

ونسبه ابنُ أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» ص٣٩٠، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٢: ٢٠٥) ضمن قصيدة لأبي المؤيَّد محمد بن المجلّي المعروف بالعنتري، وصدرُه فيهما:

أقلِل نكاحَكَ ما استطعتَ فإنّهُ

قال ابنُ أبي أصيبعة: أقول: وهذه القصيدةُ تُنسَب أيضًا إلى الشَّيخ الرَّئيس ابن سينا، وتُنسَب إلى المختار بن الحسن بن بطلان، والصَّحيحُ أنّها لمحمد بن المجلي.

(٢) في (ف) ونسخة كما في (يه): «استسقاء».

والذي يَنبغي لطالب العِلْمِ ألّا يخالط إلّا مَن يُفيدُهُ، أو يَستفيدُ مِنه، كما رُوي عن النّبيِّ ﷺ: «اغدُ عالمًا أو متعلّمًا، ولا تكنِ الثّالثَ فتَهلِك»(١).

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣: ٢٨) عن الحسن قوله.

ورُوي نحوه عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه، فأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الأدب، باب ما جاء في طلب العلم وتعليمه، (٢٦٦٤٤)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٩) من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ولا يَصحُّ سماعُه منه. انظر «تقريب التهذيب» لابن حجر ص٦٥٦، ولفظه: «اغدُ عالمًا، أو متعلّمًا، ولا تغدُ بين ذلك».

وأخرجه الدّارميُّ في مقدمة «سننه»، باب في فضل العلم والعالم، (٣٤٩)، من طريق الضَّحّاك، عن ابن مسعود رضيَ الله عنه، والضَّحّاك لم يَسمع ابنَ مسعود. انظر «تهذيب الكمال» للمزي (١٣: ٢٩٢)، ولفظه: «اغدُ عالِمًا، أو متعلّمًا، ولا خيرَ فيما سواهما».

وأخرجه الدّارميُّ أيضًا (٣٥١)، وابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٦) من طريق هارون بن رِئاب عنه، وهارون لم يدركه. انظر «تهذيب الكمال» للمزي (٣٠: ٨٢)، ولفظه: «اغدُ عالمًا، أو متعلّمًا، ولا تغدُ فيما بين ذلك».

وأخرجه أيضًا الطبراني في «الكبير» (٨٧٥٢) من طريق عبد الملك بن عمير عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ١٢٢): رواه الطبراني في الكبير، ورجالُه رجالُ الصَّحيح، إلّا أنّ عبدَ الملك بن عمير لم يُدرك ابنَ مسعود.

ورُوي نحوه عن صفوان بن عسّال موقوفًا عليه، أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (١٩). قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (١: ١٢٢): وفيه حفصُ بن سليمان، وثَّقه أحمد، وضعَّفه جماعة كثيرون.

ورُويَ نحوه مرفوعًا من حديث أبي بكرة، أخرجه البزّارُ في «مسنده» (٣٦٢٦)، والطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٥١٧١)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٥٨١) بلفظ: «اغدُ عالمًا، أو متعلّمًا، أو مستمِعًا، أو محبًّا، ولا تكن الخامسةَ فتهلِك». قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (١: ١٢٢): ورجالُه موثَّقون. اهـ.

وفي إسناده عطاء بن مسلم الخفّاف، ضعَّفه أبو داود، وقال أبو زرعة: كان يهِمُ، وقال أبو حاتم: كان شيخًا صالحًا يُشبهُ يوسف بن أسباط، وكان دفنَ كتبَه، فلا يَثبتُ حديثه، =

فإنْ شرعَ أو تَعرَّضَ لصُحبةِ مَن يَضيعُ عمرُه معه، ولا يُفيدُه، ولا يَستفيدُ مِنه، ولا يُعينُهُ على ما هو بصَددِه، فليتلطَّف في قطعِ عِشْرَتِه في أوَّل الأمرِ، قبل تمكُّنها؛ فإنّ الأمورَ إذا تمكَّنَت عَسُرَت إزالتُها، ومِن الجاري على ألسنةِ الفقهاء: «الدَّفعُ أسهلُ مِن الرَّفع»[١].

فإنِ احتاجَ إلى مَن يَصحبُه، فليَكن صاحبًا صالحًا، ديِّنًا، تقيًّا، ورِعًا، زكيًّا، كثيرَ الخيرِ، قليلَ الشَّرِّ، حسنَ المداراةِ، قليلَ المُماراةِ، إنْ نسيَ ذكَّرهُ، وإن ذَكَرَ أعانَهُ، وإنِ احتاجَ واساهُ، وإن ضَجِرَ صَبَّره، ومما يُروى عن عليٍّ رضيَ الله عنه:

فلا[٢] تَصحَبْ أخا الجهلِ ... وإيّـــاكَ وإيّــاهُ
فكمْ مِـن جاهـلٍ أرْدَى ... حَليمًـا حيـنَ واخـاهُ
يُقـاسُ المـرءُ بالمـرءِ ... إذا مـا هُـو ماشـاهُ[٣]

ولبعضِهم:

إنّ أخاكَ الصِّدقَ مَنْ كان معَكْ ... ومَـنْ يَضُـرُّ نفسَـهُ لِيَنفعَـكْ

= ووثَّقه وكيع وغيره. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣: ٨٣-٨٤).

(١) انظر «الأشباه والنظائر» للسُّبكي (١: ١٢٧). ووقع في هامش (يه) ما نصه: «لأنّ الدَّفعَ قبل الوقوع، والرَّفعَ بعد الوقوع، وإزالةُ الشرّ قبل وقوعِه أيسرُ منها بعدها».

(٢) في (س) و(ش) و(ظ): «لا».

(٣) لم يرد هذا البيت في (س).

والأبيات مخرَّجة عن عليٍّ رضيَ الله عنه في «الإبانة» لابن بطة (٤٦١)، و«العزلة» للخطابي ص ١٤٥، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٧٨)، ونُسبت أيضًا لأبي العتاهية، وهي في «أبو العتاهية أشعاره وأخباره» ص ٦٦٥-٦٦٦.

وَمَــن إذا رَيْبُ زمــانٍ صَدَعَكْ   شَتَّتَ شَــمْلَ نفسِهِ ليَجْمَعَكْ(١)

(١) من قوله: «وإن احتاج واساه» إلى هنا ليس في (ب) و(د) و(ف).

وهذا الرَّجزُ نُسِبَ للخليفة المأمون، كما في «الصَّداقة والصَّديق» للتَّوحيدي ص٥٠، و«زهر الآداب» للحصري (٢: ٥٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ٣٢٦)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٥: ١٩٥)، ونسبهُ أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢: ٣٧٠) للحسن بن عليٍّ رضيَ الله عنهما، ونسبه الغزاليُّ في «الإحياء» (٢: ١٦٩) لعليِّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه.

الفصل الثاني
في آدابه مع شيخه وقدوته
وما يجب عليه من عظيم حرمته

وهو ثلاثةَ عشرَ نوعًا:

الأوّل: أنّه يَنبغي للطّالب أنْ يُقَدِّمَ النّظرَ، ويَستخيرَ اللهَ في مَن يأخذُ العلمَ عنه، ويَكتسِبُ حسنَ الأخلاقِ والآدابِ[١] مِنه، وليَكن إن أمكنَ ممَّن كَمَلَتْ أهليَّتُه، وتَحقَّقَت شفقتُه، وظهرَت مروءَتُه، وعُرِفَت عفَّتُه، واشتَهَرَت صيانتُه، وكان أحسنَ تعليمًا، وأجودَ تفهيمًا، ولا يَرغبُ الطّالبُ في زيادةِ العلمِ مع نقصٍ في ورعٍ أو دين، أو عدمِ خُلُقٍ جميل، فعن بعض السَّلف: «هذا العلمُ دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينَكم»[٢].

وليَحذَرْ مِن التَّقيُّد بالمشهورين، وتركِ الأخذِ عن الخاملين، فقد عدَّ الغزاليُّ[٣] وغيرُه ذلك مِن الكِبْر على العلمِ، وجَعَلَهُ عينَ الحماقة؛ لأنّ الحكمةَ ضالّةُ المؤمِن[٤]، يَلتقِطُها حيث وَجَدَها، ويَغتَنِمُها حيث ظَفِر بها، ويَتقلَّدُ المِنّة

(١) في (ب) و(د): «والأدب»، وليست في (ف).
(٢) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه»، باب بيان أن الإسناد من الدين، (١: ١٤) من قول محمد بن سيرين. ورُوي عن غيره.
(٣) في «إحياء علوم الدين» (١: ٥٠).
(٤) سلف ص١١٨.

لمن ساقَها إليه؛ فإنّه يَهرُبُ مِن مخافةِ الجهلِ كما يَهرُبُ مِن الأسد، والهارِبُ مِن الأسدِ لا يَأنفُ مِنْ دلالة مَنْ يَدلُّهُ على الخلاصِ، كائنًا من كان.

فإذا كان الخامِلُ ممَّن تُرجى بركتُه، كان النّفعُ به أعمَّ، والتَّحصيلُ مِن جهتِهِ أتمَّ، وإذا سَبَرتَ أحوالَ السَّلفِ والخَلَفِ، لم تَجد النّفعَ يَحصُل غالبًا، والفلاحَ يُدرِكُ طالِبًا، إلّا إذا كان للشَّيخِ مِن التَّقوى نصيبٌ وافرٌ، وعلى شفقتِهِ ونُصحِهِ للطَّلبةِ دليلٌ ظاهرٌ.

وكذلك إذا اعتبَرتَ المصنّفات، وجدتَ الانتفاعَ بتصنيفِ الأتقى الأزهدِ أوفرَ، والفلاحَ بالاشتغالِ به أكثرَ.

وليَجتهِد على أن يكون الشَّيخُ ممَّن له على العلومِ الشَّرعيّة تمامُ اطّلاعٍ، وله مع مَن يُوثَقُ به من مشايخِ عصرِه كثرةُ بحثٍ، وطولُ اجتماعٍ، لا ممَّن أخذَ عن بطونِ الأوراق، ولم يُعرَف بصحبةِ المشايخِ الحُذّاق.

قال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «مَن تَفقَّه مِن بطونِ الكُتُب ضيَّعَ الأحكام»[(١)].

وكان بعضُهم يقول: «مِن أعظمِ البَليّة تَمشيُخُ الصُّحُفيّة»[(٢)]. أي: الذين تعلَّموا مِن الصُّحُف.

الثّاني: أنْ يَنقادَ لشيخِه في أمورِه، ولا يخرجَ عن رأيِهِ وتدبيرِه، بل يكونُ معه كالمريضِ مع الطَّبيب الماهر[(٣)]، فيُشاوِرُهُ فيما يَقصدُه، ويَتحرَّى رضاهُ

---

(١) ذكره النووي في «المجموع» (١: ٣٨).

(٢) في (س) و(ش): «الصحيفة»، وفي (ف): «الصحف».

(٣) ولا يخفى أن ذلك فيما لا يخالفُ شرعًا، ولا يناقضُ ثابتًا معلومًا، وليس من إجلال الشَّيخ إلغاءُ العقل، ولا تغييب الفكر، ومن تأمَّل في سيرة النَّبيِّ ﷺ رأى كيف كان الصَّحابة رضيَ الله عنهم يَسألونه، ويُبدون آراءَهم، مع الأدبِ الكامل، والإجلالِ المطلق، ومن الكلمات =

فيما يَعتمدُه، ويُبالِغُ في حُرمتِه، ويَتقرَّبُ إلى الله تعالى بخدمتِه، ويَعلمُ أنّ ذلَّهُ لشيخِهِ عِزٌّ، وخضوعَه له فخرٌ، وتواضعَهُ له رفعةٌ.

ويُقالُ: إنّ الشّافعيَّ رضيَ الله عنه عُوتِبَ على تواضعِهِ للعلماء، فقال:

أُهينُ لهم نَفسي فَهُمْ[1] يُكرِمونَها ... ولنْ تُكرَمَ النّفسُ التي لا تُهينُها[2]

وأخذ ابنُ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما مع جلالتِه وبيتِهِ[3] ومرتبتِه[4] بِركابِ

= اللطيفة التي سمعتُها من أستاذنا المؤرّخ الأديب المحقّق إبراهيم الزيبق عن شيخه الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله قوله: «لا تَبع عقلَك لأحد».

(١) في المصادر الآتية: «لكي» مكان: «فهم».

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» ص٩٥، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩: ١٤٨)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٠٠-١٠١، ١٤٧)، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٤٥)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٠٣) عن الربيع بن سليمان المرادي قال: كتب إليَّ أبو يعقوب البويطي، وهو في المُطبِق (هو سجن تحت الأرض)، يَسألُني أن أصبرَ نفسي للغرباء ممَّن يسمعُ كتبَ الشّافعي، ويسألُني أن أحسِّن خُلُقي لأصحابنا الذين في الحلقة، والاحتمال منهم، ويقول: لم أزل أسمعُ الشّافعيَّ كثيرًا يردِّدُ هذا البيتَ، فذكره.

وظاهر أنّ الخبر في إكرام الغرباء وطلبة العلم.

وأورد ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٥٥) أنّ الرَّبيع بن سليمان قال: كان الشّافعيُّ رحمه الله يُملي علينا في صحن المسجد، فلحقَتهُ الشَّمس، فمرَّ به بعض إخوانه، فقال: يا أبا عبد الله، في الشمس! فأنشأ الشافعي يقول... فذكره بألفاظٍ قريبة، وهذا الخبر كالذي قبله في إكرام طلبةِ العلم، لا في تبجيل الشيوخ.

والبيت ذكره الجاحظُ في «البيان والتبيُّن» (٢: ١٨٩)، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١: ٩١) لأعرابيٍّ حُجِبَ عن باب السلطان.

(٣) لفظ: «بيته» ليس في (ف)، ومكانه في (ر) بياض، وفي (يه): «نيته».

(٤) قوله: «مع جلالته وبيته ومرتبته» ليس في (ب).

زيدِ بنِ ثابت الأنصاريِّ، وقال: «هكذا أُمِرنا أنْ نفعلَ بعلمائنا»(١).

وقال أحمدُ بنُ حنبل لخَلَفِ الأحمَر(٢): «لا أقعدُ إلّا بين يديك؛ أُمِرنا أنْ نتواضعَ لمن نَتعلَّمُ منه»(٣).

وقال الغزاليُّ: «لا يُنالُ العِلمُ إلّا بالتَّواضعِ وإلقاءِ السَّمعِ».

---

(١) أخرجه نحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢: ٢٧٥)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١: ٤٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٧٤٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٥٤)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٠٧) عن الشَّعبيِّ.
وأخرج الحاكم نحوه في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب زيد بن ثابت كاتب النّبيِّ ﷺ، (٥٧٨٥)، ومن طريقه البيهقيُّ في «السنن الكبرى»، كتاب الفرائض، باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة رضيَ الله عنهم أجمعين في علم الفرائض، (١٢١٩٦) عن أبي سلمة.

(٢) لفظ: «الأحمر» خطأ أو سبق قلم، ولم يرد في (ب) و(د) و(ف)، والصواب أنّه الإمام الحافظ خلف بن هشام البغداديُّ المقرئ، أبو محمَّد، له اختيار في الحروف صحيح، لا يَكادُ يخرجُ فيه عن القراءات السَّبع، توفّي سنة (٢٢٩هـ). انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠: ٥٧٦-٥٨٠)، والخبر أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٤٤)، وفي «تاريخ بغداد» (١٠: ١٩٥) عن سلمةَ بن عاصم - وهو صاحبُ خلف بن هشام - أنّه أراد أن يسمع كتاب «العدد» من خلف، فأراد خلف أن يرفعَه ليجلس في الصدر، فأبى وقال: لا أجلسُ إلّا بين يديك، وقال: هذا حقُّ التَّعليم، فقال له خلف: جاءني أحمدُ بن حنبل يسمعُ حديث أبي عوانة، فاجتهدتُ أن أرفعَه، فأبى وقال: لا أجلسُ إلّا بين يديك؛ أُمِرنا أن نتواضعَ لمن نتعلَّمُ منه.
أمّا خلف الأحمر فهو ابن حيّان، أبو محرز، مولى بلالِ بنِ أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، أحدُ رواة الغريب واللُّغة والشّعر ونُقّاده والعلماءِ به وبقائليه وصناعته، وله صنعة فيه، وأحدُ الشُّعراء المحسنين، توفّي نحو سنة (١٨٠هـ). انظر «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (١: ٣٨٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ٣١٠).

(٣) بعدها في (ظ): «العلم».

قال: «ومهما أشارَ عليه شيخُه بطريقٍ في التعليم فليُقلِّدهُ، وليَدع رأيَه، فخطأُ مرشدِه أنفعُ له مِن صوابِه في نفسِه، وقد نبَّه اللهُ تعالى على ذلك في قصّة موسى والخضرِ عليهما السّلام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الآية [الكهف: ٦٧]، هذا مع علوِّ قدرِ موسى الكليم في الرِّسالةِ والعلم، حتَّى شرطَ عليه السُّكوتَ، فقال: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]»[١].

الثّالث: أنْ يَنظرَهُ بعينِ الإجلال، ويَعتقدَ فيه درجةَ الكمال؛ فإنَّ ذلك أقربُ إلى نفعِه[٢] به، وكان بعضُ السَّلفِ إذا ذهبَ إلى شيخِهِ تَصدَّقَ بشيءٍ، وقال: اللهمَّ استُر عيبَ شيخي عنِّي، ولا تُذهِب بركةَ علمِهِ منِّي.

وقال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «كنتُ أصفحُ الورقةَ بين يدَي مالكٍ صَفْحًا رَفيقًا؛ هيبةً له لئلّا يَسمعَ وقعَها».

وقال الرَّبيعُ: «واللهِ ما اجترأتُ أنْ أشربَ الماءَ والشّافعيُّ يَنظرُ إليَّ؛ هيبةً له»[٣].

وحضرَ بعضُ أولادِ الخليفة المهدي[٤] عند شَريك[٥]، فاستندَ إلى الحائطِ،

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» (١: ٥٠-٥١).

(٢) في (س): «نفسه».

(٣) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٤٥)، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٨٤).

(٤) هو أبو عبد الله، محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله، الهاشمي العباسي، كان جوادًا ممدَّحًا معطاءً، محبَّبًا إلى الرعيّة، شديدًا على الزنادقة وأصحاب الأهواء، تملَّك عشر سنين وشهرًا ونصفًا، وتوفي سنة (١٦٩هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧: ٤٠٠-٤٠٣).

(٥) هو العلّامةُ الحافظ القاضي، أبو عبد الله، شَريك بنُ عبد الله النَّخعيُّ، أحدُ الأعلامِ على لِين ما في حديثه، توقَّف بعضُ الأئمّة عن الاحتجاج بمفاريده، وكان شديدًا على أهل الريب والبدع، ولّاه القضاءَ أبو جعفر، فبقي إلى أيّام المهدي، ثم عزله، توفّي سنة (١٧٧) أو =

وسألَهُ عن حديثٍ، فلم يلتفت إليه شَريك، ثمَّ عادَ، فعاد[١] شَريكٌ بمثلِ ذلك، فقال: أتستخفُّ بأولاد الخلفاء؟! قال: لا، ولكنّ العلمَ أجلُّ عند الله مِن أن أضيِّعَه[٢].

ويُروى: «العلمُ أزينُ عند أهلِهِ مِن أنْ يُضيِّعوه»[٣].

ويَنبغي ألّا يُخاطبَ شيخَه بتاءِ الخطاب وكافِهِ، ولا يُناديَه مِنْ بُعْدٍ، بل يقول: يا سيّدي، ويا أستاذ.

وقال الخطيب: يقول: أيُّها العالم، أو: أيُّها الحافظ، ونحو ذلك[٤]، و: ما تقولون في كذا؟ و: ما رأيكم في كذا؟ وشبه ذلك.

ولا يُسمِّيه في غيبتِه أيضًا باسمه، إلّا مقرونًا بما يُشعِرُ بتعظيمِه، كقوله: قال الشَّيخُ أو الأستاذُ كذا، أو: قال شيخُنا، أو: قال حُجّةُ الإسلام، ونحو ذلك.

الرّابع: أن يَعرفَ له حقَّه، ولا ينسى له فضلَه.

قال شعبة: «كنتُ إذا سَمِعتُ مِن الرَّجل الحديثَ كنتُ له عبدًا ما حَيِيَ»[٥].

= (١٧٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (٨: ٢٠٠-٢١٦).

(١) بعدها في (ر): «إليه»، ووقع في (س): «أعاد فأشار»، وفي (يه): «أعاد فأعاد» بدل: «عاد فأعاد».

(٢) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (٢٥٣٨)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٤٣)، والسمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» ص١٣٣، وذكره النووي في «المجموع» (١: ٣٦) ـ وعنه نقل المصنِّفُ هذا الخبر وما قبله ـ وتتمّة الخبر أنّ السّائل بعد ذلك جثا على ركبتيه ثمّ سأله، فقال شَريك: هكذا يُطلَبُ العلم.

(٣) هو بهذا اللفظ عند ابن الجعد والخطيب البغدادي. انظر التعليق السابق.

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي» (١: ١٨٣).

(٥) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣١٨).

وقال: «ما سمِعتُ من أحدٍ شيئًا إلّا واختَلَفْتُ[١] إليه أكثرَ ممّا سمِعتُ منه».

ومِن ذلك أنْ يُعظِّمَ حضرتَهُ، ويَرُدَّ غِيبتَه، ويَغضبَ لها، فإنْ عَجزَ عن ذلك قامَ وفارقَ ذلك المجلس.

ويَنبغي أنْ يَدعوَ له مدّةَ حياتِه، ويَرعى ذُرِّيّتَهُ وأقاربَه وأوُدّاءَه[٢] بعد وفاته، ويَتعاهَدَ زيارةَ قبرِه، والاستغفارَ له، والصَّدقةَ عنه، ويَسلُكَ في السَّمتِ والهديِ مسلكَه، ويُراعيَ في العلمِ والدِّين عادَتَه، ويَقتديَ بحركاتِه وسَكَناتِه في عاداتِه وعِباداتِه، ويتأدَّبَ بآدابِه، ولا يدع الاقتداءَ به.

الخامس: أن يَصبرَ على جَفوةٍ تَصدرُ مِن شيخِهِ، أو سوءِ خُلُقٍ، ولا يَصدَّه ذلك عن ملازمتِه وحسنِ عقيدته، ويَتأوَّلَ أفعالَهُ التي يَظهرُ أنّ الصوابَ خلافُها على أحسن تأويل، ويَبدأ هو عند جفوةِ الشّيخ بالاعتذار والتَّوبة ممّا وقعَ، والاستغفارِ، ويَنسبَ الموجبَ إليه، ويَجعلَ العَتبَ[٣] فيه عليه؛ فإنّ ذلك أبقى لمودّةِ شيخه، وأحفظُ لقلبِه، وأنفعُ للطّالبِ في دُنياه وآخرته.

وعن بعض السَّلف: «مَن لم يَصبِر على ذلِّ التَّعليم، بقيَ عمرَه في عَمايةِ[٤] الجهالة، ومَن صبرَ عليه، آلَ أمرُه إلى عزِّ الدُّنيا والآخرة»[٥].

---

(١) في (س): «وأختلف»، والمثبت من «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (٣١٩)، والأثر مخرّج فيه.

(٢) الأوُدّ جمع الودّ، وهو صاحب المودّة. انظر «الصحاح» للجوهري: (ودد).

(٣) في (س): «العيب»، والمثبت موافق لما في «التبيان» للنوويّ ص٥٧.

(٤) في (س): «عمى».

(٥) انظر «التبيان في آداب حملة القرآن» ص٥٧، و«المجموع» للنووي (١: ٣٨).

ولبعضِهم:

اصْبِـرْ لدائِـكَ إنْ جَفَـوتَ طبيبَهُ واصْبِرْ لجَهلِكَ إنْ جَفوتَ مُعلِّما[١]

وعن ابن عبّاس رضيَ الله عنهما: «ذَللتُ طالبًا فعززتُ مطلوبًا»[٢].

وقال معافى بنُ عِمران[٣]: «مثلُ الذي يَغضبُ على العالِمِ مثلُ الذي يَغضبُ على أساطينِ الجامعِ»[٤].

وقال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: قيل لسفيانَ بن عيينة: إنّ قومًا يَأتونك مِن أقطارِ الأرضِ، تَغضبُ عليهم! يُوشِك أن يَذهبوا ويَترُكوك، فقال للقائل: هم حمقى إذًا مثلُك إن تركوا ما يَنفعُهم لسوءِ خُلُقي![٥].

وقال أبو يوسف رحمه الله: «خمسةٌ يجبُ على النّاس مُداراتُهم». وعدَّ مِنهم العالمَ ليُقتبَسَ مِن عِلمِه[٦].

---

(١) نسبه المستعصميُّ في «الدر الفريد» (٤: ٤٥٨) للقواريري، وهو دون نسبة في «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص٧٧، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي ص١٦٤، و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (١: ٧٦)، وقبله فيها:

إنّ المعلّمَ والطَّبيبَ كِلاهما لا يَنصحانِ إذا هُما لم يُكرَما

(٢) أخرجه الدِّينوريُّ في «المجالسة» (١٦٣٥)، وذكره ابنُ عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (٧٥٦)، والنوويُّ في «التبيان» ص٥٧.

(٣) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو مسعود الأزديُّ الموصليُّ، صنّف في الزُّهد والسُّنن والفتن والأدب وغير ذلك، توفّي سنة (١٨٥هـ) أو بعدها. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩: ٨٠-٨٦).

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٢٤)، والسّمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» ص١٤٥-١٤٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» ص١٥٨، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ١٤٥-١٤٦)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٢٣).

(٦) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٢١).

السّادس: أن يَشكرَ الشَّيخ على توقيفِه على ما فيه فضيلةٌ، وعلى توبيخِهِ على ما فيه نَقيصةٌ، أو على كسَلٍ يَعتريه، أو قصورٍ يُعانيه، أو غيرِ ذلك ممّا في إيقافِهِ[١] عليه وتوبيخِه إرشادُه وصلاحُه، ويَعُدّ ذلك مِن الشَّيخِ مِن نِعَمِ الله تعالى عليه باعتناءِ الشَّيخ به ونظَرِه إليه، فإنّ ذلك أميلُ لقلبِ[٢] الشَّيخِ، وأبعثُ على الاعتناءِ بمصالحِه.

وإذا أوقفَهُ الشَّيخُ على دقيقةٍ مِن أدبٍ، أو نقيصةٍ صَدَرتْ مِنه، وكان يَعرِفُهُ مِن قَبلُ، فلا يُظهِر أنّه كان عارفًا به وغَفَلَ عنه، بل يَشكرُ الشَّيخَ على إفادتِه ذلك، واعتنائِهِ بأمرِه، فإنْ كان له في ذلك عذْرٌ، وكان إعلامُ الشَّيخِ به أصلحَ، فلا بأسَ به، وإلّا تَركَهُ، إلّا أنْ يَترتَّبَ على تركِ بيان العُذرِ مفسَدةٌ، فيَتعيَّنُ إعلامُه به.

السّابع: ألّا يَدخلَ على الشَّيخِ في غير المجلسِ العامِّ إلّا باستئذانٍ، سواءٌ كان الشَّيخُ وحدَه، أم[٣] كان معَهُ غيرُه، فإنِ استأذنَ بحيث يَعلمُ الشَّيخ، ولم يَأذن له، انصرفَ، ولا يُكرِّرُ الاستئذانَ، وإن شكَّ في علمِ الشَّيخِ به، فلا يَزيد في الاستئذانِ فوق ثلاثِ مرّات، أو ثلاثِ طَرَقاتٍ بالبابِ أو الحلْقة، وليَكن طرقُ الباب خفيًّا[٤] بأدبٍ؛ بأظفارِ الأصابعِ، ثمَّ بالأصابعِ، ثمَّ بالحَلْقةِ قليلًا قليلًا، فإن كان الموضعُ بعيدًا عن البابِ والحَلْقة، فلا بأسَ برفعِ ذلك بقدرِ ما يَسمعُ لا غير.

---

(١) في (د) و(س) و(ش) و(يه): «اتفاقه»، وفي (ظ): «إبقائه»، ولم تنقط في (ب)، والمثبت من (ر).
(٢) في (ر): «إلى قلب».
(٣) في (ب) و(د) و(ر): «أو».
(٤) في (ب) و(س) و(ف) و(يه): «خفيفًا».

وإذا أذِنَ، وكانوا جماعةً، تَقَدَّم أفضلُهم وأسنُّهم بالدُّخولِ والسَّلامِ عليه، ثمَّ يُسلِّم عليه الأفضَلُ فالأفضَل.

ويَنبغي أنْ يَدخُلَ على الشَّيخِ كاملَ الهيئةِ، متطهِّرَ البدنِ والثِّيابِ نظيفَهما، بعد ما يَحتاجُ إليه مِن أخذِ ظفرٍ وشعرٍ، وقطْعِ رائحةٍ كريهةٍ، لا سيَّما إنْ كان يَقصِدُ مجلسَ العِلْمِ؛ فإنّه مجلسُ ذكرٍ واجتماعٌ في عبادة.

ومتى دخلَ على الشَّيخ في غيرِ المجلسِ العامِّ، وعندَهُ مَن يَتحدَّثُ معه، فسَكتوا عن الحديثِ، أو دخلَ والشَّيخُ وحده يُصلِّي، أو يَذكُرُ، أو يَكتبُ، أو يُطالِعُ، فتركَ ذلك، أو سكتَ ولم يبدأْهُ بكلامٍ، أو بَسْطِ حديثٍ، فليُسلِّم ويَخرج سريعًا، إلّا أنْ يَحُثَّه الشَّيخُ على المُكثِ، وإذا مكثَ فلا يُطيلُ، إلّا أنْ يأمرَهُ بذلك.

ويَنبغي أنْ يَدخُلَ على الشَّيخ أو يَجلِسَ[١] عندَه وقلبُه فارغٌ مِن الشَّواغل له، وذِهنُه صافٍ، لا في حالِ نعاسٍ أو غضَبٍ، أو جوعٍ شديدٍ أو عَطَش، أو نحوِ ذلك؛ ليَنشرحَ صدرُه لما يُقال، ويَعي ما يَسمَعُه.

وإذا حضرَ مكانَ الشَّيخ فلم يَجِدهُ جالسًا انتظرَه؛ كي لا يُفوِّتَ على نفسِهِ درسَهُ؛ فإنّ كلَّ درسٍ يفوتُ لا عوضَ له، ولا يَطرُقُ عليه ليخرجَ إليه، وإن كان نائمًا صبرَ حتَّى يَستيقِظَ، أو ينصرفُ ثمَّ يعود، والصَّبرُ خيرٌ له؛ فقد رُوِيَ أنَّ ابنَ عبّاسٍ كان يَجلسُ في طلبِ العلم على باب زيدِ بن ثابت حتَّى يَستيقِظَ، فيقال له: ألا نُوقظُهُ لك؟ فيقول: لا[٢]، وربَّما طالَ مقامُه، وقَرَعَتْهُ الشَّمسُ، وكذلك كان السَّلفُ يَفعلون.

---

(١) في (س) و(ش) و(ف): «ويجلس».

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢١٧) بلفظ: كان ابن عباس يأتي الرجل =

ولا يَطلبُ من الشَّيخِ إقراءَهُ في وقتٍ يَشُقُّ عليه فيه، أو لم تَجرِ عادتُه بالإقراءِ فيه، ولا يَخترِعُ عليه وقتًا خاصًّا به دون غيره، وإن كان رئيسًا أو كبيرًا؛ لما فيه من الترفُّع والحُمْقِ على الشَّيخِ والطَّلبة والعلم، وربَّما استَحيا الشَّيخُ منه، فتركَ لأجلِه ما هو أهمُّ عنده في ذلك الوقت، فلا يُفلِحُ الطّالب، فإن بدأهُ الشَّيخُ بوقتٍ معيَّنٍ، أو خاصٌّ لعذرٍ عائقٍ له عن الحضورِ مع الجماعة، أو لمصلحةٍ رآها الشَّيخُ، فلا بأسَ بذلك.

الثّامن: أنْ يَجلسَ بين يدي الشَّيخِ جِلسةَ الأدب، كما يَجلِسُ الصَّبيُّ بين يـدي المقرئ، أو مُتَربِّعًـا بتواضُعٍ وخضـوعٍ، وسكونٍ وخشوعٍ، ويُصغيَ إلى الشَّيخِ ناظِرًا إليه، ويُقبِلَ بكُلِّيَّته عليه، متعقِّلًا لقوله، بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادةِ الكلام مرّةً ثانيةً، ولا يَلتفِتَ مِن غير ضرورةٍ، ولا يَنظرَ إلى يمينِه أو شمالِه أو فوقه أو قدّامه لغير حاجةٍ، ولا سيَّما عند بحثِهِ له، أو عند كلامِهِ معه، فلا يَنبغي أن ينظرَ إلّا إليه، ولا يَضطَربَ لضَجّة يَسمعُها، أو يَلتفتَ إليها، ولا سيَّما عند بحثِه له.

= من أصحاب النبي ﷺ، فلم يسمِّ الصحابيَّ زيد بن ثابت.

وأخرج الدارمي في مقدمة «سننه»، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، (٥٩٠)، والحاكم في «المستدرك»، كتاب العلم، (٣٦٣)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢١٥) عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: لمّا توفّي رسول الله ﷺ، قلت لرجلٍ مِن الأنصار: يا فلان، هلمَّ فلنسأل أصحابَ النّبيّ ﷺ؛ فإنّهم اليوم كثير. فقال: واعجبًا لك يا ابنَ عباس، أترى النّاسَ يحتاجون إليك وفي النّاس مِن أصحاب النّبي ﷺ مَن ترى؟! فتركَ ذلك، وأقبلتُ على المسألة، فإنْ كان ليَبلُغني الحديثُ عن الرَّجل فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد ردائي على بابِه، فتَسفي الرِّيح على وجهي التُّرابَ، فيَخرجُ فيَراني، فيقول: يا ابنَ عمِّ رسولِ الله، ما جاءَ بك؟ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقولُ: لا، أنا أحقُّ أن آتيك. فأسألُه عن الحديث. قال: فبقيَ الرَّجلُ حتّى رآني وقد اجتمعَ النّاسُ عليّ، فقال: كان هذا الفتى أعقلَ منّي.

ولا ينفضُ كمَّيه، ولا يحسِرُ عن ذراعيه، ولا يَعبثُ بيديهِ أو رجليهِ أو غيرِهما مِن أعضائِه، ولا يَضعُ يدَه على لحيتِهِ أو فمِهِ، أو يعبثُ بها في أنفه، أو يَستخرِجُ بها منه شيئًا، ولا يفتحُ فاه، ولا يقرعُ سِنّهُ، ولا يَضربُ الأرضَ براحتِهِ، أو يَخُطُّ عليها بأصابعه، ولا يُشبِّكُ بيديه، أو يعبثُ بأزرارِه[١].

ولا يَستندُ بحضرةِ الشَّيخ إلى حائطٍ أو مِخَدّة أو درابزين، أو يَجعلُ يدَهُ عليها، ولا يُعطي الشَّيخَ جنبَه أو ظهرَه، ولا يَعتمِدُ على يدِه إلى ورائه أو جنبه، ولا يُكثِرُ كلامَهُ مِن[٢] غير حاجةٍ، ولا يَحكي ما يُضحَكُ مِنه، أو ما فيه بذاءةٌ، أو يَتضمَّنُ سوءَ مخاطبةٍ، أو سوءَ أدبٍ، ولا يَضحكُ لغيرِ عجَبٍ، ولا لعَجَبٍ[٣] دون الشَّيخ، فإن غَلَبَهُ تَبسَّمَ تبسُّمًا بغيرِ صوت البتّة.

ولا يُكثِرُ التَّنَحْنُحَ مِن غيرِ حاجةٍ، ولا يَبصُقُ، ولا يَتنخَّعُ ما أمكنَهُ، ولا يَلفِظُ النُّخامةَ مِن فيه، بل يأخذُها مِن فيهِ بمِنْديلٍ أو خِرقةٍ أو طرفِ ثوبِهِ.

ويتعاهَدُ تغطيةَ أقدامِهِ، وإرخاءَ ثيابِهِ، وسكونَ بدنِهِ[٤] عند بحثِهِ أو مذاكرتِهِ.

وإذا عطسَ خفضَ صوتَه جهدَه، وسترَ وجهَهُ بمِنديلٍ أو نحوِه، وإذا تثاءَبَ سترَ فاهُ بعد ردِّه جهدَهُ.

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه قال: «مِن حقِّ العالمِ عليكَ أنْ تُسلِّمَ على القومِ عامّةً، وتَخصَّهُ بالتَّحيّةِ، وأنْ تَجلِسَ أمامَه، ولا تُشيرَنَّ عندهُ بيدِك، ولا تَعمِد[٥]

---

(١) في (ف) و(يه): «بإزاره».

(٢) في (س): «عند».

(٣) بعدها في (س): «من غير حاجة».

(٤) في (ر) و(ف): «يديه». ولم تنقط في (ب).

(٥) في (ر) و(يه): «تغمز»، وهي محتملة في (د)، وفي (ف): «تغمزن»، والمثبت من بقية النسخ، والعمد هنا بمعنى القصد، والله أعلم.

بعينيك غيرَه، ولا تقولَنّ: قال فلانٌ خلافَ قولِه، ولا تَغتابَنّ عنده أحدًا، ولا تَطلبَنّ عثرتَه، وإنْ زلَّ قبلتَ معذِرَتَه، وعليك أنْ توقِّرَهُ لله تعالى، وإنْ كانت له حاجةٌ سبَقتَ القومَ إلى خدمتِهِ، ولا تُسارَّ في مجلسِه، ولا تأخذْ بثوبِه، ولا تُلِحَّ عليه إذا كَسِلَ، ولا تَشبعْ مِن طولِ صُحبتِه؛ فإنّما هو كالنّخلةِ تَنتظِر[1] متى يَسقطُ عليك مِنها شيءٌ»[2].

ولقد جمعَ رضيَ الله عنه في هذه الوصيّةِ ما فيه كِفايةٌ.

قال بعضُهم: «ومِن تعظيمِ الشَّيخ ألّا يجلس إلى جانبِه ولا على مصلّاه أو وسادتِه، وإن أمرَهُ الشَّيخُ بذلك فلا يَفعلهُ، إلّا إذا جزمَ عليه جزمًا يَشُقُّ[3] عليه مخالفَتُه، فلا بأس بامتثالِ أمرِه في تلك الحال، ثمَّ يعودُ إلى ما يَقتضيه الأدبُ».

وقد تكلَّم النّاسُ في أيِّ الأمرَين أولى أن يُعتمَد: امتثالُ الأمرِ، أو سلوكُ الأدب؟ والذي يَترجَّحُ ما قدَّمتُه مِن التَّفصيلِ، فإن جزمَ[4] الشَّيخُ بما أمرَهُ به، بحيث يَشُقُّ عليه مخالفتُه، فامتثالُ الأمرِ أولى، وإلّا فسلوكُ الأدبِ أولى؛ لجوازِ أنْ يَقصِدَ الشَّيخ خيرَه[5]، وإظهارَ احترامِه، والاعتناءَ به، فيُقابِل هو ذلك بما يَجبُ مِن تعظيمِ الشَّيخِ والأدبِ معه.

---

(١) في (ب): «تنظر».

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٤٧)، وفي «الفقيه والمتفقه» (٨٥٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٨٤١) من طرق عن علي رضيَ الله عنه بألفاظ مختلفة، وأورده النووي في «المجموع» (١: ٣٦)، و«التبيان» ص٥٤-٥٥.

(٣) في (ظ) و(ش) و(يه): «تشق»، ولم ينقط حرف المضارعة في (ب).

(٤) في (س) و(ش) و(ظ): «عزم».

(٥) في (ب): «حبره»، وفي (د) و(ظ) و(ف): «جبره»، وفي (يه): «خبره».

التّاسع: أنْ يُحسِّنَ خطابَه مع الشَّيخِ بقدر الإمكان، ولا يقولَ له: لم؟ ولا: لا نُسلِّمُ، ولا: مَن نقل هذا؟ ولا: أين موضعُه؟ وشبهَ ذلك، فإن أرادَ استفادتَه تلطَّفَ في الوصول إلى ذلك، ثمَّ هو في مجلسٍ آخر أولى على سبيلِ الاستفادة[1].

وعن بعض السَّلف: «مَن قال لشيخه: لِمَ؟ لَمْ يُفلِح أبدًا»[2].

وإذا ذَكرَ الشَّيخُ شيئًا، فلا يقل[3]: هكذا قلتُ، أو: خطرَ لي، أو: سمعتُ، أو: هكذا قال فلان، إلّا أن يَعلمَ إيثارَ الشَّيخ ذلك، وهكذا لا يَقول: قال فلانٌ خلافَ هذا، أو: رَوى[4] فلانٌ خلافَه، أو: هذا غيرُ صحيح، ونحو ذلك.

وإذا أصرَّ الشَّيخُ على قولٍ أو دليلٍ، ولم يَظهر له، أو[5] على خلافِ صوابٍ سَهْوًا، فلا يُغَيِّرُ وجهَه أو عينَيه، أو يشيرُ إلى غيره كالمنكرِ لما قالَهُ، بل يأخذُهُ

---

(١) في (ر): «الإفادة».

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧: ٢٥٢-٢٥٣): ينبغي للمريد ألّا يقولَ لأستاذه: لِم، إذا علمَهُ معصومًا لا يجوزُ عليه الخطأ، أمّا إذا كان الشَّيخُ غير معصومٍ وكره قولَ: لِم فإنّه لا يُفلِحُ أبدًا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، بلى هنا مريدون أثقال أنكاد، يَعترضون ولا يَقتدون، ويقولون ولا يعملون، فهؤلاء لا يُفلِحون. اهـ.

وعلق عليه محقِّقه فقال: فينبغي على التلميذ أن يسألَ أستاذه أو يناقشَه في أمرٍ ما بأسلوبٍ مهذَّبٍ وسائغ، ويَنبغي على الأستاذ أنْ يأذنَ له، ويَستمِع إليه، ويَعترفَ بالخطأ إذا تبيَّن له، وأنْ يَغرِسَ في نفس طالبِ العلمِ ملكةَ النّقدِ، كما كان يَفعلُ السَّلفُ الصّالح رضوان الله عليهم.

(٣) بعدها في (س): «هو».

(٤) في (ر) و(ظ): «وروى» بدل: «أو روى».

(٥) بعدها في (ب): «قاله».

ببِشْرٍ ظاهر، وإنْ لم يَكن الشَّيخُ مصيبًا لغفلةٍ أو سهْوٍ أو قصورِ نظرٍ في تلك الحال، فإنّ العِصمةَ في البشرِ للأنبياءِ صلى الله عليهم وسلَّم.

وليَتحفَّظ مِن مخاطبة الشَّيخ بما يعتادُهُ بعضُ النّاسِ في كلامِه، ولا يَليقُ خطابُه به، مثل: أيش بك؟ وفهِمْتَ، وسمِعْتَ، وتَدري، ويا إنسان، ونحو ذلك.

وكذلك لا يحكي له ما خُوطِب به غيرُه ممّا لا يَليقُ خطابُ الشَّيخِ به، وإنْ كان حاكيًا، مثل: قال فلانٌ لفلانٍ: أنت قليلُ البِرِّ، و: ما عندكَ خيرٌ، وشبه ذلك، بل يقولُ إذا أرادَ الحكايةَ ما جرت العادةُ بالكنايةِ به، مثل: قال فلانٌ لفلانٍ الأَبْعَد: قليل البِرِّ، و: ما عند البعيد[١] خيرٌ، وشبه ذلك.

ويَتحفَّظُ مِن مفاجأةِ الشَّيخِ بصورة ردٍّ عليه؛ فإنّه يَقعُ ممَّن لا يُحسِنُ الأدبَ مِن النّاس كثيرًا، مثل أن يقولَ له الشَّيخُ: أنت قلتَ كذا، فيقول: ما قلتُ كذا، أو يقولَ له الشَّيخُ: مرادُك في سؤالِك كذا، أو خطَرَ لك كذا، فيَقول: لا، أو: ما هذا مرادي، أو: ما خطَرَ لي هذا، وشبه ذلك، بل طريقةُ أنْ يَتلطَّفَ بالمكاسرة عن الردِّ على الشَّيخ.

وكذلك إذا استَفهَمَهُ الشَّيخُ استفهامَ تقريرٍ وجزمٍ، كقوله: ألم تَقُل كذا؟ أو أليسَ مرادُك كذا؟ فلا يُبادِرْ بالرَّدِّ عليه بقولِه: لا، أو: ما هو مرادي، بل يَسكتُ، أو يُوَرّي عن ذلك بكلامٍ لطيفٍ يَفهَمُ الشَّيخُ قصدَهُ مِنه، فإنْ لم يكن بدٌّ مِن تحريرِ قصدِهِ وقولِه، فليَقُل: فأنا الآن أقولُ كذا، أو أعودُ إلى قصدِ كذا، ويُعيدُ كلامَهُ، ولا يَقل: الذي قلتُه، أو: الذي قَصَدتُهُ؛ لتَضمُّنِه الرَّدَّ عليه.

وكذلك يَنبغي أن يقولَ في موضع: لِم، و: لا نُسَلِّم[٢]: فإن قيل لنا كذا، أو:

---

(١) في (ظ): «الأبعد».

(٢) في (ف) و(ظ): «أسلم».

فإن مَنعْنا ذلك، أو: فإن سُئلنا عن كذا، أو: فإنْ أُورِدَ كذا، وشبهَ ذلك؛ ليَكون مستَفهِمًا للجواب، سائِلًا له بحُسنِ أدبٍ، ولُطْفِ عِبارةٍ.

العاشر: إذا سمعَ الشَّيخَ يَذكر حُكمًا في مسألةٍ، أو فائدةً مُستَغرَبةً، أو يَحكي حكايةً، أو يُنشِدُ شِعرًا، وهو يحفظ ذلك، أصغى إليه إصغاءَ مستفيدٍ له في الحال، متعطِّشٍ إليه، فَرِحٍ به، كأنّه لم يَسمعهُ قَطّ.

قال عطاء: «إنِّي لأسمَعُ الحديثَ مِن الرَّجلِ، وأنا أعْلَمُ بِهِ منه، فأُريهِ مِن نفسي أنِّي لا أُحسِنُ منه شيئًا»[1].

وعنه قال: «إنّ الشّابَّ ليَتحدَّثُ بحديثٍ، فأستمِعُ[2] له كأنِّي لم أسمعْهُ، ولقد سمعتُه قبل أن يُولَدَ».

فإنْ سألَه الشَّيخُ عند[3] الشُّروعِ في ذلك عن حفظِهِ له، فلا يُجيبُ بـ: نعم؛ لما فيه مِن الاستغناءِ عن الشَّيخ فيه، ولا يَقل: لا؛ لما فيه مِن الكذبِ، بل يقول: أحِبُّ أنْ أستَفيدَهُ مِن الشَّيخ، أو: أنْ أسمعَهُ مِنه، أو: بَعُد عهدي، أو: هو مِن جهتِكم أصحّ.

فإنْ عَلِمَ مِن حال الشَّيخ أنّه يُؤثِرُ العلمَ بحفظِه له؛ مسرّةً به، أو أشارَ إليه بإتمامِه؛ امتحانًا لضَبطِهِ أو حفظِه، أو لإظهارِ تحصيلِه، فلا بأسَ باتِّباعِ غرضِ الشَّيخ؛ ابتغاءَ مرضاتِه، وازديادًا لرغبتِهِ فيه.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص٢٤٤، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٥١).

(٢) في (د) و(ر) و(س) و(ظ) و(ف) و(يه): «فأسمع»، والمثبت من (ب) و(ش)، وهو موافق لما في «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (٣٥٢)، والأثر مخرج فيه.

(٣) في (ر) و(س) و(ش): «عن».

ولا يَنبغي للطّالبِ أنْ يُكرِّرَ سؤالَ ما يَعلمُه، ولا استفهامَ ما يَفهمُه؛ فإنّه يُضيِّعُ الزّمان، وربّما أضجرَ الشَّيخ، قال الزُّهريُّ: «إعادةُ الحديث أشدُّ مِن نقلِ الصَّخر»[1].

ويَنبغي ألّا يُقصِّرَ في الإصغاءِ والتَّفهُّم، أو يُشغِلَ[2] ذهنَه بفكرٍ، أو حديثٍ، ثمَّ يَستَعيد الشَّيخَ ما قالَهُ؛ لأنّ ذلك إساءةُ أدبٍ، بل يكونُ مصغِيًا لكلامِه، حاضرَ الذِّهن لما يَسمعُهُ مِن أوَّلِ مرّة، وكان بعضُ المشايخ لا يُعيدُ لمثلِ هذا إذا استعادَهُ ويَزبُرُه؛ عقوبةً له.

وإذا لم يَسمَع كلامَ الشَّيخ لبعدِهِ، أو لم يَفهَمهُ مع الإصغاء إليه والإقبال عليه، فله أنْ يَسألَ الشَّيخَ إعادتَهُ أو تفهيمَهُ بعد بيانِ عذرِهِ بسؤالٍ لطيف.

الحادي عشر: ألّا يَسبِقَ الشَّيخَ إلى شرحِ مسألةٍ، أو جوابِ سؤالٍ منه، أو من غيره، ولا يُساوِقَهُ[3] فيه، ولا يُظهِرَ معرفتَهُ به، أو إدراكَه له قبل الشَّيخ، فإنْ عَرضَ الشَّيخُ عليه ذلك ابتداءً، والتَمَسَهُ مِنه، فلا بأس.

ويَنبغي ألّا يَقطعَ على الشَّيخ كلامَه، أيَّ كلامٍ كـان، ولا يُسابقَه فيه ولا يساوقَه، بل يَصبرُ حتّى يَفرُغَ الشَّيخ كلامه، ثـمَّ يَتكلَّم، ولا يَتحدَّثُ مع غيرِه والشَّيخُ يَتحدَّث معه أو مع جماعةِ المجلس.

وليَكن ذِهنُه حاضِرًا في جهةِ الشَّيخ[4]، بحيث إذا أمرَهُ بشيءٍ، أو سألَهُ

---

(١) أخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٤١)، (٣٤٢)، (١٤١٣)، (١٤١٥)، والسمعاني في «أدب الإملاء» ص٧٩-٨٠.

(٢) في (ر): «يشتغل».

(٣) في (س): «أو يساوقه». ويُساوِقُه أي: يفاخِرُه ويباريه. انظر «المعجم الوسيط»: (سوق).

(٤) في (ر): «كل وقت» بدل: «جهة الشيخ».

عن شيءٍ، أو أشارَ إليه، لم يُحوِجه إلى إعادته ثانيًا، بل يُبادِرُ إليه مسرعًا، ولم يعاوِدْهُ فيه، أو يَعترِضْ عليه بقوله: فإنْ لم يكن الأمرُ كذا.

الثّاني عشر: إذا ناولَهُ الشَّيخ شيئًا تناولَه[١] باليمين، وإنْ ناولَهُ شيئًا ناولَهُ باليمين، فإن كان ورقةً يَقرؤها، كفُتْيا، أو قِصّة، أو مكتوبٍ شرعيٍّ ونحو ذلك، نشرَها، ثمَّ دفعَها إليه، ولا يَدفعُها إليه مَطويّةً، إلّا إذا عَلِمَ أو ظنّ إيثارَ الشَّيخ لذلك، وإذا أخذَ مِن الشَّيخِ ورقةً، بادرَ إلى أخذِها مَنْشورةً قبل أنْ يَطويَها أو يُتَرِّبَها[٢].

وإذا ناولَ الشَّيخَ كتابًا، ناولَه إيّاه مُهَيَّئًا لفتحِهِ والقراءةِ فيه، مِن غيرِ احتياجٍ إلى إدارتِه، فإن كان لِيَنظرَ[٣] في موضعٍ معيَّنٍ، فلْيَكن مفتوحًا كذلك، ويُعيِّنُ له المكان.

ولا يَحذِفُ إليه الشَّيءَ حَذْفًا مِن كتابٍ أو ورقةٍ أو غيرِ ذلك، ولا يَمدُّ يدَهُ[٤] إليه إذا كان بعيدًا، ولا يُحوِجُ الشَّيخَ إلى مدِّ يدِه أيضًا لأخذٍ[٥] منه أو إعطاءٍ[٦]، بل يَقومُ إليه قائمًا، ولا يَزحفُ زَحْفًا.

وإذا جلسَ بين يديه لذلك[٧]، فلا يَقرُبُ منه قُربًا كثيرًا يُنسَبُ فيه إلى سوءِ أدب، ولا يَضعُ رجلَه أو يدَه أو شيئًا مِن بدنِه أو ثيابه على ثياب الشَّيخ أو

---

(١) في (س): «يتناوله».
(٢) أي: يضع عليها التُّراب.
(٣) في (ب) و(ر) و(ف) و(يه): «النظر»، وفي (د) و(ظ): «للنظر».
(٤) في (ر) و(س) و(ش) و(يه): «يديه».
(٥) بعدها في (ب): «شيء».
(٦) في (د) و(س) و(ش) و(ظ) و(يه): «أو عطاء»، وفي (ف): «وإعطاء».
(٧) في (س) و(يه): «كذلك».

وِسادتِه أو سَجّادتِه، ولا يُشيرُ إليه بيدِه، أو يُقرِّبُها مِن وجهِه أو صدرِه، أو يَمسُّ بها شيئًا مِن بدنِه أو ثيابِه.

وإذا ناولَهُ قلمًا ليَكتبَ[١] به، فليَمُدَّهُ[٢] قبل إعطائِه إيّاه، وإنْ وضعَ بين يديه دواةً فلتَكن[٣] مفتوحةَ الأغطية، مهيّأةً للكتابة مِنها.

وإن ناوَلَهُ سِكّينًا، فلا يُصوِّبُ إليه شفرتَها ولا نِصابها[٤] ويدُه قابضةٌ على الشَّفرة، بل تكون[٥] عرضًا، وحَدُّ شَفرتِها إلى جهتِه قابِضًا على طرفِ النِّصاب ممّا يلي النّصلَ، جاعلًا نِصابَها على يمينِ الآخِذ.

وإن ناوَلَهُ سَجّادةً ليُصلِّيَ عليها نشرَها أوّلًا، والأدبُ أن يَفرُشَها هو عند قصدِ ذلك، وإذا فَرَشها ثَنى[٦] مؤخَّرَ طرَفِها الأيسَر كعادةِ الصُّوفيّة، فإن كانت مثنيّةً جعلَ طَرَفَها إلى يسارِ المصلّي، وإن كانت فيها صورةُ محرابٍ تَحرَّى به جهةَ القبلةِ إن أمكنَ.

ولا يَجلسُ بحضرةِ الشَّيخِ على سَجّادةٍ، ولا يُصلِّي عليها إذا كان المكانُ طاهِرًا.

وإذا قامَ الشَّيخُ بادرَ القومُ إلى أخذ السَّجادةِ، وإلى الأخذِ بيدِه أو عَضُدِهِ إنِ احتاجَ، وإلى تقديمِ نَعلِهِ إنْ لم يَشُقَّ ذلك على الشَّيخ؛ ويَقصِدُ بذلك كلِّه

---

(١) في (ر): «اليمد».
(٢) يَمدُّه بوضع المداد فيه، يقال: مدَّ الدواة وأمدَّها. «مختار الصحاح»: (مدد).
(٣) في (يه): «وضعها».
(٤) نِصاب السّكين: مقبضه. «الصحاح»: (نصب).
(٥) في (ر) و(ظ): «يكون»، ولم تنقط في (ب).
(٦) بعدها في (ب): «طرف».

التَّقَرُّبَ إلى الله تعالى، وإلى قلبِ الشَّيخ.

وقيل: أربعةٌ لا يَأنَفُ الشَّريفُ مِنهنّ وإنْ كان أميرًا؛ قيامُه مِن مجلسِه لأبيه، وخدمتُه للعالم[1] يتعلَّمُ مِنه، والسُّؤالُ عمّا لا يَعلم، وخِدمتُه للضَّيف[2].

الثّالث عشر: إذا مشى مع الشيخ فليَكن أمامَه باللَّيل، ووراءَه بالنَّهار، إلّا أنْ يَقتضي الحالُ خلاف ذلك لزَحمةٍ أو غيرِها، ويَتقدَّمُ عليه في المواطِئ المجهولةِ الحال لوَحلٍ[3] أو خَوْضٍ، أو المواطِئ[4] الخطرةِ، ويَحترزُ مِن ترشيشِ ثيابِ الشَّيخ، وإذا كان في زحمةٍ صانَهُ عنها بيديه؛ إمّا مِن قُدّامِه أو من ورائه.

وإذا مَشى أمامَه التفتَ إليه بعد كلِّ قليل، فإن كان وحدَه، والشَّيخُ[5] يكلِّمُه حالةَ المشي، وهما في ظِلٍّ، فليَكن عن يمينِه، وقيل: عن يسارِه، متقدِّمًا عليه قليلًا، ملتفِتًا إليه.

ويُعَرِّف الشَّيخَ بمَن قَرُبَ مِنه أو قصدَهُ مِن الأعيان إنْ لم يَعلمِ الشَّيخُ به.

ولا يمشي إلى جانبِ الشَّيخِ إلّا لحاجةٍ، أو إشارةٍ منه، ويَحترزُ مِن مزاحمَتِهِ بكتفِه، أو بركابِه إنْ كانا راكبَين، وملاصقةِ ثيابِه.

ويُؤثره بجهةِ الظِّلِّ في الصَّيف، وبجهةِ الشَّمسِ في الشِّتاء، وبجهةِ الجدار

---

(١) في (س): «لعالم».

(٢) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢: ١٢٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٩٥)، وفيهما بدل: «والسؤال عما لا يعلم»: «وقيامه على فرسه».

(٣) في (ر) و(س): «كوحل».

(٤) في (ب) و(د) و(ف): «والمواطئ».

(٥) في (س) و(ش) و(ظ): «أو الشيخ».

في الرُّصْفانات[١] ونحوها، وبالجهةِ التي لا تَقرعُ الشَّمسُ فيها وجهَهُ إذا التفتَ إليه.

ولا يَمشي بين الشَّيخِ وبين مَن يُحدِّثُه، ويَتأخَّرُ عنهما إذا تَحدَّثا، أو يَتقدَّمُ، ولا يَقرُبُ ولا يَستمِعُ ولا يَلتفِتُ، فإنْ أدخلاهُ[٢] في الحديثِ فليأتِ مِن جانبٍ آخرَ، ولا يَشُقُّ بينهما.

وإذا مَشى مع الشَّيخِ اثنان فاكتنفاهُ، فقد رجَّحَ بعضُهم أنْ يكون أكبرُهما عن يمينِه، وإنْ لم يَكتنِفاهُ تقدَّمَ أكبرُهما، وتأخَّرَ أصغرُهُما.

وإذا صادفَ الشَّيخَ في طريقِه بدأَهُ بالسَّلام، ويَقصِدُهُ[٣] إنْ[٤] كان بعيدًا، ولا يناديهِ، ولا يُسلِّمُ عليه من بعيدٍ، ولا من ورائِهِ، بل يَقرُبُ مِنه، ويَتقدَّمُ عليه، ثمَّ يُسلِّمُ.

ولا يُشيرُ عليه ابتداءً بالأخذِ في طريقٍ حتّى يَستَشيرَهُ، ويتأدَّبُ[٥] فيما يَستشيرُهُ الشَّيخُ بالرَّدِّ إلى رأيه.

ولا يَقولُ لما رآهُ الشَّيخُ وكان خطأً: هذا خطأ، ولا: هذا ليس برأيٍ، بل يُحسنُ خطابَه في الرَّدِّ إلى الصَّواب، كقوله: يَظهرُ أنّ المصلحةَ في كذا، ولا يَقول: الرَّأيُ عندي كذا، وشبهَ ذلك.

---

(١) الرُّصفان جمع رصيف. انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي (٥: ١٥٤) (مادة: رصف).
(٢) في (ر): «أدخله».
(٣) بعدها في (ر): «بالسلام».
(٤) في (د) و(يه): «وإن».
(٥) في (س): «ويبادر».

الفصل الثالث
في آدابه في دروسه[1] وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة

وهو ثلاثةَ عشَرَ نوعًا:

الأوَّل: أنْ يَبتدِئ أوَّلًا بكتاب الله العزيز، فيُتقنَهُ حِفظًا، ويَجتهدَ على إتقانِ تفسيرِه وسائرِ علومِه؛ فإنّه أصلُ العلومِ وأمُّها وأهمُّها.

ثمَّ يَحفظَ مِن كلِّ فنٍّ مختَصَرًا، يَجمعُ فيه بين[2] طرفيه؛ من[3] الحديث وعلومه، والأصولَين[4]، والنّحو والتَّصريف، ولا يَشتغِلُ بذلك كلِّه عن دِراسةِ القرآنِ وتَعهُّدِهِ، وملازمةِ وِرْدٍ مِنه[5] كلَّ يومٍ أو أيّام أو جمعةٍ كما تقدَّم، وليَحذَر مِن نسيانِه بعدَ حفظِه؛ فقد وردَ فيه أحاديثُ تَزجرُ عنه[6].

ويَشتغلُ بشرحِ تلك المحفوظاتِ على المشايخ، وليَحذَر مِن الاعتمادِ في ذلك على الكُتُبِ ابتداءً، بل يَعتمِدُ في كلِّ فنٍّ مَن هو أحسنُ تعليمًا له، وأكثرُ

---

(١) في (ب) و(ف): «أدبه في درسه»، وفي (د): «آدابه في درسه».
(٢) في (ش): «من».
(٣) في (س) و(ش): «بين».
(٤) يعني أصول الفقه وأصول الدين.
(٥) بعدها في (ر): «في».
(٦) انظر ما سلف ص١٠٦.

تحقيقًا فيه، وتحصيلًا منه، وأخبرُهُم بالكتاب الذي قرأَهُ، وذلك بعد مراعاةِ الصِّفات المقدَّمةِ، مِن الدِّينِ والصَّلاح والشَّفقةِ وغيرِها.

فإن كان شَيخُه لا يَجِدُ مِن قراءَتِه وشرحِه على غيرِه معه، فلا بأسَ بذلك، وإلّا راعى قلبَ شيخِه إنْ كان أرْجاهُم نَفعًا؛ لأنّ ذلك أنفعُ له، وأجمعُ لقلبه عليه، وليَأخذ مِن الحفظِ والشَّرح ما يُمكِنُه ويُطيقُهُ حالُه، مِن غيرِ إكثارٍ يُمِلُّ، ولا تَقصيرٍ يُخِلُّ بجَودةِ التَّحصيل.

الثّاني: أنْ يَحذرَ في ابتداءِ أمرِه مِن الاشتغالِ في الاختلاف بين العُلماء أو بين النّاس مطلقًا، في العَقليّات والسَّمعيّات؛ فإنّه يُحيِّرُ الذِّهنَ، ويُدهِشُ العقلَ، بل يُتقِنُ أوَّلًا كتابًا واحدًا في فنٍّ واحدٍ، أو كُتبًا في فُنونٍ إن كان يَحتمِلُ ذلك على طريقةٍ واحدةٍ يَرتضيها له شيخُه، فإنْ كانت طريقةُ شيخِهِ نقلَ المذاهبِ والاختلاف، ولم يكن له رأيٌ واحدٌ، قال الغزاليُّ: فليَحذَر مِنهُ؛ فإنّ ضررَهُ أكثرُ مِن النّفع به(١).

وكذلك يَحذَرُ في ابتداءِ طلبِه من المطالعاتِ في تفاريقِ المصنّفات؛ فإنّه يُضيِّعُ زمانَه، ويُفرِّقُ ذهنَه، بل يُعطي الكتابَ الذي يَقرؤهُ، أو الفنّ الذي يَأخذُهُ كُلِّيَّتَهُ حتَّى يُتقِنَهُ.

وكذلك يَحذَرُ مِن التَّنقُّلِ مِن كتابٍ إلى كتابٍ مِن غيرِ موجِبٍ؛ فإنّه علامةُ الضَّجرِ وعدمِ الفلاح.

أمّا إذا تحقَّقت أهليَّتُه، وتأكَّدَت معرِفتُه(٢)، فالأولى ألّا يدعَ فنًّا مِن العلومِ

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» (١: ٥١).

(٢) في (ب): «أهليتهم... معرفتهم».

الشَّرعيّةِ إلّا نظرَ فيه، فإنْ ساعدَهُ القَدَرُ وطولُ العمرِ على التَّبحُّرِ فيه فذاك، وإلّا فقد استفادَ مِنه ما يَخرجُ به مِن عداوة الجهلِ بذلك[1] العلم.

ويَعتني مِن كلِّ فنٍّ[2] بالأهمِّ فالأهمّ، ولا يَغفُلَنّ عن العملِ الذي هو المقصودُ بالعِلم.

الثّالث: أنْ يُصَحِّحَ ما يَقرؤه قبل حفظِهِ تصحيحًا مُتقَنًا؛ إمّا على الشَّيخِ، أو على غيرِه ممَّن يُعينُه، ثمَّ يحفظَه بعد ذلك حِفظًا مُحكَمًا، ثمَّ يُكرِّرَ عليه بعد حفظِهِ تكرارًا جيِّدًا، ثمَّ يَتَعاهدَهُ في أوقاتٍ يُقرِّرُها؛ لتكرار مَواضِيهِ.

ولا يحفظُ شيئًا قبل تصحيحِه؛ لأنّه يَقعُ في التَّحريف والتَّصحيف، وقد تقدَّمَ أنّ العلمَ لا يُؤخَذُ مِن الكتب؛ فإنّه مِن أضرِّ المفاسد[3].

ويَنبغي أنْ يُحضِرَ معه الدَّواةَ والقَلَمَ والسِّكينَ للتَّصحيح، ويَضبط ما يُصحِّحُهُ لغةً وإعرابًا.

وإذا ردَّ الشَّيخُ عليه لفظةً، وظنّ أنّ ردَّه خلافُ الصَّوابِ، أو عَلِمَه، كرَّرَ اللَّفظةَ مع ما قبلَها؛ ليَتنبَّهَ لها الشَّيخُ، أو يأتي بلفظِ الصَّوابِ على سبيل الاستفهام، فربَّما وقع ذلك سهْوًا، أو سبقَ لسانٍ لغَفلةٍ، ولا يَقل: بل هي كذا، بل يَتلطَّفُ في تنبيهِ الشَّيخِ لها، فإنْ لم يَتنبَّه قال: فهل يَجوزُ فيها كذا؟ فإنْ رجعَ الشَّيخُ إلى الصَّواب فلا كلام، وإلّا تَرَكَ تحقيقَها إلى مجلسٍ آخرَ بتَلَطُّفٍ؛ لاحتمالِ أنْ يَكون الصَّوابُ مع الشَّيخ.

---

(١) في (يه): «لذلك»، والمثبت نسخة بهامشها.
(٢) في (ر): «علم».
(٣) انظر ص١٨١.

وكذلك إذا تَحقَّقَ خطأَ الشَّيخِ في جوابِ مسألةٍ لا يفوتُ تحقيقُه، ولا يَعسُرُ تداركُه[١].

فإنْ كان كذلك، كالكتابةِ في رقاع الاستفتاء، وكونِ السّائلِ غريبًا، أو بعيدَ الدّار، أو مُشنِّعًا، تعيَّن تنبيهُ الشَّيخ على ذلك في الحالِ، بإشارةٍ أو تصريحٍ؛ فإنَّ تركَ ذلك خيانةٌ للشَّيخ، فيَجبُ نُصحُهُ بتيقُّظه لذلك بما أمكنَ من تَلطُّفٍ أو غيرِه.

وإذا وقفَ على مكانٍ كَتَبَ قبالتَه: بلغَ العرضُ أو التَّصحيح.

الرّابع: أنْ يُبكِّرَ بسماعِ الحديث، ولا يُهمِلَ الاشتغالَ به وبعلومِهِ، والنّظرَ في إسنادِه ورجالِه، ومعانيهِ وأحكامِه، وفوائدِهِ ولُغَته وتواريخِهِ.

ويعتني أوَّلًا بـ«صحيحي البخاريِّ ومسلم»، ثمَّ ببقيّة الكتبِ الأعلام، والأصولِ المعتمَدةِ في هذا الشأن، كـ«موطَّأ مالك»، و«سنن» أبي داود والنّسائيِّ وابنِ ماجَهْ، و«جامع التِّرمذيِّ»، و«مسندِ الشّافعيِّ»، ولا يَنبغي أنْ يَقتصِر على أقلَّ مِن ذلك.

ونِعمَ المعينُ للفقيهِ كتاب «السُّنن الكبير» لأبي بكرٍ البيهقيِّ.

ومِن ذلك المسانيد، كـ«مسند» أحمدَ بنِ حنبل وابنِ حُميد والبزّار.

ويَعتني بمعرفةِ صحيحِ الحديثِ وحسَنِه وضعيفِه، ومُسنَدِه ومُرْسَلِه، وسائرِ أنواعه؛ فإنّه أحدُ جَناحَي العالِم بالشَّريعة، والمبيِّنُ لكثيرٍ من الجناحِ الآخر، وهو القُرآن.

ولا يَقنَعُ بمجرَّدِ السَّماع، كغالب مُحدِّثي هذا الزَّمان، بل يَعتني بالدِّرايةِ

---

(١) في (س): «تكراره».

أشدَّ مِن اعتنائِه بالرِّواية. قال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «مَن نظرَ في الحديث قَوِيَت حُجَّتُه»[١]، ولأنّ الدِّرايةَ هي المقصودُ بنقلِ الحديثِ وتبليغِه.

الخامس: إذا شرحَ محفوظاتِه المختصَرات، وضبطَ ما فيها من الإشكالاتِ والفوائدِ المهمّات[٢]، انتقَلَ إلى بحثِ المَبْسوطات، مع المطالعةِ الدّائمة، وتَعليقِ ما يَمُرُّ به أو يَسمعُه مِن الفوائدِ النّفيسةِ، والمسائلِ الدَّقيقةِ، والفروعِ الغَريبةِ، وحلِّ المشكِلات، والفروقِ بين أحكامِ المتشابِهاتِ مِن جميعِ أنواعِ العلوم، ولا يَستقِلُّ[٣] بفائدةٍ يَسمعُها، أو يتهاونُ بقاعدةٍ يَضبطُها، بل يُبادِرُ إلى تعليقِها وحفظِها.

ولتكُن همَّتُه في طلبِ العِلْمِ عاليةً، فلا يَكتفي بقليلِ العِلْمِ مع إمكانِ كثيرِه، ولا يَقنَعُ مِن إرثِ الأنبياء - صلوات الله عليهم - بيَسيرِه، ولا يُؤخِّرُ تحصيلَ فائدةٍ تمكَّنَ منها، أو يَشغَلُه الأملُ والتَّسويفُ عنها؛ فإنّ للتّأخيرِ آفات، ولأنّه إذا حصَّلها في الزَّمنِ الحاضرِ، حصَّل في الزَّمنِ الثّاني غيرَها.

ويَغتنِمُ وقتَ فراغِهِ ونشاطِه، وزمَنَ عافيتِه، وشَرْخَ شبابِه، ونباهةَ خاطرِه، وقِلّةَ شواغِلِه، قبل عوارضِ البَطالةِ، أو موانِعِ الرّياسة، قال عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه: «تفقَّهوا قبل أن تُسوَّدوا»[٤]. وقال الشّافعيُّ رضيَ الله عنه: «تَفقَّه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩: ١٢٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٨٢٢) من طريق الربيع عن الشافعي.
وأخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١: ٢٨٢)، وفي «المدخل إلى السنن» (٥١١)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٣٩) من طريق المزني.

(٢) في (س): «المهملات».

(٣) في (ظ): «ولا يقتصر».

(٤) أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٦٣٥)، وزهير بن حرب في «العلم» (٩)، وابن =

قبل أنْ ترأسَ، فإذا رَأسْتَ فلا سبيلَ إلى التَّفقُّهِ»(١).

وليَحذَر مِن نظرِه نفسَهُ بعينِ الكمال والاستغناء عن المشايخ؛ فإنّ ذلك عينُ الجهلِ وقلّةِ المعرفة، وما يَفوتُه أكثرُ ممّا حصّله، وقد تقدَّم قولُ سعيدِ بن جُبَير: «لا يَزالَ الرجل عالمًا ما تَعلَّم، فإذا تركَ التَّعلُّمَ، وظنّ أنّه قد استغنى فهو أجهلُ ما يكون»(٢).

وإذا كَمَلَت أهليَّتُه، وظَهَرت فضيلتُه، ومرَّ على أكثرِ كتب الفنِّ، أو المشهورةِ منها، بحثًا ومراجَعةً ومطالعةً، اشتغلَ بالتَّصنيف، وبالنّظرِ في مذاهب العلماء، سالكًا(٣) طريقَ الإنصافِ فيما يقعُ له من الخلاف، كما تقدَّم في أدبِ العالِم(٤).

السّادس: أنْ يَلزمَ حَلْقةَ شيخِه في التَّدريسِ والإقراء، بل وجميعَ مجالسِه إذا

= أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الأدب، باب ما جاء في طلب العلم وتعليمه، (٢٦٦٤٠)، والدارمي في مقدمة «سننه»، باب في ذهاب العلم، (٢٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٤٩)، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٧٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٥٠٨)، (٥٠٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٧٢).

وعلقه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، قبل الحديث (٧٣) بصيغة الجزم، وإسناده صحيح كما ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١: ١٦٦).

قال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤: ٢٦٠): يقول: تعلَّموا العلمَ ما دُمتم صغارًا قبل أن تصيروا سادةً رؤساء منظورًا إليكم، فإن لم تعلموا قبل ذلك استحييتم أن تعلَّموه بعد الكبر، فبقيتُم جهّالًا، تأخذونه من الأصاغر، فيُزري ذلك بكم.

(١) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» ص١٤٢، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٧٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٧٧٠).

(٢) سلف ص١٢٢.

(٣) بعدها في (س): «في».

(٤) ص١٢٧.

أمكن؛ فإنّه لا يَزيدُهُ إلّا خيرًا وتحصيلًا وأدبًا وتفضيلًا، كما قال عليٌّ رضيَ الله عنه في حديثِه المتقدّم: «ولا تَشبعْ مِن طولِ صُحبتِه؛ فإنّما هو كالنّخلةِ تنتظِرُ متى يَسقُطُ عليك مِنها شيءٌ»(١).

ويَجتهدُ على مواظَبةِ(٢) خدمتِهِ، والمسارعةِ إليها؛ فإنّ ذلك يُكْسِبُه شرفًا وتبجيلًا.

ولا يَقتصِرُ في الحَلْقةِ على سماع درسِهِ فقط إذا أمكنَه؛ فإن ذلك علامةُ قصورِ الهمّة، وعدمِ الفلاح، وبُطْء التّنبُّهِ، بل يَعتني بسائرِ الدُّروسِ المشروحة ضبطًا وتعليقًا ونقلًا إنِ احتمل ذهنُه ذلك، ويُشارِكُ أصحابَها حتّى كأنّ كلَّ درسٍ مِنها له، ولَعمري إنّ الأمر لكذلك للحريص، فإن عَجزَ عن ضبطِ جميعِها اعتنى بالأهمِّ فالأهمِّ مِنها.

ويَنبغي أنْ يَتذاكرَ مواظِبو مجلسِ الشَّيخ ما وقعَ فيه مِن الفوائد والضَّوابط والقواعِد وغيرِ ذلك، وأنْ يُعيدوا كلامَ الشَّيخ فيما بينَهم؛ فإنّ في المذاكَرةِ نَفعًا عظيمًا، ويَنبغي(٣) المذاكرةُ في ذلك عند القيامِ مِن مجلسِه، قبل تفرُّقِ أذهانِهم، وتَشتُّتِ خواطِرِهم، وشذوذِ بعض ما سَمعوهُ عن أفهامِهم، ثمَّ يَتذاكرونَهُ في بعضِ الأوقات.

قال الخطيبُ: وأفضلُ المذاكرةِ مذاكرةُ اللّيل، وكان جماعةٌ مِن السَّلفِ يَبدؤون في المذاكرةِ مِن العشاء، فربَّما لم يَقوموا حتَّى يَسمعوا أذانَ الصُّبح(٤).

---

(١) سلف ص١٩٢.

(٢) في (ر): «مواظبته في»، وفي (ش): «مواظبته».

(٣) بعدها في (س): «في».

(٤) انظر «الفقيه والمتفقه» للخطيب (٢: ٢٦٦-٢٦٧)، ونقله المصنف بواسطة «المجموع» للنووي (١: ٣٨).

فإنْ لم يَجد الطّالبُ مَن يُذاكِرُه ذاكرَ نفسَهُ بنفسِه، وكرَّرَ معنى ما سمعَهُ ولفظَهُ على قلبِه؛ ليَعلَقَ ذلك على خاطرِه، فإنّ تكرارَ المعنى على القلب كتَكرارِ اللَّفظ على اللِّسانِ، سواءً بسواء، وقلَّ أنْ يُفلِحَ مَن اقتَصَرَ على الفِكرِ والتَّعقُّلِ بحضرةِ الشَّيخ خاصّةً، ثمَّ يَترُكُه ويَقومُ ولا يُعاوِدُه[١].

السّابع: إذا حضرَ مجلسَ الشَّيخِ سَلَّمَ على الحاضرين بصوتٍ يُسمِعُ جميعَهُم، وخَصَّ الشَّيخَ بزيادةِ تحيّةٍ وإكرامٍ، وكذلك يُسلِّمُ إذا انصرفَ.

وعدَّ بعضُهم حِلَقَ العلمِ في حال أخذِهم فيه مِن المواضعِ التي لا يُسلَّمُ فيها، وهذا خلاف[٢] ما عليه العمل[٣]، لكن يَتَّجِهُ ذلك في شخصٍ واحدٍ مشتغِلٍ بحفظِ درسِه وتكرارِه.

وإذا سلَّم فلا يتخطّى رقابَ الحاضرين إلى قُربِ الشَّيخ مَن لم تكُن منزلتُه كذلك، بل يَجلِسُ حيثُ انتهى به المجلِسُ، كما وردَ في الحديث[٤]، فإنْ صرَّح له الشَّيخُ والحاضرون بالتَّقدُّمِ، أو كانت منزلته، أو كان يَعلَمُ إيثارَ الشَّيخِ والجماعةِ لذلك، فلا بأس.

---

(١) بعدها في (ظ): «والله أعلم».

(٢) بعدها في (س) و(ش): «العرف»، وفوقها في (ش) علامة أنها نسخة. وانظر التعليق التالي.

(٣) في هامش (ظ): «نسخة: العرف»، وفي (ب): «العمل والعرف»، وفي (ف): «العرف والعمل».

(٤) أخرج أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، (٤٨٢٥)، والترمذي في «سننه»، كتاب الاستئذان، (٢٧٢٥)، والنسائي في «الكبرى»، كتاب العلم، باب الجلوس حيث ينتهي به المجلس، (٥٨٦٨) من حديث جابر بن سمرة رضيَ الله عنه قال: كنا إذا أتينا النبيَّ ﷺ يَجلسُ أحدنا حيث ينتهي.

وورد في حديث هند بن أبي هالة في «الشمائل المحمدية» للترمذي (٣٣٤) في وصف رسول الله ﷺ قال: وإذا انتهى إلى قومٍ جلس حيث ينتهي به المجلس.

ولا يُقيمُ أحدًا مِن مجلسِه، أو يزاحمُهُ قصدًا، فإنْ آثرَه الغيرُ بمجلسِه[١] لم يَقبله[٢]، إلّا أنْ يكون في ذلك مصلحةٌ يَعرِفُها القومُ، ويَنتفعون بها؛ مِن بحثِهِ مع الشَّيخِ لقربِهِ مِنه، أو لكونِهِ كبيرَ السِّنِّ، أو كثيرَ الفضيلةِ والصَّلاح.

ولا يَنبغي لأحدٍ أنْ يؤثِرَ بقُربه مِن الشَّيخ، إلّا لِمَن هو أولى بذلك؛ لسِنِّه، أو علمِهِ، أو صلاحِه، بل يَحرصُ على القربِ مِن الشَّيخ إذا لم يَرتفِع في المجلسِ على مَن هو أفضلُ مِنه.

وإنْ كان الشَّيخُ في صدرِ مكانٍ، فأفضلُ الجماعةِ أحقُّ بما على يمينِه ويسارِه، وإنْ كان على طَرفِ صُفّةٍ[٣] أو نحوِها، فالمبجَّلون مع الحائطِ، ومع[٤] طرفِها قُبالتَه.

ويَنبغي للرُّفقاءِ في درسٍ واحدٍ أو دروس أنْ يَجتمِعوا في جهةٍ واحدةٍ؛ ليكون نظرُ الشَّيخ إليهم جميعًا عند الشَّرح، ولا يخصَّ بعضَهُم في ذلك دون بعض[٥].

وقد جَرتِ العادةُ في مجالس التَّدريسِ بجلوس المتميِّزينَ قُبالةَ وجه المدرِّسِ، والمبجَّلين مِن معيدٍ أو زائرٍ عن يمينِه ويسارِه[٦].

---

(١) في (س) و(ش) و(ظ) و(يه): «مجلسه».
(٢) في (س) و(ش) و(يه): «يقبل».
(٣) الصُّفّة: الظُّلّة، والبهو الواسعُ العالي السَّقف، ومكان مظلَّل في مَسجدِ المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين. انظر «المعجم الوسيط»: (صفف)، والظاهر أنها هنا مكان عالٍ يُجلَسُ عليه. والله أعلم.
(٤) في (ر): «أو مع».
(٥) من قوله: «وإن كان على طرف صفة» إلى هنا تأخر في (ب) و(د) إلى آخر الفقرة بعد قوله: «عن يمينه ويساره». ومن قوله: «وينبغي للرفقاء» إلى هنا تأخر أيضًا في (ر) إلى آخر الفقرة.
(٦) في (د): «وشماله»، وفي (ر): «أو يساره».

الثّامن: أنْ يتأدَّبَ مع حاضري مجلسِ الشَّيخ، فإنّه أدبٌ معه، واحترامٌ لمجلِسِه، وهم رفقاؤه، فيُوَقِّر أصحابَه، ويَحترِمُ(١) كبراءَهُ وأقرانَه.

ولا يَجلِسُ وَسطَ الحلْقةِ، ولا قُدّام أحدٍ إلّا لضرورةٍ كما في مجالسِ التَّحديث(٢)، ولا يُفرِّقُ بين رفيقَين، ولا بين مُتصاحِبَين(٣) إلّا بإذنِهما معًا(٤)، ولا فوق مَن هو أوْلى مِنه.

ويَنبغي للحاضرين إذا جاءَ(٥) القادِمُ أن يُرحِّبوا به، ويوسِّعوا له، ويتَفسَّحوا لأجله، ويُكرِموه بما يُكرَمُ بهِ مثلُه، وإذا فُسِحَ له في المجلس، وكان حَرِجًا، ضَمَّ نفسَهُ، ولا يتوسَّعُ، ولا يُعطي أحدًا مِنهم جنبَهُ ولا ظهرَه، ويَتحفَّظُ مِن ذلك ويَتعهَّده عند بحثِ الشَّيخِ له.

ولا يَجنَحُ(٦) على جارِه، أو يَجعلُ مرفقَه قائمًا في جنبِه، أو يخرج عن بنيةِ(٧) الحلْقةِ بتقدُّمٍ أو تأخُّر.

ولا يَتكلَّمُ في أثناءِ درسِ غيرِه أو درسِهِ بما لا يَتعلَّقُ به، أو بما يَقطعُ عليه بحثَهُ، وإذا شرعَ بعضُهم في درسٍ، فلا يَتكلَّم بكلامٍ يَتعلَّقُ بدرسٍ فَرَغَ ولا بغيرِه ممّا لا تفوتُ فائدتُه إلّا بإذنٍ مِن الشَّيخِ وصاحبِ الدَّرس.

---

(١) في (ب): «ويوقر».
(٢) في (يه): «الحديث»، والمثبت نسخة بهامشها.
(٣) في (ف): «متضامين».
(٤) في (ب): «إلا بإذنهما معًا برضاهما» وفي (د) و(ف): «إلا برضاهما معًا»، وفي (س): «إلا برضاهما بإذنهما معًا». والمثبت من (ر) و(ش) و(ظ)، وبهامش (ش): «نسخة: برضاهما».
(٥) في (يه): «جاءهم».
(٦) أي: يميل. انظر «مختار الصحاح»: (جنح).
(٧) في (د): «صف»، وفي (س) و(ش) و(يه): «بقية»، وفي (ف): «نسق صف».

وإن أساءَ بعضُ الطَّلبة[١] أدبًا على غيرِه، لم يَنهرهُ غيرُ الشيخ إلّا بإشارتِه، أو سِرًّا بينهما على سبيل النّصيحة، وإنْ أساءَ أحدٌ أدبَهُ على الشَّيخ، تَعيَّنَ على الجماعةِ انتِهارُه، ورَدُّه، والانتصارُ للشَّيخِ بقدرِ الإمكانِ؛ وفاءً لحقِّه.

ولا يُشارِكُ أحدٌ مِن الجماعةِ أحدًا في حديثِه، ولا سيَّما الشَّيخ، قال بعضُ الحكماء: مِن الأدب ألّا يُشارِكَ الرَّجلَ في حديثِه، وإنْ كان أعلمَ به منه، وأنشدَ الخطيبُ في هذا المكان:

ولا تُشارِكْ في الحديثِ أهْلَهُ   وإنْ عَرَفْـتَ فَرْعَـهُ وأصْلَهُ[٢]

فإنْ عَلِمَ إيثارَ الشَّيخِ ذلك أو المتكلِّم، فلا بأس، وقد تقدَّم ذلك مفصَّلًا في الفصلِ قبلَه[٣].

التّاسع: ألّا يَستَحييَ مِن سؤالِ ما أشكلَ عليه، وتَفهُّمِ ما لم يَتعقَّله بتَلطُّفٍ وحسنِ خطابٍ وأدبٍ وسؤال.

وقال عمرُ رضيَ الله عنه[٤]: «مَن رقَّ وجهُه[٥] رقَّ عِلمُه»[٦].

---

(١) في (س): «الحلقة».

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (٣٥٤).

(٣) انظر ص١٩٦.

(٤) في (ب): «وقد قيل» مكان: «وقال عمر رضيَ الله عنه».

(٥) يعني: استحيا. انظر «لسان العرب»: (رقق).

(٦) أخرجه الدارمي في مقدمة «سننه»، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ، (٥٦٩)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٤٠٨)، من طريق ضمرة بن ربيعة الفلسطيني عن حفص بن عمر ـ هو السكوني، كما ذكر البخاري في «التاريخ الكبير» (٢: ٣٦٦) وانظر ترجمته في «تاريخ دمشق» (١٤: ٤٣١-٤٣٢) ـ عن عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه، وهو منقطع، فحفص عاش في زمن عمر بن عبد العزيز رضيَ الله عنه.
=

وقال مجاهدٌ: «لا يَتعلَّمُ العلمَ مُستَحْيٍ ولا مستَكبِرٌ»[١].

وقالت عائشةُ رضيَ الله عنها: «رحمَ اللهُ نساءَ الأنصار؛ لم يكنِ الحياءُ يَمنعُهنّ أنْ يَتفقّهنَ في الدِّين»[٢].

وقالت أمُّ سُلَيم رضيَ الله عنها لرسولِ الله ﷺ: «إنّ اللهَ لا يَستحْيِي مِن الحقِّ، هل على المرأة مِن غُسلٍ إذا[٣] احتلَمَتْ؟»[٤].

ولبعض العرب:

وليسَ العَمَى طُولَ السُّؤالِ وإنّما ... تمامُ العَمَى طولُ السُّكوتِ على الجَهْلِ[٥]

= وروي عن ابن عمر رضيَ الله عنهما، أخرجه ابن معين في «تاريخه» (٣: ٧٤-٧٥) (٢٩٥) (رواية الدوري)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣: ١١٣)، والبيهقي في «المدخل» (٤٠٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٠٦)، وفي إسناده أبو محمد رجل من بني نصر، ولم أعرفه.
وروي عن إبراهيم النخعي وعن الشعبي، أخرجه عنهما الدارمي في «سننه» (٥٦٧)، (٥٦٨).
وروي عن سفيان الثوري، أخرجه عنه البيهقي في «المدخل» (٤٠٦).
وروي عن الحسن، أخرجه عنه الدينوري في «المجالسة» (٤: ٤٣٩) (١٦٣٦).

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٨٧)، وعلقه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، قبل الحديث (١٣٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١: ٢٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، (٣٣٢): (٦١) بلفظ: «نعم النساء نساء الأنصار...».
وعلَّقه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، قبل الحديث (١٣٠).

(٣) بعدها في (ب) و(ظ) و(يه): «هي».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، (١٣٠)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنيّ منها، (٣١٣).

(٥) سلف ص١١٨.

وقد قيل: «مَن رقَّ وجهُه عند السُّؤال، ظهرَ نقصُه عند اجتماعِ الرِّجال»(١).

ولا يسألُ عن شيءٍ في غير موضعِهِ إلّا لحاجةٍ، أو علمٍ بإيثار الشَّيخِ ذلك، وإذا سكتَ الشَّيخُ عن الجوابِ لم يلحَّ عليه، وإنْ أخطأ في الجواب فلا يردّ في الحال عليه، وقد تقدَّم(٢).

وكما لا يَنبغي للطّالب أنْ يَستحييَ من السُّؤال، فكذلك لا يَستحيي مِن قوله: لم أفهم، إذا سألَهُ الشَّيخُ؛ لأنّ ذلك يُفوِّتُ عليه مصلحتَه العاجلةَ والآجلة؛ أمّا العاجلة، فحِفظُ المسألةِ ومعرفتُها، واعتقادُ الشَّيخ فيه الصِّدقَ(٣) والورعَ والرَّغبة، والآجلة سلامتُه مِن الكذبِ والنِّفاق واعتيادُه التَّحقيق.

قال الخليلُ(٤): «منزلةُ الجهلِ بين الحياءِ والأَنَفة»(٥).

وقد تقدَّمَ في أدب العالم أنّه لا يَسأل المستَحييَ: هل فهمت؟ بل يتوصَّل إلى العلمِ بفهمِه بطرحِ المسائل(٦).

---

(١) انظر «جامع بيان العلم» (٥٥٢)، و«المجموع» (١: ٣٧). ولم يرد هذا القول في (ب)، وتقدم في (د) إلى ما قبل قول عمر رضيَ الله عنه، وفي (ر) و(ف) إلى ما بعده.

(٢) ص١٩١-١٩٢.

(٣) في (ش) و(ظ): «والصدق».

(٤) هو الإمام اللُّغويُّ النّحويُّ، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيديُّ البَصريُّ، أحدُ الأعلام، إمامُ العربيّة، وواضعُ علم العروض، كان رأسًا في لسان العرب، ديِّنًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، كبير الشأن، وهو شيخُ سيبويه والنّضر بن شميل وغيرهما، له كتاب «العين»، توفي حوالي (١٧٠ هـ). «سير أعلام النبلاء» (٧: ٤٢٩-٤٣١).

(٥) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢: ١٢٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٥٥١)، والنووي في «المجموع» (١: ٣٧).

(٦) سلف ص١٥٠.

فإن سأله فلا يَقُل: نعم، حتَّى يتَّضحَ له المعنى اتِّضاحًا جَلِيًّا؛ كي لا يَفوتَه الفهمُ، ويدرِكَهُ بكذبِه الإثمُ.

العاشر: مراعاةُ نَوبتِه، فلا يَتقدَّمُ عليها بغير رِضا مَن هي له، ورُويَ أنّ أنصاريًّا جاء إلى النبيِّ ﷺ يسأله(١)، وجاء رجلٌ مِن ثَقيفٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «يا أخا ثَقيف، إنّ الأَنْصاريَّ قد سبقَكَ بالمسألةِ، فاجلس كيما نَبدَأ بحاجةِ الأَنْصاريِّ قبلَ حاجَتِكَ»(٢).

قال الخطيبُ: يُستحَبُّ للسّابقِ أنْ يُقدِّمَ على نفسِه مَن كان غريبًا؛ لتأكُّدِ حُرمَتِهِ، ووجوبِ ذمَّته، رُوي في ذلك حديثان(٣) عن ابنِ عبّاسٍ وابنِ عُمرَ رضيَ الله عنهم(٤).

وكذلك إذا كان للمتأخِّرِ حاجةٌ ضروريّةٌ، وعَلِمَها المتقدِّمُ، أو أشارَ(٥) الشَّيخُ بتقدُّمِه، فيُستَحبُّ إيثارُه.

---

(١) في (س) و(ش) و(يه): «فسأله».

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٦٥١)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٠٣٦) من طريق سلّام بن سَلْم الطَّويل، عن زياد بنِ ميمون الفاكهي، عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه، وإسنادُه تالف بمرّة؛ سلّامُ بن سَلْم الطويل متروك، وزيادُ بن ميمون كذّاب. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢: ٨٧-٨٨، ١٦٥).
وأخرجه الخطيب في «الجامع» أيضًا من طريق ليثِ بنِ أبي سُلَيم، عن القاسم بن أبي بزّة، عن أنس، وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٣) في (ر) و(ف) و(يه): «حديثًا»، والمقصود أن الخطيب رَوى في ذلك حديثين...

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (١: ٣٠٣)، وروى حديث ابن عباس برقم (٦٥٣)، وحديث ابن عمر برقم (٦٥٤)، وفي إسناد الأخير سنانُ بن الحارث بن مُصرِّف، قال ابن حبّان في «الثقات» (٨: ٢٩٩): يروي المقاطيع.

(٥) في (ب) و(س): «إيثار» مكان: «أشار».

فإن لم يكن شيءٌ مِن ذلك ونحوِه، فقد كرهَ قومٌ الإيثارَ بالنّوبة؛ لأنّ قراءةَ العلمِ والمسارعةَ إليه قربةٌ، والإيثارُ بالقُرَبِ مكروهٌ.

ويَحصُلُ تَقدُّمُ النّوبةِ بتَقدُّم الحضورِ في مجلسِ الشَّيخ أو إلى مكانِه، ولا يسقطُ حقُّه بذهابِه إلى ما يُضطَرُّ إليه، مِن قضاءِ حاجةٍ وتجديدِ وضوءٍ، إذا عادَ بعدَه.

وإذا تساوقَ اثنان وتنازعا أُقرِعَ بينهما، أو يُقدِّمُ الشَّيخُ أحدَهما إنْ كان متبرِّعًا، وإنْ كان عليه إقراؤهما، فالقرعةُ.

ومعيدُ المدرسةِ إذا شُرِطَ عليه إقراءُ أهلِها فيها في وقتٍ، فلا يُقدِّم عليهم الغُرباءَ فيه فيها بغيرِ إذنهم.

الحادي عشر: أنْ يكون جلوسُهُ بين يدي الشَّيخِ على ما تقدَّمَ تفصيلُهُ وهيئتُه في أدبِه مع شيخِه(١)، ويُحضِرُ كتابَه الذي يَقرأُ مِنه معهُ، ويَحمِلُه بنفسِه، ولا يَضعُه حالَ القِراءةِ على الأرضِ مفتوحًا، بل يَحمِلُه بيديه، ويَقرأ مِنه، ولا يَقرأُ حتّى يَستأذِنَ الشَّيخ، ذكرهُ الخطيبُ عن جماعةٍ مِن السَّلف، وقال: يجبُ ألّا يقرأ حتّى يأذنَ له الشَّيخ(٢).

ولا يقرأ عند شُغلِ قلبِ الشَّيخِ أو مَلَلِه، أو غَمِّهِ أو غضَبِه، أو جوعِهِ أو عطَشِه، أو نُعاسِهِ أو استيفازِهِ أو تَعبِه.

وإذا رأى الشَّيخَ قد آثرَ الوقوفَ اقتصَرَ، ولا يُحوجُه إلى قولِه: اقتصِر، وإنْ لم يَظهر له ذلك، فأمَرَهُ بالاقتصار اقتصرَ حيث أمرَهُ، ولا يَستزيدُه، وإذا عيَّنَ

---

(١) سلف ص١٨٨.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» (١: ٣٠٣).

له قَدْرًا فلا يَتعدَّهُ[١]. ولا يَقولُ[٢] طالبٌ لغيرِه: اقتصر، إلّا بإشارةِ الشَّيخِ، أو ظهورِ إيثارِه ذلك.

الثّاني عشر: إذا حضرَت نوبتُه استأذنَ الشَّيخَ كما ذكرناهُ، فإذا أذِن له استعاذَ بالله مِن الشَّيطانِ الرَّجيم، ثمَّ يُسمِّي الله تعالى، ويَحمده، ويُصلِّي على النّبيِّ ﷺ، وعلى آلِهِ وصحبِه، ثمَّ يَدعو للشَّيخ ولوالدَيه، ولمشايخِه ولنفسِه، ولسائرِ المسلمين، وكذلك يَفعلُ كلَّما شَرعَ في قراءة درسٍ أو تكرارِهِ أو مطالعتِه أو مقابلتِه، في حضورِ الشَّيخِ أو في غَيبَتِه، إلّا أنّه يَخُصُّ الشَّيخَ بذكرِه في الدُّعاءِ عند قراءَته عليه.

ويَترحَّمُ على مصنِّفِ الكتابِ عند قراءَتِه، وإذا دعا الطّالبُ للشَّيخ قال: ورضي[٣] الله عنكم، أو: عن[٤] شيخِنا وإمامنا، ونحو ذلك، ويَقصِدُ به الشَّيخَ، وإذا فرغَ مِن الدَّرسِ دعا للشَّيخِ أيضًا.

ويَدعو الشَّيخُ أيضًا للطّالبِ كلَّما[٥] دعا له.

فإنْ تركَ الطّالبُ الاستفتاحَ بما ذكرناهُ جهلًا أو نسيانًا، نبَّهَه عليه، وعلَّمهُ إيّاه، وذكَّرهُ به، فإنّه مِن أهمِّ الآداب، وقد وردَ الحديثُ في ابتداءِ الأمورِ المهمّةِ بحمدِ الله تعالى[٦]، وهذا مِنها.

---

(١) في (د) و(ر) و(ف): «فلا يتعداه».
(٢) في (س): «ولا يقل».
(٣) في (س) و(ش) و(ف) و(يه): «رضيَ» دون واو.
(٤) في (س) و(ش) و(يه): «وعن».
(٥) في (ب) و(ر) و(يه): «كما».
(٦) أخرج أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، (٤٨٤٠)، والنسائي في «الكبرى»، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة، (١٠٢٥٥)، =

الثَّالث عشر: أن يُرَغِّبَ بقيَّةَ[1] الطَّلبة في التَّحصيل، ويَدُلَّهُم على مظانِّه، ويَصرِفَ عنهم الهمومَ المشغِلة عنه، ويُهَوِّنَ عليهم مُؤنَتَهُ، ويُذاكِرَهُم بما حصَّلَهُ[2] مِن الفوائدِ والقواعدِ والغرائِب، ويَنصحَهُم في الدِّين، فبذلك يَستنيرُ قلبُه، ويَزكو عملُه، ومَن بخِلَ عليهم لم يَنبُت عِلمُه، وإنْ نَبتَ[3] لم يثمِر، وقد جرَّب ذلك جماعةٌ مِن السَّلف.

ولا يَفخرُ عليهم، أو يُعجَبُ بجودةِ ذِهْنِه، بل يَحمَدُ الله تعالى على ذلك، ويَستزيدُه مِنه بدوامِ شُكرِهِ.

= وابن ماجَهْ، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمدُ لله فهو أجذم»، وفي رواية النَّسائيِّ وابن ماجَهْ: «أقطع»، وإسنادُه ضعيف؛ لضعفِ قُرَّةَ بن عبد الرحمن بن حَيْويل. انظر «ميزان الاعتدال» (٣: ٣٨٥-٣٨٦)، ولاضطرابه. وانظر تتمّة تخريجه والكلام عنه في «مسند أحمد» (٨٧١٢).

(١) لفظ: «بقية» من (س).

(٢) في (يه): «حصل له».

(٣) في (د) و(ر) و(ظ) و(ف) و(يه): «لم يثبت... وإن ثبت». ولم تُنقط في (ب).

الباب الرّابع

في الأدب[1] مع الكتب التي هي آلة العلم، وما يتعلق بتصحيحها وضبطها، وحملها ووضعها، وشرائها وعاريتها، ونسخها، وغير ذلك

وفيه أحدَ عشرَ نوعًا:

الأوّل: يَنبغي لطالبِ العلمِ أنْ يَعتَنيَ بتَحصيلِ الكُتُبِ المحتاجِ إليها ما أمكنَهُ شراءً، وإلّا فإجارةً أو عاريّةً؛ لأنّها آلةُ التَّحصيلِ.

ولا يَجعلُ تحصيلَها وكثرتَها حظَّه مِن العِلْم، وجمْعَها نصيبَهُ مِن الفهم، كما يَفعلُهُ كثيرٌ مِن المنتَحِلين الفقهَ والحديثَ، وقد أحسن القائلُ:

إذا لـم تكُـنْ حافظًـا واعيًا   فجَمْعُكَ للكُتْـبِ لا يَنفَعُ[2]

---

(١) في (ب): «آدابه».

(٢) البيت لمحمد بن يَسير. انظر كتاب «الحيوان» للجاحظ (١: ٥٩)، و«روضة العقلاء» لابن حبان ص٩٥، و«المحدث الفاصل» للرامهرمزي ص٣٧٨، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٣٧٦)، و«الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (١٧٦٢)، (١٧٦٣).

وتحرَّف اسمُ الشاعر في «روضة العقلاء»، و«المحدث الفاصل»، ومطبوع «جامع بيان العلم»، وطبعة الدكتور عجاج الخطيب من «الجامع لأخلاق الراوي» (١٨٢٥)، (١٨٢٦) إلى: محمد بن بشير. وانظر ترجمة الشاعر في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢: ٨٧٩)، وانظر أيضًا «تلخيص المتشابه» للخطيب (١: ٣١٤)، و«تبصير المنتبه» لابن حجر (١: ١٥٦). =

وإذا أمكنَ تَحصيلُها شِراءً[١] لم يَشتغِل بنَسخِها، ولا يَنبغي أن يشتغلَ بدوام النّسخِ، إلّا فيما يَتعذَّرُ عليه تحصيلُه؛ لعَدَمِ ثمنِهِ أو أجرةِ استنساخِه.

ولا يَهتمُّ المشتغِلُ بالمبالغة في تحسينِ الخَطِّ، وإنّما يَهتَمُّ بصحيحِه وتَصحيحه.

ولا يَستعيرُ كتابًا مع إمكانِ شرائِه أو إجارتِه.

الثّاني: يُستحَبُّ إعارةُ الكتبِ لمَن لا ضَررَ عليه فيها ممَّن لا ضررَ منه بها، وكَرِهَ عاريَّتها قومٌ، والأوَّل أولى؛ لما فيه مِن الإعانة على العِلم، مع ما في مُطلَق العاريّةِ مِن الفضلِ والأجر.

قال رجلٌ لأبي العتاهية[٢]: أعِرني كتابَك، فقال: إنِّي أكرهُ ذلك، فقال: أما علمتَ أنّ المكارِمَ موصولةٌ بالمكارِه؟ فأعارَهُ[٣].

وكتب الشّافعيُّ إلى محمَّدِ بنِ الحسن:

يـا ذا الذي لمْ تَـرَ عَيْـ ـنُ مَـنْ رآهُ مِثلَـهُ
العِلـمُ يَأبـى أهلُـهُ أنْ يَمنعـوهُ أهلَـهُ[٤]

= ووقع في هامش (ب) ما نصه: «بعده:
فتنطِقُ بالجهلِ في مَجلِسٍ وعِلْمُكَ في البيتِ مُستودَعُ»
وكذا وقع في (يه)، لكن فيه: «وتحضر» بدل: «فتنطق».

(١) في (ف) و(يه): «بشراء».

(٢) هو رأسُ الشُّعراء، الأديب الصّالحُ، إسماعيلُ بن قاسم بن سويد العَنَزي مولاهم، الكوفي، تنسَّك بأَخَرةٍ، وقال في المواعظِ والزُّهد فأجاد، وتوفّي سنة (٢١١)، وقيل: سنة (٢١٣هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠: ١٩٥-١٩٨).

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٧٩)، والسمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» ص١٧٥.

(٤) انظر الخبر في «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٨٦)، «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٦٠٤).

ويَنبغي للمستعيرِ أنْ يَشكُر للمعيرِ ذلك، ويَجزيَهُ خيرًا، ولا يُطيلَ مُقامَه عنده مِن غير حاجةٍ، بل يَرُدُّهُ إذا قَضى حاجتَهُ، ولا يَحبِسُهُ إذا طَلَبهُ المالك، أو استَغنى عنه.

ولا يَجوزُ أنْ يُصلِحَهُ بغيرِ إذن صاحبِه، ولا يُحشِّيَهُ، ولا يَكتبَ شيئًا في بياضِ فواتِحِه أو خواتمه، إلّا إذا علِمَ رضا صاحبِه، وهو كما يكتبُه المحدِّثُ على جزءٍ سمِعَهُ أو كتبَه.

ولا يُسَوِّدُهُ، ولا يُعيرُهُ غيرَه، ولا يُودِعُهُ لغيرِ ضرورةٍ، حيث يجوزُ شرعًا.

ولا يَنسخُ منه بغير إذْنِ صاحبِه[1]، فإنْ كان الكتابُ وقفًا على مَن يَنتفِعُ به غيرَ معيَّنٍ، فلا بأسَ بالنّسخِ مِنه مع الاحتياط، ولا بإصلاحِهِ ممَّن هو أهلٌ لذلك، وحَسُنَ أنْ يَستأذِنَ النّاظِرَ فيه، وإذا نسخَ مِنه بإذنِ صاحبِه أو ناظِرِه[2]، فلا يَكتُبُ منه والقِرطاسُ في بطنِه، أو على كتابَتِه، ولا يَضعُ المَحْبَرةَ عليه، ولا يَمُرُّ بالقلمِ الممدودِ فوق كتابته. وأنشدَ بعضُهم:

أيُّها المستَعِيرُ منِّي كتابًا ارضَ لي فيهِ ما لِنَفسِكَ تَرضى[3]

---

(١) من قوله: «ولا يحشيه ولا يكتب» إلى هنا ليس في (س).

(٢) في (ب): «أو بأمره» مكان: «أو ناظره».

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٨٨)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢ : ٥٤٦) للجاحظ، وأخرجه السمعاني في «أدب الإملاء» ص١٧٦ من إنشاد الحسن بن علي لبعضهم، وبعده:

لا تَرَى ردَّ ما أعرتُك نَفلًا وتَرَى ردَّ ما استعرتُكَ فَرْضا

ووقع في هامش (يه) ما نصه: «قبل هذا البيت:

فلَقَدْ أحسنَ الذي قال قِدْمًا بيتَ شعرٍ كأنه سيفُ منضا»

وأنشدَ[١] في إعارةِ الكتبِ ومَنْعِها قطعًا كثيرةً، لا يَحتمِلُها هذا المختصر.

الثّالث: إذا نسخَ مِن الكتابِ، أو طالعَهُ، فلا يَضعْهُ على الأرضِ مفروشًا منشورًا، بل يَجعَله بين كتابَين، أو شيئَين، أو كُرسيِّ الكُتُبِ المعروف؛ كي لا يُسرِعَ تقطيعُ حَبْكه[٢].

وإذا وضعَها في مكانٍ مصفوفةً، فليَكن على كُرسيٍّ، أو تخت[٣] خشبٍ، أو نحوه، والأوْلَى أنْ يكون بينه وبين الأرضِ خلوٌّ، ولا يضعُها على الأرضِ؛ كي لا تتندَّى أو تَبلى.

وإذا وضعَها على خشبٍ أو نحوِهِ، جعلَ فوقَه وتحتَها[٤] ما يَمنعُ تآكلَ

---

(١) يعني - والله أعلم - الخطيبَ البغدادي، انظر ما ذكره في «الجامع لأخلاق الراوي» (١: ٢٤٤-٢٤٧).

(٢) **قال عبد الإله**: كان شيخنا يتعامل مع الكتاب تعاملًا رقيقًا، وكان يأمر طلابه بذلك، فكان ينهاهم أن يفتحوا كتبهم فتحًا مبالغًا فيه، قد يؤدي إلى تفكك أوراقها، وكان ينهاهم عن إزالة الغبار عن كتبهم بضربها، بل كان يأمرهم أن يمسحوا الغبار عنها، وكان ينقل عن الشيخ صالح السعد الشافعي رحمه الله (١٢٧٥-١٣٧٠هـ) أنه رأى رجلًا يضرب كتابًا ليزيل الغبار عنه، فقال له: ما الذي أوجب على الكتاب حد الجلد؟! وكان ينهاهم أن يبللوا أصابعهم بريقهم لتيسير تصفّح أوراقها، بل كان لا يرضى لأحدهم أن يقول: ضع الكتاب، بل يأمرهم أن يحسنوا اختيار ألفاظهم، بأن يقولوا: ارفع الكتاب. وكان يخص كتاب الله بمزيد من المبالغة في الإكرام والتعظيم، بل بلغ من احترام شيخنا لكتب العلم أنه كان ينزعج إذا وقعت فيها أخطاء مطبعية، تستلزِم شطب الكلمة أو العبارة بالقلم، فلما اكتشف أحد طلابه طريقة لحك الخطأ حكًّا رقيقًا، ثم تصحيحه بدون شطب، فرِح فرحًا واضحًا، وصار يسمي تلميذه بالطبيب الجراح.

(٣) في (ب) و(د) و(ر) و(س) و(ف) و(يه): «تحت»، والمثبت من (ش) و(ظ). والتَّخت: مكان مرتفع للجلوس أو النَّوم، أو وعاء تُصانُ فيه الثِّياب. «المعجم الوجيز»: (تخت).

(٤) في (ب) و(س) و(ش): «فوقها وتحتها»، وفي (ر): «فوقها أو تحتها»، والمثبت من (د) و(ظ) و(ف).

جلودِها به، وكذلك يَجعلُ بينها وبين ما يُصادِفُها أو يُسنِدها مِن حائطٍ أو غيرِه.

ويُراعي الأدبَ في وضْعِ الكُتُبِ باعتبارِ علومِها وشرفِها ومصنِّفِيها(١) وجلالَتِهم، فيَضعُ الأشرفَ أعلى الكُلِّ، ثمَّ يُراعي التَّدريجَ، فإنْ كان فيها المصحفُ الكريمُ، جعلَه أعلى الكُلِّ، والأولى أنْ يكون في خريطةٍ ذاتِ عُرْوةٍ، في مِسْمارٍ أو وَتِدٍ، في حائطٍ طاهرٍ نظيفٍ، في صدرِ المجلس، ثمَّ كُتُبَ الحديثِ الصِّرف، كـ«صحيح مسلم»، ثمَّ تفسيرَ القرآن، ثمَّ تفسيرَ الحديث، ثمَّ أصولَ الدِّين، ثمَّ أصولَ الفقهِ، ثمَّ الفقهَ، ثمَّ النَّحْوَ والتَّصريفَ(٢)، ثمَّ أشعارَ العربِ، ثمَّ العَروض(٣).

فإن استوى كتابان في فنٍّ أُعلِيَ أكثرُها قرآنًا أو حديثًا، فإنِ استوَيا فبجلالةِ المصنِّفِ، فإنِ استوَيا فأقدمهما(٤) كتابةً، وأكثرهما وقوعًا في أيدي العلماءِ والصَّالحين، فإنِ استوَيا فأصحُّهما.

ويَنبغي أنْ يَكتُبَ اسمَ الكتاب عليه في جانبِ آخرِ الصَّفحاتِ مِن أسفل، ويجعلَ رؤوسَ حروفِ هذه التَّرجمة إلى الغاشيةِ(٥) التي مِن جانبِ البسمَلةِ، وفائدةُ هذه التَّرجمة معرفةُ الكتابِ، وتيسيرُ(٦) إخراجِه مِن بين الكتبِ، وإذا وُضِعَ الكتابُ على أرضٍ أو تختٍ، فلتَكنِ الغاشيةُ التي مِن جهةِ البَسْمَلةِ وأوَّلِ الكتاب إلى فوق.

---

(١) في (ب) و(د) و(ر): «ومصنفها».
(٢) في (ب) و(يه): «ثم التصريف».
(٣) من قوله: «فإن كان فيها المصحف الكريم» إلى هنا ليس في (د).
(٤) في (س): «فبأقدمهما».
(٥) في (ب) و(ف): «الحاشية» في هذا الموضع وما بعده. والغاشية هنا: غلاف الكتاب.
(٦) في (ر) و(س) و(ف): «وتيسر».

ولا يُكثر وضْعَ الرّدّة في أثنائه؛ كي لا يُسرع تكسُّرها(١).

ولا يَضعُ ذواتِ القطعِ الكبير فوق ذواتِ(٢) الصَّغير؛ كي لا يَكثُرَ تساقطُها.

ولا يجعلُ الكتابَ خزانةً لكراريسَ أو غيرِها، ولا مِخَدّةً، ولا مِرْوَحةً، ولا مكبسًا(٣)، ولا مسندًا، ولا مُتَّكَأً، ولا مَقْتَلةً للبَقِّ(٤) وغيرِه، لا سيَّما في الوَرَق؛ فهو على الورقِ أشدُّ(٥).

ولا يَطوي حاشيةَ الوَرقةِ، أو زاويَتها، ولا يُعلِّمُ بعودٍ، أو شيءٍ جافٍّ، بل بورقةٍ أو نحوها، وإذا ظفرَ(٦) فلا يكبس ظفرَهُ قويًّا.

الرّابع: إذا استعارَ كتابًا فيَنبغي له أنْ يَتفقَّدَهُ عند إرادةِ أخذِهِ وردِّه.

وإذا اشترى كتابًا تعهَّد أوَّلَهُ وآخرَهُ ووسَطَهُ، وترتيبَ أبوابِه، وكراريسَهُ، وتَصفَّح أوراقَهُ، واعتبَرَ صحَّتَهُ(٧)، وممّا يُغلِّبُ على الظَّنِّ صحَّتَهُ إذا ضاقَ

---

(١) في (ظ): «بكسرها».

(٢) بعدها في (د): «القطع».

(٣) في (س): «مكنسًا»، وفي (ف): «مكيسًا»، وليست في (ب).

(٤) في (ب): «مقيلة للنوم».

(٥) في (ب) و(ف): «وعلى الورق أشد»، وفي (د) و(يه): «لأنه أشد»، بدل: «فهو على الورق أشد».

(٦) يقال: ظَفَر وظفَّر، إذا غرز ظفره في وجهه. انظر «القاموس»: (ظفر).

(٧) وفي عصرنا هذا لا بدَّ أيضًا من التروّي عند شراء الكتب؛ لكثرةِ الطبعات التّجاريّة، التي تَعتمدُ على جمال المظهرِ الخارجيّ، دون أدنى عنايةٍ بتصحيح الكتاب وتدقيقه، فلا بدَّ لطالب العلم مِن النّظر في مقدّمة الكتاب، وما اعتمدَه محقّقه من نسخٍ خطيّةٍ، وطريقة عمله فيه، وفهارسه، ويستأنسُ مع ذلك بسؤالِ مَن له خبرة مِن الشُّيوخ والطَّلبة ممَّن قرأ الكتاب، ودرسه أو درَّسه، وبعضِ الكتبيين الثّقات، وقد اشتهرت بعض دور الطّباعة بنشر =

الزَّمانُ عن تفتيشِه ما قالَهُ الشَّافعيُّ رضيَ الله عنه، قال: «إذا رأيتَ الكتابَ فيه إلحاقٌ وإصلاحٌ، فاشْهَدْ له بالصِّحَّة»[١]. وقال بعضُهم: «لا يُضيءُ الكتابُ حتَّى يُظلِمَ»، يريدُ إصلاحَه[٢].

الخامس: إذا نسخَ شيئًا مِن كتب العلومِ الشَّرعيَّةِ، فينبغي أن يكون على طهارةٍ، مستَقبِلَ القبلةِ، طاهرَ البدَنِ والثِّيابِ، بحِبْرٍ طاهرٍ.

ويبتدِئ كلَّ كتابٍ بكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإنْ كان الكتابُ مبدوءًا فيه بخُطبةٍ تتضمَّن حمدَ الله تعالى، والصَّلاةَ على رسولِه ﷺ، كتبَها بعد البسملةِ، وإلَّا كتبَ هو ذلك بعدها، ثمَّ كتبَ ما في الكتاب.

وكذلك يَفعلُ في ختمِ الكتاب، أو آخر كلِّ جزءٍ مِنه بعدما يَكتب: آخر الجزءِ الأوَّل أو الثَّاني مثلًا، ويَتلوهُ كذا وكذا، إنْ لم يكن كَمُلَ[٣] الكتاب، ويَكتُب إذا كَمُل: تمَّ الكتابُ الفلانيُّ، ففي ذلك فوائدُ كثيرةٌ.

وكلَّما كتبَ اسمَ الله تعالى أتبعَه بالتَّعظيم، مثل: تعالى، أو: سبحانَهُ، أو: عزَّ وجلَّ، أو: تقدَّسَ، ونحو ذلك.

وكلَّما كتبَ اسمَ النَّبيِّ ﷺ، كتبَ بعدَه الصَّلاة عليه والسَّلام، ويُصلِّي هو عليهِ بلسانه أيضًا.

= الكتب المدقَّقة المصحَّحة، كما اشتُهرت دور أخرى بنشرِ الغثِّ والسَّمين، فلا بدَّ للطَّالب من الانتباه والحذر، والله سبحانه الموفق. وانظر ما كتبه الدكتور علي بن محمد العمران من نصائح بهذا الخصوص في كتابه «اقرأ وارق» ص١٦٣-١٦٦.

(١) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ٣٦)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٩١).

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٨٢)، (٥٨٣) من قول أبي زيد النَّحْويّ.

(٣) في (ر): «تم».

وجَرَت عادةُ السَّلفِ والخلفِ بكتابة: (ﷺ)، ولعلَّ ذلك لقصْدِ موافقة الأمرِ في الكتابِ العزيز في قوله سبحانه وتعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وفيه بحثٌ يَطولُ هاهنا.

ولا يَختَصِرُ الصَّلاةَ في الكتابة، ولو وقعَت في السَّطرِ مِرارًا كما يَفعلُ بعضُ المحرومين المتخلِّفين، فيكتب: صلع، أو: صلم، أو: صلسلم[١]، وكلُّ ذلك غير ليِّقٍ[٢] بحقِّه ﷺ، وقد وردَ في كتابة الصَّلاةِ بكمالِها وتركِ اختصارِها آثارٌ كثيرةٌ[٣].

وإذا مرَّ بذكر الصَّحابيِّ لا سيَّما الأكابرِ مِنهم، كتب: رضيَ الله عنه، ولا يكتبُ الصَّلاةَ والسَّلامَ لأحدٍ غيرِ الأنبياء والملائكة إلّا تبعًا لهم[٤]، وكلَّما مرَّ

---

(١) في (ر): «صلعم»، وفي (يه): «صلعكم».

(٢) في (ب) و(ف) و(يه): «لائق».

(٣) منها ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٣٥) وغيره من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلّى عليَّ في كتابٍ لم تزل الملائكةُ تَستَغفِرُ له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (١: ١٣٧): فيه بِشرُ بنُ عبيد الدّارسيّ، كذَّبه الأزدي وغيره. اهـ. وذكر الذهبي في ترجمته في «ميزان الاعتدال» (١: ٣٠١) هذا الحديث مِن منكراته، وقال: وهذا موضوع. اهـ. وكذا ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٥٢).

قال السيوطي في «تدريب الراوي» (٢: ١٩): هذا الحديثُ وإن كان ضعيفًا فهو ممّا يَحسُن إيرادُه في هذا المعنى، ولا يُلتفَتُ إلى ذكرِ ابنِ الجوزيِّ له في «الموضوعات»؛ فإنَّ له طرقًا تُخرِجه عن الوضع، وتَقتضي أنّ له أصلًا في الجملة. اهـ.

وذكرهُ المنذريُّ في «الترغيب والترهيب» (١: ٦٢)، وقال: رواه الطبرانيُّ وغيره، ورُوي من كلام جعفر بن محمد موقوفًا عليه، وهو أشبه.

(٤) قوله: «والملائكة إلا تبعًا لهم» من (س).

بذكر أحدٍ مِن السَّلف فعلَ ذلك، أو كتبَ: رحمه الله، ولا سيَّما الأئمَّةُ الأعلامُ وهداةُ الإسلام.

السّادس: يَنبغي أنْ يَتجنَّبَ الكتابةَ الدَّقيقةَ في النّسخ؛ فإنّ الخطَّ علامةٌ، فأبْيَنُهُ أحسَنُه[١]، وكان بعضُ السَّلف إذا رأى خطًّا دقيقًا قال: هذا خطُّ مَن لا يوقِنُ بالخَلَفِ مِن الله تعالى[٢].

وقال بعضهم: اكتُب ما يَنفعُك وقت حاجَتِك إليه، ولا تكتُب ما لا تَنتفِع به وقتَ الحاجة[٣].

والمرادُ وقتَ الكِبَرِ وضعفِ البصر، وقد يَقصِدُ بعض السَّفّارةِ بالكتابةِ الدَّقيقةِ خفّةَ المحمل، وهذا وإنْ كان قصدًا صحيحًا، إلّا أنّ المصلحةَ الفائتةَ بهِ في آخرِ الأمر[٤] أعظمُ مِن المصلحة الحاصلةِ بخفّةِ الحملِ.

والكتابةُ بالحِبْر أولى مِن المِداد؛ لأنّه أثبتُ.

قالوا: ولا يكون القلمُ صُلْبًا جدًّا، فيَمنعَ[٥] سرعةَ الجريِ، ولا رَخوًا، فيُسرِعِ إليه الحَفى[٦].

---

(١) قوله: «إن الخطَّ علامة...» هو مرويٌّ عن عليِّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه، أخرجه عنه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٣٦).

(٢) انظر «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٣٨).

(٣) في (س): «ينفعك وقت حاجتك إليه» بدل: «تنتفع به وقت الحاجة». وأخرج الخطيب في «الجامع» (٥٣٧) نحوه من قول الإمام أحمد رحمه الله.

(٤) في (ب): «العمر».

(٥) في (ب): «فيمتنع».

(٦) حفي من كثرة المشي، أي: رقَّت قدمُه أو حافره، فإنّه حَفٍ بيّنُ الحفى. والحَفاء: هو أن يمشي بلا خفٍّ ولا نعل. انظر «الصحاح» للجوهري: (حفا). وانظر «الجامع لأخلاق الراوي» (١: ٢٥٤).

قال بعضُهم: إذا أردتَ أن تجوِّدَ خطَّكَ فأَطِلْ جَلْفَتَكَ[١]، وأَسْمِنْها، وحرِّف قَطَّتَك[٢] وأيمِنْها[٣].

ولتَكن السِّكِّينُ حادّةً جدًّا لبراية الأقلام وكشطِ الورقِ خاصّةً، ولا تُستعمَلُ في غير ذلك، وليَكن ما يُقَطُّ عليه القلمُ صُلبًا جدًّا، وهم يَحمَدونَ القَصَبَ الفارسيَّ اليابِسَ جدًّا، والآبنوسَ[٤] الصُّلبَ الصَّقل.

السّابع: إذا صَحَّحَ الكتابَ بالمقابلةِ على أصلِه الصَّحيح، أو على شيخ، فيَنبغي له أنْ يَشكُلَ المُشكِلَ، ويُعْجِم المُستَعْجِم[٥]، ويَضبِطَ المُلْتَبِسَ، ويَتفقَّدَ مَواضِعَ التَّصحيفِ[٦].

وإذا احتاجَ[٧] ضبطُ ما في متنِ الكتاب إلى ضبطِهِ في الحاشية وبيانِه، فَعَلَ، وكتبَ عليه: (**بيانًا**)، وكذا إنِ احتاجَ إلى ضبطِهِ مبسوطًا في الحاشيةِ وبيان تفصيله، مثل أن يكونَ في المتنِ اسمُ: حريز، فيقولُ في الحاشية: هو

---

(١) قال الأخفش (والخبر مروي من طريقه في «تاريخ بغداد»): قوله: جلفتك: أراد فتحةَ رأس القلم. اهـ. وقال الفيروز آبادي في «القاموس»: (جلف): هو ما بين مَبْراهُ إلى سِنّتِه.

(٢) تقول: قَطَطْتُ القلمَ أَقُطُّهُ قَطًّا، إذا قطعتَ سِنَّهُ، والأصلُ في القَطِّ: القَطعُ. انظر «رسالة في الخط والقلم» لابن قتيبة ص١٦١ (ضمن مجلة المورد العراقية مج ١٩، ع١).
وقال الفيومي في «المصباح المنير»: (قطط): أي: قطعت رأسه عرضًا في بريه.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦: ٤٦٣)، ومن طريق أخرى في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٢١) عن عبد الحميد بن يحيى الكاتب.

(٤) هو شجر يَنْبتُ في الحبشة والهند، خشبُه أسود صلب، ويُصنع مِنه بعض الأدوات والأواني والأثاث. «المعجم الوسيط».

(٥) في (ب): «المعجم».

(٦) في (ر): «التصحيح».

(٧) بعدها في (ظ): «إلى».

بالحاءِ المهملةِ، وراءٍ بعدَها، وبالياء الخاتمة، بعدها زاي، أو: هو بالجيم، والياء الخاتمةِ بين راءين مهملَتين، وشبه ذلك.

وقد جرتِ العادةُ في الكتابةِ بضبطِ الحروفِ المعجَمة بالنَّقْطِ، وأمّا المهملةُ فمِنهم مَن يَجعلُ الإهمالَ علامةً، ومِنهم مَن ضبطَهُ بعلاماتٍ تَدلُّ عليه، من قلبِ النَّقطِ، أو حكايةِ المِثْلِ، أو بشكلةٍ صغيرةٍ كالهلال، وغيرِ ذلك.

ويَنبغي أن يَكتبَ على ما صحَّحه وضبطَهُ في الكتابِ، وهو في محلٍّ شكٍّ عندَ مطالعَتِهِ، أو تَطرُّق احتمالٍ: (صح) صغيرة، ويكتبَ فوقَ ما وقعَ في التَّصنيفِ أو في النّسخ وهو خطأ: (كذا) صغيرةً، ويَكتبَ في الحاشية: (صوابُهُ كذا)، إن كان يتحقَّقُه، وإلّا فيُعَلِّمُ عليه ضَبّةً، وهي صورةُ رأسِ صاد، تُكتب فوق الكتابةِ غيرَ متَّصلةٍ بها، فإذا تَحقَّقهُ بعد ذلك، وكان المكتوبُ صوابًا، زاد تلك الصّاد حاءً، فتَصيرُ: (صح)، وإلّا كتبَ الصَّوابَ في الحاشيةِ كما تَقدَّمَ.

وإذا وقعَ في النُّسخة[1] زيادةٌ، فإن كانَت كلمةً واحدةً، فله أنْ يَكتبَ عليها: (لا)، وأنْ يَضرِبَ عليها، وإن كانَت أكثرَ مِن ذلك، ككلماتٍ، أو سطرٍ، أو أسطر، فإن شاءَ كتب فوق أوَّلِها: (من)، أو كتب: (لا)، وعلى آخرِها: (إلى)، ومعناه: مِن هُنا ساقطٌ إلى هنا، وإن شاء ضربَ على الجميع، بأن يَخُطَّ عليه خطًّا دقيقًا يَحصُلُ به المقصود، ولا يُسوِّدُ الورقَ، ومِنهم مَن يَجعلُ مكانَ الخطِّ نُقَطًا متتاليةً.

---

(١) في (ب) و(ف): «النسخ»، وليست في (س)، ولم يظهر طرف الورقة في (ش) عند تصويرها.

وإذا تكرَّرَتِ الكلمةُ سَهوًا مِن الكاتب، ضربَ على الثّانيةِ؛ لوقوعِ الأولى صوابًا في موضِعِها، إلّا إذا كانتِ الأولى آخرَ سطرٍ، فإنّ[١] الضَّربَ عليها أولى؛ صيانةً لأَوّلِ السَّطرِ، إلّا إذا كانت مضافًا إليها، فالضَّربُ على الثّانيةِ أَوْلى؛ لاتِّصال الأُولى بالمُضاف.

الثّامن: إذا أرادَ تَخريجَ شيءٍ في الحاشية، ويُسمَّى اللَّحَق، بفتحِ الحاء، عَلَّمَ له في موضعِهِ بخطٍّ مُنعَطِفٍ قليلًا إلى جهة التَّخريجِ، وجهةُ اليمينِ أَوْلى إن أمكَنَ، ثمَّ يَكتبُ التَّخريجَ مِن محاذاةِ العلامةِ صاعدًا إلى أعلى الورقة، لا نازِلًا إلى أسفلِها؛ لاحتمال تخريجٍ آخرَ بعدَهُ، ويَجعلُ رؤوسَ الحروفِ إلى جهةِ اليمين، سواءٌ كان في جهةِ يمينِ الكتابة[٢] أو يسارِها.

ويَنبغي أنْ يَحسُبَ السّاقطَ وما يَجيءُ مِنه مِن الأسطرِ قبلَ أنْ يكتُبَها، فإن كان سطرين أو أكثرَ، جعلَ آخرَ سطرٍ منها يلي[٣] الكتابةَ[٤]، إنْ كان التَّخريجُ عن يمينِها، وإنْ كان التَّخريجُ عن يسارِها، جعلَ أوَّلَ الأسطرِ ممّا يليها.

ولا يوصِلُ الكتابةَ والأسطرَ بحاشيةِ الورقة، بل يَدَعُ مِقدارًا يَحتمِلُ الحكَّ عند حاجَتِه مرّات[٥]، ثمَّ يكتُبُ في آخرِ التَّخريج: **(صح)**، وبعضُهم يَكتبُ بعد (صح) الكلمةَ التي تلي آخرَ التخريج في متن الكتاب؛ علامةً على اتِّصالِ الكلام.

---

(١) في (ر): «كان».
(٢) في (ب): «الكاتب».
(٣) في (س) و(ش) و(يه): «إلى».
(٤) وتكون الكتابة من أعلى إلى أسفل. انظر «مقدمة ابن الصلاح» ص١٩٣.
(٥) في (س) و(ش): «بمرات».

التّاسع: لا بأسَ بكتابةِ الحواشي والفوائدِ والتَّنبيهاتِ المهمّةِ على حَواشي كتابٍ يَملِكُهُ، ولا يَكتُبُ في آخرِهِ: (صح)؛ فرقًا بينه وبين التَّخريج، وبعضُهم يَكتبُ عليه: (حاشية) أو: (فائدة)، وبعضُهم يكتبُه[١] في آخرها.

ولا يَنبغي أنْ يَكتُبَ[٢] إلّا الفوائدَ المهمّةَ المتعلّقةَ بذلك الكتابِ، مثل تنبيهٍ على إشْكالٍ، أو احْتِرازٍ، أو رَمْزٍ، أو خَطَأٍ، ونحوِ ذلك، ولا يُسوِّدهُ بنقلِ المسائلِ والفروعِ الغريبةِ، ولا يُكثِرِ الحواشي كثرةً تُظلِمُ الكتابَ، أو تَضيعُ مواضعُها على طالِبِها.

ولا يَنبغي الكتابةُ بين الأسطرِ، وقد فعلَهُ بعضُهم بين الأسطرِ المفرَّقةِ بالحُمرة وغيرِها، وتركُ ذلك أولى مُطلَقًا.

العاشر: لا بأسَ بكتابةِ الأبوابِ والتَّراجمِ والفصولِ بالحُمرةِ؛ فإنّه أظهرُ في البيان، وفي فواصلِ الكلام، وكذلك لا بأسَ بالرَّمزِ به على أسماءٍ أو مذاهبَ أو أقوالٍ أو طُرُقٍ أو أنواعٍ أو لُغاتٍ أو أعدادٍ، ونحو ذلك، ومتى فعل ذلك بَيَّنَ اصطلاحَهُ في فاتحةِ الكتاب؛ ليَفهمَ الخائضُ فيه معانيَها، وقد رمزَ بالأحمرِ جماعةٌ مِن المحدِّثين والفقهاءِ والأصوليّين وغيرِهم؛ لقصدِ الاختصار.

فإنْ لم يَكن ما ذكرناهُ مِن الأبواب والفصولِ والتَّراجم بالحُمرةِ، أتى بما يُميِّزُهُ عن غيرِهِ، مِن تغليظِ القلمِ، وطُولِ المَشْقِ[٣]، واتِّحادِهِ في السَّطر[٤]، ونحو ذلك؛ ليَسهُلَ الوقوفُ عليه عند قصده.

---

(١) في (س) و(ش) و(ظ): «يكتب» وفي (ف): «لم يكتب».
(٢) في (ر): «ولا يكتب» مكان: «ولا ينبغي أن يكتب».
(٣) المشق في الكتابة: مدُّ حروفها. انظر «القاموس المحيط»: (مشق).
(٤) في (س): «واتخاذه في الأسطر»، وفي (ف): «واتخاذه في السطر».

ويَنبغي أنْ يَفصِلَ بين كلِّ كلامين بدارةٍ أو ترجمةٍ أو قلمٍ غليظٍ، ولا يوصلُ الكتابةَ كلَّها على طريقةٍ واحدةٍ؛ لما فيه مِن عُسرِ استخراجِ المقصودِ، وتضييعِ الزَّمان فيه، ولا يَفعلُ ذلك إلّا غبيٌّ جدًّا.

الحادي عشر: قالوا: الضَّربُ أولى مِن الحكِّ، لا سيَّما في كتبِ الحديث؛ لأنّ فيه تُهَمةً وجهالةً فيما كان أو كُتِب، ولأنّ زمانَهُ أكثرُ فيَضيع، وفِعْلَهُ أخطرُ، فربَّما ثقبَ الورقةَ وأفسدَ ما يَنفذ إليه فأضعفها، فإنْ كان إزالةَ نقطةٍ أو شكلةٍ ونحو ذلك، فالحكُّ أولى.

وإذا صحَّحَ الكتابَ على الشَّيخ أو في المقابلة، علَّم على موضعِ وقوفِهِ: (**بلغ**)، أو: (**بلغت**)، أو: (**بلغَ العرضُ**)، أو غيرَ ذلك ممّا يُفيدُ معناه، فإن كان ذلك في سماعِ الحديث كتبَ: (**بلغ في الميعاد الأوَّلِ**) أو (**الثّاني**) إلى آخرها، فيعيِّنُ عددَهُ.

قال الخطيبُ رحمه الله فيما إذا أصلح شيئًا: يَنشُرُ المصلَحَ بنُحاتةِ السّاجِ[1] وغيرِه مِن الخشبِ، ويتَّقي التَّتريب[2].

---

(١) السّاج: خشب يُجلَبُ مِن الهند، واحدتُه ساجة. انظر «لسان العرب» لابن منظور: (سوج).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» (١: ٢٧٨)، ونص العبارة فيه: «وينبغي كلما عارض بورقةٍ أن يَنشُرَها؛ لئلّا يَنطمِس المصلَحُ، ويَكونُ ما يَنشرُ به نُحاتة السّاجِ، أو غيرُهُ مِن الخشب، ويتَّقي استعمالَ التُّراب».

والتتريب: جعل التراب عليه. انظر «القاموس المحيط» للفيروز آبادي: (ترب).

الباب الخامس

في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب لأنها مساكنهم في الغالب

وهو أحدَ عشرَ نوعًا:

الأوّل: أنْ يَنتخِبَ لنفسِه مِن المدارس ـ بقدرِ الإمكان ـ ما كان واقِفُه أقربَ إلى الورعِ، وأبعدَ عن البِدَع، بحيث يَغلِبُ على ظنِّه أنّ المدرسةَ ووقفَها مِن جهةٍ حلال، وأنّ معلومَها إنْ تَناولَهُ مِن طيِّبِ[1] المال؛ لأنّ الحاجةَ إلى الاحتياطِ في المسكنِ كالحاجةِ إليه في المأكلِ والملبَسِ وغيرِه.

ومهما أمكنَ التَّنزُّهُ عمّا أنشأهُ الملوكُ الذين لم يُعلَم حالُهم في بنائِها ووقفِها، فهو أولى، وأمّا مَن عُلِمَ حالُه، فالإنسانُ على بيِّنةٍ مِن أمرِه، مع أنّه قلَّ أن يَخلوَ جميعُ أعوانِهم عن ظُلمٍ وعَسْف.

الثّاني: أنْ يَكون المدَرِّسُ بها ذا رِياسةٍ وفَضْلٍ، ودِيانةٍ وعَقْلٍ، ومَهابةٍ وجلالةٍ، وناموسٍ وعدالةٍ، ومحبّةٍ في الفُضلاء، وعطفٍ على الضُّعفاء، يُقرِّبُ المُحَصِّلينَ[2]، ويُرَغِّبُ المشتَغِلين، ويُبعِدُ اللعّابين، ويُنصِفُ البحّاثين، حريصًا على النّفعِ، مواظِبًا على الإفادة، وقد تَقدَّمَ سائرُ آدابه.

---

(١) في (ب): «أطيب».

(٢) في (ب) و(ظ) و(ف) و(يه): «المخلصين».

فإنْ كان لها مُعيدٌ فليَكن مِن صُلَحاءِ الفُضلاء، وفُضلاءِ الصُّلحاء، صبورًا على أخلاقِ الطَّلبة، حريصًا على فائدَتِهم وانتفاعِهم به، قائمًا بوظيفةِ أشغالِهم.

ويَنبغي للمدرِّسِ السّاكنِ بالمدرسة ألّا يُكثِرَ البروزَ والخروجَ مِن غير حاجةٍ؛ فإنّ كثرةَ ذلك تُسقِطُ حُرْمتَه مِن العيون، ويُواظِب على الصَّلاة في الجماعة فيها؛ ليَقتدي به أهلُها، ويَتعوَّدوا ذلك.

ويَنبغي أنْ يَجلِسَ كلَّ يومٍ في وقتٍ معيَّنٍ؛ ليُقابِلَ معه الجماعةُ الذين يُطالِعون دروسَهُ مِن كُتبِهم، ويُصحِّحونها، ويَضبطون مُشكِلَها ولغاتِها، واختلافَ النُّسَخِ في بعض المواضع، وأوْلاها بالصِّحّة؛ ليَكونوا في مطالعتِها على يقينٍ، فلا يَضيع فِكرُهم، ويَتعَب بالشَّكِّ فيها سِرُّهم.

ويَنبغي للمعيدِ بالمدرسةِ أنْ يقدِّمَ أشغالَ[١] أهلِها على غيرِهم في الوقتِ المُعتادِ أو المشروط، إن كان يَتناولُ معلومَ الإعادة؛ لأنّه متعَيِّنٌ عليه ما دامَ مُعيدًا، وأشغالُ غيرِهم نفلٌ أو فرضُ كفايةٍ، وأنْ يُعلِمَ المدرِّسَ أو النّاظِرَ بمَن يُرجى فلاحُه؛ ليُزادَ ما يَستعينُ به[٢] ويُشرحَ صدرُهُ، وأن يُطالبَهم بعرضِ محفوظاتِهم[٣] إنْ لم يُعَيَّن لذلك غيرُه، ويُعيدَ لهم ما توَقَّفَ فهمُه عليهم مِن دروسِ المدرِّسِ، **ولهذا سُمِّيَ معيدًا**.

وإذا شرطَ الواقفُ استعراضَ المحفوظِ كلَّ شهرٍ أو كلَّ فصْلٍ على الجميع، خَفَّفَ قدرَ العَرْضِ على مَن له أهليّةُ البَحْثِ والفِكرِ والمطالَعةِ والمُناظَرة؛

---

(١) في (ب) و(ف): «اشتغال».

(٢) من قوله: «وأشغال غيرهم نفل» إلى هنا ليس في (ب).

(٣) في (ب): «معلوماتهم».

لأنَّ الجمودَ على نفسِ المسطورِ يَشغَلُ⁽¹⁾ عن الفِكرِ الذي هو أمُّ التَّحصيلِ والتَّفقُّه.

وأمّا المبتدِئون والمُنتهيون⁽²⁾، فيُطالَبُ كلٌّ مِنهم على ما يَليقُ بحالِه وذهنِه، وقد تقدَّم سائرُ آدابِ العالِم مع الطَّلَبةِ⁽³⁾.

الثّالث: أن يَتعرَّفَ بشُروطِها؛ ليَقومَ بحقوقِها، ومهما أمكنَه التَّنزُّهُ عن معلومِ المدارسِ، فهو أولى؛ لا سيَّما في المدارسِ التي ضُيِّقَ في شروطِها، وشُدِّدَ في وظائِفِها، كما قد بُلِيَ أكثرُ فقهاءِ الزَّمان به، نسألُ الله تعالى الغِنى عنه بمنِّهِ وكرمِهِ في خيرٍ وعافية⁽⁴⁾.

فإنْ كان تَحصيلُهُ البُلغةَ يُضيِّعُ زمانَه، ويُعطِّله عن تمامِ الاشتغال⁽⁵⁾، أو لم يَكن له حِرفةٌ أُخرى يُحصِّلُ بُلْغَتَهُ وبُلْغةَ عيالِه، فلا بأسَ بالاستعانةِ بذلك بنِيّةِ التَّفرُّغِ لأخذِ العلمِ ونَفْعِ النّاسِ به، لكن يَتحرَّى القيامَ بجميعِ شروطِها، ويُحاسِبُ نفسَه على ذلك، ولا يَجِدُ في نفسِهِ إذا طُلِبَ مِنه أو وُبِّخَ⁽⁶⁾ عليه، بل يَعُدُّ ذلك نِعمةً مِن الله تعالى، ويَشكرُه عليه؛ إذ وَفَّقَ له مَن يُكَلِّفُهُ القيامَ بما يخلِّصه مِن رِبقةِ الحرامِ والإثم، **واللَّبيبُ مَن كان ذا هِمّةٍ عاليةٍ ونَفْسٍ ساميةٍ.**

---

(١) في (ش): «يغسل».

(٢) في (ب) و(س): «والمتنبهون»، وفي (ظ): «والمتنبهون»، وفي (ف): «والمنتهون»، ولم تنقط في (د) و(ش)، والمثبت من (ر).

(٣) ص١٤١ وما بعدها.

(٤) بعدها في (ب): «إنه على كل شيء قدير».

(٥) في (س): «الأشغال».

(٦) في (يه): «وبخه»، والمثبت نسخة بهامشها.

الرّابع: إذا حصَرَ الواقفُ سُكنى المدرسةِ على المرتَّبينَ بها دونَ غيرِهم، لم يسكُن فيها غيرُهم، فإن فعلَ كان عاصيًا ظالمًا بذلك، وإنْ لم يَحصُر الواقِفُ ذلك، فلا بأسَ إذا كان السّاكنُ أهلًا لها.

وإذا سكنَ في المدرسة غيرُ مرتَّبٍ بها، فليُكرِم أهلَها، ويُقدِّمهم على نفسِه فيما يَحتاجون إليه مِنها.

ويَحضر درسَها؛ لأنّه أعظمُ الشّعائرِ المقصودةِ ببنائها ووقفِها؛ لما فيه مِن القراءةِ، والدُّعاءِ للواقف، والاجتماعِ على مجلسِ الذِّكرِ، وتذاكرِ العلمِ، فإذا تركَ السّاكِنُ فيها ذلك، فقد تركَ المقصودَ ببناءِ مسكنِهِ الذي هو فيه، وذلك يُخالِفُ مقصودَ الواقفِ ظاهِرًا.

فإن لم يَحضُر، غابَ عنها وقتَ الدَّرسِ؛ لأنّ عدمَ مجالَسَتِهم مع حضورِهِ مِن غيرِ عذرٍ إساءةُ أدبٍ، وتَرفُّعٌ عليهم، واستغناءٌ عن فوائدِهم، أو استهتارٌ[1] بجماعَتِهم.

وإن[2] حضرَ فيها، فلا يَخرج في حالِ اجتماعِهم مِن بيتِهِ إلّا لضرورةٍ، ولا يَتردَّدُ إليه مع حضورِهم، ولا يَدعو إليه أحدًا، أو يُخرِجُ مِنه أحدًا.

ولا يَتمشّى في المدرسةِ، أو يَرفعُ صوتَهُ بقراءةٍ أو تكرارٍ أو بحثٍ رفعًا منكرًا، أو يُغلِقُ بابَه أو يَفتحُهُ بصوتٍ، ونحو ذلك؛ لما في ذلك كلِّه مِن إساءة الأدبِ على الحاضرين، والحمقِ عليهم.

ورأيتُ بعضَ العلماء القُضاةِ الأعيانِ الصُّلحاءِ يُشدِّدُ النّكيرَ على إنسانٍ

---

(١) في (د) و(ر) و(ف) و(يه): «واستهتار».

(٢) في (ب) و(د) و(ف) و(يه): «فإن».

فقيهٍ مرَّ في المدرسةِ وقتَ الدَّرسِ، مع أنّه كان قيّمًا بمريضٍ في المدرسة[١] قريبٍ للمدرِّسِ، وكان في حاجةٍ له.

الخامس: ألّا يَشتغلَ فيها بالمعاشرةِ والصُّحبة، أو يَرضى[٢] من سكنِها بالسِّكّةِ والخُطبة[٣]، بل يُقبِلُ على شأنِه وتحصيلِه، وما بُنيَت المدارسُ له، ويَقطعُ العِشرةَ فيها جملةً؛ لأنّها تُفسِدُ الحالَ، وتُضيِّعُ المآلَ، كما تقدَّم[٤]. واللَّبيبُ المُحَصِّلُ يَجعلُ المدرسةَ مَنْزِلًا، يَقضي وطَرَهُ مِنه، ثمّ يَرتحِلُ عنه.

فإنْ صاحَبَ مَن يُعينُهُ على تحصيلِ مقاصِدِهِ، ويُساعِدُه على تكميلِ فوائدِهِ، ويُنشِّطُهُ على زيادةِ الطَّلب، ويُخفِّضُ[٥] عنه ما يَجِدُهُ مِن الضَّجرِ والنَّصَب، ممَّن يُوثَقُ بدينِه وأمانَتِه ومكارمِ أخلاقِه في مصاحبتِه، فلا بأسَ بذلك، بل هو حسنٌ إذا كان ناصحًا له في الله تعالى[٦]، غيرَ لاعبٍ ولا لاهٍ.

وليَكن له أنَفةٌ مِن عدمِ ظهورِ الفضيلةِ مع طولِ المقامِ في المدارسِ، ومصاحبةِ الفُضلاء مِن أهلِها، وتكرُّرِ سماعِ الدُّروسِ فيها، وتَقدُّمِ غيرِه عليه بكثرة التَّحصيل.

---

(١) في (ب): «مع أنها كان فيها مريض» بدل: «مع أنه كان قيمًا بمريض في المدرسة».
(٢) في (ب) و(د): «ويرضى».
(٣) السكة: سكُّ الدَّراهم، والخُطبة: الدُّعاء للإمام، وهي من مظاهرِ الخلافة، فكانوا يقولون: لم يبق له من الخلافةِ غير الخطبة والسكة، يعني: دعاء الخطباء له على منبر الجمعة، والدَّراهم المسكوكةُ باسمه، ولا مُلكَ في الحقيقةِ له، فكأنّه يقول: إنّه يجب على طالب العلم ألّا يكتفيَ من سكن المدارس بالمظاهر، وهو بعيد عن حقيقة ما أُقيمت له المدارس. والله أعلم.
(٤) ص١٧٨.
(٥) في (ب): «ويخفف».
(٦) في (س): «ناصحًا لله».

وليُطالِبْ نفسَهُ كلَّ يـوم باستفادةِ علمٍ جديدٍ، ويُحاسِبْها على ما حصَّلتهُ فيه؛ ليَأكلَ مقرَّرَهُ فيها حلالًا؛ فإنّ المـدارِسَ وأوقافَها لم تُجعَل لمجرَّدِ المُقام والعِشرة(١)، ولا لمجرَّدِ التَّعبُّدِ بالصَّلاة والصِّيام كالخوانك(٢)، بل لتكونَ مُعِينةً على تحصيلِ العِلْمِ والتَّفرُّغ له، والتَّجرُّدِ عن الشَّواغلِ في أوطانِ الأهلِ والأقارِبِ، والعاقلُ يَعلمُ أنّ أبركَ الأيّامِ عليه يومٌ يَزدادُ فيه فضيلةً وعِلْمًا، ويَكسِبُ عدوَّهُ مِن الجِنِّ والإنسِ كَرْبًا وغمًّا.

السّادس: أنْ يُكرِمَ أهلَ المدرسةِ التي يَسكنُها؛ بإفشاءِ السَّلام، وإظهارِ المودّة والاحترام، ويَرعى(٣) لهم حقَّ الجِيرةِ والصُّحبةِ والأخوّة في الدِّينِ والحِرفةِ؛ لأنّهم أهلُ العِلْمِ وحَمَلَتُهُ وطُلّابُه، ويَتغافَلُ عن تَقصيرِهم، ويَغفِرُ زَلَلَهُم، ويَسترُ عوراتِهم، ويَشكرُ مُحسِنَهُم، ويَتجاوزُ عن مُسيئِهم.

فإنْ لم يَستَقِرَّ خاطِرُهُ؛ لسوءِ جيرتِهم وخُبثِ صفاتِهم، أو لغير ذلك، فليَرتحِلْ عنها ساعيًا في جمعِ قلبِه، واستقرارِ خاطرِه، وإذا اجتمعَ قلبُه، فلا يَنتقِلُ مِن غيرِ حاجةٍ؛ فإنّ ذلك مكروهٌ للمُبتدِئين جدًّا، وأشدُّ منه كراهيةً تنقُّلُهم من كتابٍ إلى كتابٍ، كما تقدَّم(٤)؛ فإنّه علامةٌ على الضَّجرِ واللَّعبِ وعدمِ الفلاح.

السّابع: أنْ يَختارَ لجوارِه إنْ أمكنَ أصلحَهم حالًا، وأكثرَهُم اشتغالًا، وأجودَهم طَبْعًا، وأصونَهم عِرْضًا؛ ليكون مُعينًا له على ما هو بصدَدِه. ومِن

---

(١) لفظ: «والعشرة» ليس في (س) و(ش) و(ظ) و(يه).

(٢) الخوانك: جمع خانكاه، أو خانقاه، وهو معرَّب، بقعة يَسكنُها أهل الصَّلاةِ والخير، والصوفية، قال المقريزيُّ: وقد حدثَت في الإسلام في حدود الأربع مئة، وجُعلت لمتخلّي الصُّوفيّة فيها لعبادة الله تعالى. انظر: «تاج العروس» للزبيدي: (خنق).

(٣) في (ب) و(د): «ويراعي».

(٤) قوله: «كما تقدم» ليس في (ب) و(د) و(ف)، وسلف ص٢٠٢.

الأمثال: الجارُ قبل الدّار، والرَّفيقُ قبل الطَّريق، والطِّباعُ سرّاقةٌ، ومِن دأبِ الجِنسِ التَّشبُّهُ بجنسِه.

والمساكنُ العاليةُ لمَن لا يَضعُفُ عن الصُّعود إليها أَولى بالمشتَغِلِ وأجمعُ لخاطرِه إذا كان الجيرانُ صالحين، وقد تقدَّم قولُ الخطيب: «إنّ الغُرَفَ أولى بالحِفْظ»[1].

وأما الضَّعيفُ والمتَّهم ومَن يُقصدُ للفُتيا والاشتغال عليه، فالمساكنُ السُّفليّةُ أَولى بهم.

والمراقي التي تَقرُبُ مِن الباب أو من الدِّهليز[2] أولى بالموثوقِ بهم، والمراقي الدّاخلة التي يُحتاجُ فيها إلى المرورِ بأرضِ المدرسةِ أولى بالمجهولين والمتَّهمين.

والأولى ألّا يَسكُنَ المدرسةَ وَسيمُ الوجهِ، أو صبيٌّ ليس له فيها وليٌّ فطِنٌ، وألّا يَسكُنَها نساءٌ في أمكنةٍ تمرُّ الرِّجالُ على أبوابِها، أو لها كُوًى تُشرِفُ على ساحةِ المدرسة.

ويَنبغي للفقيه ألّا يُدخِلَ إلى بَيْتِه مَنْ فيه ريبةٌ أو شرٌّ أو قلّةُ دين، ولا يَدخُل إلى بيتِ مَن فيه ريبةٌ أو قلّةُ دين[3]، ولا يُدخِلِ إليه مَن يَكرهُهُ أهلُها، أو مَن يَنقُلُ سيِّئاتِ سكّانِها، أو يَنُمُّ عليهم، أو يُوقِعُ بينَهم، أو يَشغلُهم عن تَحصيلِهم، ولا يُعاشِر فيها غيرَ أهلِها.

---

(١) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢: ٢٠٨)، وسلف ص١٧١.

(٢) الدِّهليزُ بالكسر: ما بين الباب والدّار، فارسيّ معرَّب، والجمع: الدَّهاليز. «مختار الصحاح»: (دهلز).

(٣) قوله: «ولا يدخل إلى بيت من فيه ريبة أو قلة دين» ليس في (ب) و(ر) و(ف) و(يه).

الثّامن: إذا كان سكنُهُ في مسجدِ المدرسة، أو في مكانِ الاجتماع، ومرورُه على حُصُرِهِ وفرشِهِ، فليتحفَّظ عند صعودِه إليه مِن سقوطِ شيءٍ مِن نَعليه، ولا يُقابِل بأسفلِهما القبلةَ، ولا وجوهَ النّاسِ، ولا ثيابَه، بل يَجعلُ أسفلَ إحداهما[١] إلى أسفلِ الأخرى بعد نفضِهما، ولا يُلقيها[٢] إلى الأرضِ بعنفٍ، ولا يَترُكُها[٣] في مَظِنّة مجالس النّاس والواردين إليها غالبًا، كطَرَفي الصُّفّةِ، بل يتركُها إذا تركَها[٤] في أسفلِ الوسطِ ونحوِه، ولا يضعُها تحت الحُصُرِ في المسجدِ بحيث تنكسر.

وإذا سكنَ في البيوت العُليا خَفَّفَ المشيَ والاستلقاءَ عليها ووَضْعَ ما يَثقُلُ؛ كي لا يؤذيَ مَن تحته.

وإذا اجتمعَ اثنان مِن سكان العُلوِ أو غيرِهم في أعلى الدَّرجةِ للنُّزول، بَدَرَ أصغرُهما بالنُّزول قبل الكبير، والأدبُ للمتأخِّر أنْ يَلبَثَ[٥]، ولا يُسرِعَ في النُّزول إلى أنْ يَنتهيَ المتقدِّمُ إلى آخرِ الدَّرجةِ من أسفل، فإنْ كان كبيرًا تأكَّد ذلك.

وإنِ اجتمعا في أسفلِ الدَّرجة للطُّلوعِ، تأخَّرَ أصغرُهما ليَصعدَ أكبرُهما قبلَه.

التّاسع: ألّا يَتَّخِذَ بابَ المدرسةِ مجلِسًا، بل لا يَجلِسُ فيه إذا أمكنَ إلّا

---

(١) في (ر) و(ف): «أحدهما».

(٢) في (ر) و(يه): «ولا يلقيهما».

(٣) في (ر) و(ف) و(يه): «يتركهما».

(٤) في (س) و(ف): «يتركهما إذا تركهما».

(٥) في (ب): «يثبت».

لحاجةٍ، أو في نُدْرةٍ لقَبْضٍ أو ضيقِ صدْر، ولا في دِهليزها المهتوكِ إلى الطَّريق، فقد نُهي عن الجلوس على الطُّرقات(١)، وهذا مِنها، أو في معناها، لا سيَّما إن كان ممَّن يُستَحيا مِنه، أو ممَّن هو في محلِّ تُهمةٍ أو لعب، ولأنّها في مَظِنّةِ دخولِ فقيهٍ بطعامِه وحاجتِه، فربَّما استَحيا مِن الجالس، أو تكلَّفَ سلامَه عليهم، وفي مَظِنّةِ(٢) دخولِ نساءِ مَن يَتعلَّقُ بالمدرسةِ، ويَشُقُّ عليه ذلك ويؤذيه، ولأنّ في ذلك بطالةً وتَبذُّلًا.

ولا يُكثِرُ التَّمشّيَ في ساحةِ المدرسةِ بطّالًا، مِن غير حاجةٍ إلى راحةٍ، أو رياضةٍ، أو انتظارِ أحد، ويُقلِّلُ الخروجَ والدُّخولَ ما أمكنَهُ، ويُسلِّمُ على مَن بالبابِ إذا مرَّ به.

ولا يَدخلُ مِيضأتَها(٣) العامّة عند الزِّحامِ مِن العامّة إلّا لضرورةٍ؛ لما فيه مِن التَّبذُّلِ، ويَتأنّى عندهُ، ويَطرقُ البابَ إنْ كان مردودًا طرْقًا خفيًّا(٤) ثلاثًا، ثمَّ يَفتحُه بتأنٍّ، ولا يَستجمِرُ بالحائطِ(٥) فيُنجِّسَهُ، ولا يَمسحُ يدَه المتنجِّسةَ بالحائطِ أيضًا.

العاشر: ألّا يَنظرَ في بيت أحدٍ في مرورِه مِن شُقوقِ البابِ ونحوه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ...﴾، (٦٢٢٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب اللِّباس والزِّينة، باب النَّهي عن الجلوس في الطُّرقات، (٢١٢١) من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ الله عنه.

(٢) في (ب) و(د) و(ف): «ومظنة».

(٣) في (يه): «على مياضيها»، والمثبت نسخة بهامشها.

(٤) في (ب) و(س) و(ف): «خفيفًا».

(٥) بعدها في (د) و(يه): «فيه».

يَلتفِتَ إليه إذا كان مَفتوحًا، وإنْ سَلَّمَ سَلَّم وهو مارٌّ[١] مِن غير التفاتٍ، ولا يُكثِرُ الإشارةَ إلى الطّاقاتِ، لا سيَّما إنْ كان فيهنّ نساءٌ.

ولا يَرفعُ صوتَه جدًّا في تكرارٍ، أو نداءِ أحدٍ، أو بحثٍ، ولا يُشوِّشُ على غيرِه، بل يَخفِضُهُ ما أمكَنَهُ مطلقًا، لا سيَّما بحضور المصلِّينَ، أو حضورِ[٢] أهلِ الدَّرسِ.

ويَتحفَّظُ مِن شدّةِ وقعِ القَبْقاب[٣]، والعنفِ في إغلاقِ الباب، وإزعاجِ المشي في الخُروج والدُّخولِ، والصُّعودِ والنُّزول، وطَرْقِ بابِ المدرسةِ بشِدّةٍ لا يُحتاجُ إليها، ونداءِ مَن بأعلى المدرسةِ منْ أسفلها، إلّا أنْ يكون بصوتٍ معتدِلٍ عند الحاجة.

وإذا كانت المدرسةُ مكشوفةً إلى الطَّريق السّالكِ[٤] مِن بابٍ أو شُبّاكٍ، تَحفَّظَ فيها من التَّجرُّدِ عن الثِّياب، وكشفِ الرَّأسِ الطَّويلِ مِن غير حاجةٍ.

ويَتجنّبُ ما يُعابُ؛ كالأكلِ ماشيًا، وكلامِ الهزل غالبًا[٥]، والبَسطِ بالفِعل، وفرطِ التَّمطِّي والتَّمايلِ[٦] على الجنبِ والقفا، والضَّحكِ الفاحشِ بالقَهْقَهةِ، ولا يَصعدُ إلى سطحِها المشرفِ مِن غير حاجةٍ أو ضرورة.

الحادي عشر: أنْ يَتقدَّمَ على المدرِّسِ في حضورِ موضعِ الدَّرسِ، ولا

---

(١) بعدها في (د) و(يه): «به».

(٢) في (ب): «بحضور».

(٣) القبقاب: النعل المتخذة من خشب، بلغة أهل اليمن. «لسان العرب»: (قبب).

(٤) بعدها في (د) و(يه): «وكشف».

(٥) في (س) و(ش) و(ظ): «عاليًا»، وفي (ف): «غائبًا».

(٦) في (س): «والتمايد». وهما بمعنى.

يَتأخَّر إلى بعد جلوسِه وجلوسِ الجماعةِ، فيُكلِّفَهُمُ المعتادَ مِن القيامِ وردِّ السَّلام، وربَّما فيهم معذورٌ، فيَجدُ في نفسِهِ مِنه، ولا يَعرِفُ عذرَهُ.

وقد قال السَّلفُ: مِن الأدبِ مع المدرِّس أنْ يَنتظِرَهُ الفقهاءُ، ولا يَنتظرهم.

ويَنبغي أنْ يتأدَّب في حضور الدَّرس[1] ـ بأنْ يَحضرَهُ على أحسن الهيئاتِ، وأكمَلِ الطَّهارات، وكان الشَّيخ أبو عمرو[2] يَقطعُ مَن يحضرُ مِن الفقهاءِ الدَّرس مخفّفًا بغيرِ عمامة، أو مفكَّكَ أزرارِ الفَرَجِيّة[3] ـ ويُحسِن جلوسَهُ واستماعَه، وإيرادَهُ وجوابَه، وكلامَهُ وخطابَه.

ولا يَستفتِحُ القراءةَ والتَّعوُّذَ قبل المدرِّسِ[4]، وإذا دعا المدرِّسُ في أوَّل الدَّرس للحاضرين[5] على العادةِ، أجابَهُ الحاضرون بالدُّعاءِ له أيضًا، وكان بعضُ أكابر مشايخي[6] الزُّهّاد الأعلام يَزبُرُ تاركَ ذلك، ويُغلِّظُ عليه.

ويَتحفَّظُ مِن النّوم والنُّعاس، والحديثِ والضَّحكِ، وغير ذلك ممّا تَقدَّمَ في أدبِ المتعلِّم[7].

---

(١) في (ب): «المدرس».

(٢) هو الحافظُ الفقيه، تقيُّ الدِّين، أبو عمرو، عثمانُ بن صلاح الدِّين عبد الرحمن، الكرديُّ، الشَّهرزوريُّ، الشّافعيّ، صاحب «علوم الحديث»، و«شرح مشكل الوسيط»، وغيرهما، توفّي سنة (٦٤٣ هـ). «سير أعلام النبلاء» (٢٣: ١٤٠-١٤٤).

(٣) هو ثوب واسع، طويلُ الكمَّين، يَتزيّا به علماءُ الدِّين. انظر «المعجم الوجيز»: (فرج).

(٤) قوله: «ولا يستفتح القراءة والتعوذ قبل الدرس» ليس في (ب) و(ف).

(٥) لفظ: «للحاضرين» ليس في (د) و(س) و(ش) و(يه).

(٦) في (ب) و(د) و(ف) و(يه): «مشايخ».

(٧) ص١٩١.

ولا يَتكَلَّمُ بين الدَّرسَين[١] إذا ختم المدرِّسُ الأوَّل بقوله: واللهُ أعلم، إلا بإذنٍ منه، ولا يَتكلَّمُ في مسألةٍ أخذَ المدرِّسُ الكلامَ في غيرها، ولا يَتكلَّمُ بشيءٍ حتَّى يَنظرَ فيه فائدةً وموضعًا.

ويَحذَرُ المماراةَ في البحثِ، والمغالبةَ فيه، فإنْ ثارَتْ نفسُه لجمَها[٢] بلِجامِ الصَّمتِ والصَّبرِ والانقياد[٣]؛ لما رُويَ[٤] عنه ﷺ: «مَن تَركَ المِراءَ وهو مُحِقٌّ بَنى اللهُ له بيتًا في أعلى الجنّة»[٥]، فإنّ ذلك أقطعُ لانتشارِ الغضب، وأبعدُ عن منافرةِ القلوبِ[٦].

ويَجتهِدُ كلٌّ مِن الحاضرين على طهارةِ القَلبِ لصاحبِهِ، وخُلُوِّهِ عن الحقدِ،

---

(١) في (ب): «المدرسين».
(٢) في (ر): «ألجمها»
(٣) في (د) و(يه): «والإنصات».
(٤) في (ب) و(ف): «لقوله».
(٥) كذا أورده الغزالي في «الإحياء» (١: ٤٧)، وتمامه عنده: «من تركَ المراءَ وهو مبطِل، بنى الله له بيتًا في ربضِ الجنّة، ومن تركَ المراء وهو محقّ، بنى اللهُ له بيتًا في أعلى الجنة».
وأخرج الترمذي في «سننه»، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، (١٩٩٣)، وابن ماجَهْ في «سننه»، كتاب السنة، باب اجتناب البدع والجدل، (٥١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من تركَ الكذِبَ وهو باطل، بُنِيَ له في رَبَضِ الجنّة، ومَن تركَ المراءَ وهو محِقّ بُنِيَ له في وسطِها، ومَن حَسُنَ خلقُه بُنيَ له في أعلاها» قال محقّقو «سنن ابن ماجَهْ»: حسن لغيره.
وأخرج أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (٤٨٠٠) عن أبي أمامة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا زعيم ببيتٍ في رَبَضِ الجنّة لمن تركَ المراءَ وإن كان محِقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنّة لمن حسُن خلقُه».
(٦) في (د) و(يه): «القلب»، والمثبت نسخة بهامش (يه).

وألّا يَقوم وفي نفسِه شيءٌ مِنه، وإذا قامَ مِن الدَّرسِ فليَقُلْ ما جاء في الحديث: «سبحانَك اللهمَّ وبحمدِكَ، لا[1] إله إلّا أنت، أستغفِرُك وأتوبُ إليك، فاغْفِر لي ذنبي، إنّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنت»[2].

تمَّ كتابُ «تذكرة السّامعِ والمتكلّم في أدبِ العالِمِ والمُتعلّم»[3].

---

(١) في (ب): «أشهد ألا».

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠١٨٨) من حديث رافع بن خديج رضيَ الله عنه.
ورُوي دون قوله: «فاغفر لي ذنبي...» من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، ومن حديث أبي برزة الأسلمي رضيَ الله عنه. وسلف ص١٣٨.

(٣) وقع بعدها في (س): «والحمدُ لله ربِّ العالمين، فرغ المؤلّفُ أبقاه الله تعالى من جمعِه في رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنين (كذا) وسبعين وستّ مئة.
وفرغ نسخُ هذا الكتاب في السّابع عشر مِن ربيع الأول، سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة، على يد العبد الفقير المذنب الرّاجي عفوَ ربّه ومغفرتَه موسى بن سنان بن مسعود الجعفريّ العناكيّ الشّافعي، غفرَ اللهُ له ولوالديه ولجميع المسلمين.
والحمدُ لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم، حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل».
ووقع بعدها في (ظ): «والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيّدنا محمَّدٍ خاتم النّبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وذلك بالقدس الشّريف، في الثّامن عشر لشهر شعبان المكرَّم، سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مئة، والحمدُ لله، وسلام على عباده الذين اصطفى».
ووقع بهامشها ما نصُّه: «بلغت المعارضة بالأصل، والله الموفق للصّواب».
ووقع بعدها في (ب): «والحمدُ لله وحده كما هو أهلُه، وأفضل الصّلاة والتّسليم على سيّدنا محمَّدٍ وآلِه وأصحابه وأزواجه وذريّته الطّيّبين الطّاهرين، وجميع الأنبياءِ والمرسلين.
فرغ من نسخِه لنفسه العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى عبدُ القادرِ بنُ محمَّدٍ الحجّار، هذا الكتاب آخرَ وقتِ الظُّهر يوم الخميس، السّادس والعشرين مِن شهر شوّال، أحدِ شهور سنة خمسٍ وخمسين وسبع مئة، أحسن اللهُ عواقبها بمنّه وكرمه، تجاهَ الحجرةِ النّبويّة المعظَّمة المشرَّفة، زادها اللهُ شرفًا، وعلى الحالِّ بها أفضلُ الصّلاة والسّلام، أحيانا اللهُ على سنّتِه، وأماتَنا على محبّتِه وسلوكِ طريقِه بمنّه وكرمِه».

=

= ووقع مكان قوله: «تم كتاب «تذكرة السامع»...» في (د): «تمَّ الكتابُ المباركُ بحمدِ الله تعالى وتوفيقِه، وفرغَ المؤلِّفُ رحمه اللهُ مِن جمعِه في رابع عشر ذي الحجّة، سنة اثنين (كذا) وسبعين وستِّ مئة، وأنا أقول: اللهمَّ انفعنا بما كتبناهُ، ووفِّقنا للعملِ به، مع الإخلاصِ والمداومةِ والقَبول، ونسألُك أنْ تُصلِّيَ على سيِّدنا محمَّدٍ أشرفِ مخلوقاتِك كما تحبُّ أنْ يُصلَّى عليه، وصلِّ على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهلِ طاعتِك أجمعين، وارضَ عنّا بهم يا ربَّ العالمين، والحمدُ لله أوَّلًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا على نعمِهِ السّابغة، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، اللهم توفَّنا عليها يا أكرمَ المسؤولين وواسعَ المعطين».

ووقع مكان قوله: «تم كتاب...» في (ر): «تمَّ كتابُ الآداب بحمدِ الله تعالى ومَنِّه، والحمدُ لله أوَّلًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

ووقع مكان قوله: «تمَّ كتاب...» في (ف): «تمَّ الكتابُ بكامله حال السُّرورِ لصاحبه، وعفا الكريمُ عن كاتبه، وصلاةُ الملك الجبّار، على النّبيِّ المصطفى المختار، وافق الفراغ من كتابته يوم الأحد (١) من رمضان المبارك سنة (١٣١٨)، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّم».

ووقع بهامشها ما نصُّه: «بقلم الفقير الحقير، المقرِّ بالذَّنب والتَّقصير، عبد الله بنِ عبد الرَّحمن ابنِ عبد العزيز بن تركي، عفا اللهُ عنه ووالديه، آمين يا ربَّ العالمين».

ووقع مكان: «تم كتاب...» في (يه): «تمَّ الكتابُ المباركُ بحمدِ الله تعالى وتوفيقِه، وكان الفراغُ مِن تعليقه ليلة الاثنين، الحادي والعشرون من شهر المحرم المبارك سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة، وفرغ المؤلف رحمه الله تعالى من جمعه في رابع عشر ذي الحجة، سنة اثنين (كذا) وسبعين وست مئة.

وأنا أقول: اللهم انفعنا بما كتبناه، ووفّقنا للعمل به مع الإخلاص والمداومة والقبول، ونسألك أن تصلي على سيدنا محمد أشرف مخلوقاتك كما تحب أن يصلَّى عليه، وصلّي (كذا) على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، وارض عنّا بهم يا رب العالمين، والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا على نعمه السابغة، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله، اللهم توفنا عليها، وابعثنا عليها يا أكرم المسؤولين وأوسع المعطين».

ووقع بهامشها ما نصه: «بلغ مقابلة والحمد لله وحده لا رب غيره، كتبه الفقير...».

الفهارس العلمية للكتاب

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الرجز.
- فهرس الأعلام المترجَمين.
- فهرس الكتب التي ذكرها المصنف.
- فهرس الفوائد الفقهية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾	١٨	٧٣
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	٣١	١١٥
سورة المائدة		
﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾	٤٤	٨٩
سورة الأعراف		
﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾	٣١	١٧٣
﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾	٩٩	١١٢
سورة الأنفال		
﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾	٨	١٣٢
﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾	٢٧	٨٩
سورة الكهف		
﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾	٦٧	١٨٤
﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	٧٠	١٨٤
سورة الشعراء		
﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٥	١٦٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المجادلة		
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾	١١	٧٣
سورة التحريم		
﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	١٢٧
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٦٧
سورة البينة		
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾	٧	٧٤
﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾	٨	٧٤

فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة

طرف الحديث	الصحابي	الصفحة
حديث النهي عن الجلوس في الطرقات	أبو سعيد الخدري	٢٣٩
حفت الجنَّةُ بالمكاره	أبو هريرة وأنس بن مالك	١١٦
الحكمة ضالة المؤمن	أبو هريرة	١١٨، ١٨٠
ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا	ابن عباس (موقوف)	١٨٧
رحم الله نساء الأنصار	عائشة (موقوف)	٢١٢
سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت [كفارة المجلس]	أبو برزة وأبو هريرة	١٣٨، ٢٤٥
على رسلكما إنها صفية	صفية	٩٩
العلماء فوق المؤمنين بسبع مئة درجة	ابن عباس (موقوف)	٧٣
العلماء ورثة الأنبياء	أبو الدرداء	٧٤، ٩٣، ١٤٢
العلماء يوم القيامة على منابر من نور	–	٧٨، ١٤٢
فضل العالم على العابد	أبو أمامة	٧٤
قصة موسى مع الخضر عليهما السلام	أبي بن كعب	١٣٦
كان رسول الله ﷺ يكني أصحابه	عائشة	١٦٢
كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه	علي بن أبي طالب (موقوف)	٧٩
كفارة المجلس	أبو برزة وأبو هريرة	١٣٨، ٢٤٥
كنا إذا أتينا النبي ﷺ يجلس أحدنا حيث ينتهي	جابر بن سمرة	٢٠٨
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	أنس بن مالك	١٤٥
اللهم إني أعوذ بك أن أضل	أم سلمة	١٢٣

طرف الحديث	الصحابي	الصفحة
لينوا لمن تعلمون	أبو هريرة	١٦٢
ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله	أبو هريرة	١٦٢
ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين	أبو هريرة وابن عمر	٧٧
ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطن	المقدام بن معدي كرب	١٧٣
المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور	أسماء وعائشة	١٣٨
مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة	ابن عمر	٨٢
من أحب العلم والعلماء	أبو هريرة	٧٨
من أكرم عالمًا فكأنما أكرم	أبو هريرة	٧٨
من ترك المراء وهو محق	أنس بن مالك	٢٤٤
من تعلم علمًا لغير الله	ابن عمر	٨٦
من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله	أبو هريرة	٨٦
من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة	علي بن أبي طالب (موقوف)	١٩١، ٢٠٨
من رقَّ وجهُه رقَّ علمه	عمر بن الخطاب وابن عمر (موقوف)	٢١١
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا	أبو الدرداء	٧٥
من سمع سمع الله به	جندب العلقي وابن عباس	١١٢
من صلى خلف عالم	-	٧٩
من طلب العلم ليماري به السفهاء	كعب بن مالك	٨٥
من عظَّم العالم فإنما يعظم الله	-	٧٩

فهرس الأشعار

طرف البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
	قافية الباء		
فإنّ الدّاءَ أكثر	الشَّرابِ	ابن الرومي	١٧٢
	قافية الراء		
فإن تغضبوا	أبصرا	جميل العذري	١١١
لا تحسَبِ المجدَ تمرًا	الصَّبِرا	-	١١٧
	قافية السين		
تَصدَّرَ للتَّدريسِ	المدرِّسِ	علي بن أحمد الفالي أو الحسين بن سعد الآمدي	١٤٠
فحقٌّ لأهلِ العلمِ	مجلسِ	=	١٤٠
لقد هَزُلَتْ حتَّى	مفلسِ	=	١٤٠
إذا مَرِضنا تَدَاوَينا	فنَنتكِسُ	-	١١٦
	قافية الضاد		
أيّها المستعِيرُ	تَرضى	-	٢٢١
	قافية العين		
إذا لم تكن حافظًا	لا يَنفَعُ	محمد بن يسير	٢١٩

فهرس الرجز

طرف البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
إنّ أخاكَ	ليَنفعَكْ	للمأمون أو الحسن بن علي أو علي بن أبي طالب	١٧٨
ومَن إذا رَيْبُ	ليَجمعَك	=	١٧٨
ولا تُشارِك في الحديثِ	أهله	-	٢١١
وإن عرفت	وأصْلَهُ	-	٢١١
يا ذا الذي لمْ	مِثلَهُ	الشافعي	٢٢٠
العِلمُ يَأبى	أهلَه	=	٢٢٠

فهرس الأعلام المترجمين

فهرس الكتب التي ذكرها المصنف

فهرس الفوائد الفقهية

فهرس المصادر والمراجع

- **آداب الشافعي ومناقبه**: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م).
- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**: لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، (ت: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل والوليد بن سيف النصر وحمد التويجري، دار الراية، الرياض - السعودية، ط١ و٢.
- **أبو العتاهية أشعاره وأخباره**: تحقيق: شكري فيصل، دار الملاح، دمشق - سوريا.
- **إحياء علوم الدين**: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، مكتبة كرياطة فوترا سماراغ، إندونيسيا.
- **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**: لأبي عبد الله الحسين بن علي الصيمري، (ت: ٤٣٦هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).

أخبار أصبهان= ذكر أخبار أصبهان.

- **أخلاق العلماء**: لأبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، إدارات البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية، (١٣٩٨هـ=١٩٧٨م).
- **أدب الإملاء والاستملاء**: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، (ت: ٥٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).
- **أدب الدنيا والدين**: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ)، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت - لبنان، ط٤، (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).
- **أدب المفتي والمستفتي**: لتقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن، ابن الصلاح، (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م).
- **الأدب المفرد**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة - مصر، (١٣٧٥هـ).

- **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)**: لياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، (١٩٩٣م).
- **الأشباه والنظائر**: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١١هـ= ١٩٩١م).
- **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط١٥، (٢٠٠٢م).
- **أعيان العصر وأعوان النصر**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط١، (١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).
- **اقرأ وارق**: لعلي بن محمد العمران، العصريات للنشر، القاهرة - مصر، ط١، (١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م).
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط١، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).
- **الأمالي**: لأبي علي إسماعيل القالي، (ت: ٣٥٦هـ)، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **إنباء الغمر بأبناء العمر**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - مصر، (١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م).
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط١، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م).
- **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**: لأبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، (ت: ٤٦٣هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا، ط١، (١٤١٧هـ= ١٩٩٧م).
- **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**: لمجير الدين الحنبلي العليمي، (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد أبو تبانة ومحمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، عمان= الأردن، ط١، (١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م).

- **البحر الزخار**: لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، ط١، (١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م) إلى (١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م).
- **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق نخبة من المحققين، وراجعه عبد القادر الأرناؤوط وبشار معروف، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ط٢، (١٤٣١هـ= ٢٠١٠م).
- **برنامج ابن جابر الوادي آشي**: لشمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي، (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).
- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**: لنور الدين علي بن سليمان الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسين أحمد صالح البكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، (١٤١٣هـ= ١٩٩٢م).
- **البيان والتبيين**: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط٧، (١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).
طبعة ثانية: تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).
- **تاريخ ابن معين**: برواية الدوري، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة - السعودية، ط١، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).
- **تاريخ ابن الوردي**: لزين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي، (ت: ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **تاريخ بغداد** = **تاريخ مدينة السلام**.
- **التاريخ الكبير**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، (ت: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند.

- **تاريخ مدينة دمشق**: لأبي القاسم علي بن الحسن، المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت - لبنان، (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

- **تاريخ مدينة السلام**: للخطيب أبي بكر أحمد بن علي البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م).

- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت= لبنان.

- **التبيان في آداب حملة القرآن**: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م).

- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: لجلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط١، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

- **الترغيب والترهيب**: لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، (ت: ٥٣٥هـ)، اعتنى به: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط١، (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م).

- **الترغيب والترهيب**: لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٢م).

- **التعليقة**: للقاضي أبي محمد الحسين بن محمد المروروذي، (ت: ٤٦٢هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

- **تقريب التهذيب**، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

- **التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح**: لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت: ٨٠٦هـ)، اعتنى به: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب - سوريا، ط١، (١٣٥٠هـ= ١٩٣١م).

- **تكملة المعاجم العربية**: لرينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، (١٩٧٩ - ٢٠٠٠م).

- **تلخيص الحبير**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، اعتنى به: حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، ط١، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م).

- **تلخيص المتشابه في الرسم**: لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سكينة الشهابي، دار طلاس، دمشق - سوريا، ط١، (١٩٨٥م).

- **التمثيل والمحاضرة**: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).

- **التمهيد**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العدوي ومحمد عبد الكبير البكري ومن معهما، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م).

- **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**: لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، (ت: ٩٦٣هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).

- **تهذيب الأسماء واللغات**: لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، مصورة دار الكتب العلمية عن إدارة الطباعة المنيرية.

- **تهذيب الكمال**: لجمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المِزّي، (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م).

- **الثقات**: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، (٣٥٤هـ) مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣).

- **جامع بيان العلم وفضله**: لأبي عمر يوسف بن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، (١٤١٤هـ= ١٩٩٤م).

- **الجامع الصحيح**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، بعناية: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، (١٤٢٢هـ).

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، (١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م). طبعة ثانية: تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

- **الجامع لشعب الإيمان**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط١، (١٤٣٢هـ= ٢٠٠٣م).

- **الجامع لمسائل المدونة**: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي، (ت: ٤٥١هـ)، المحقق: مجموعة باحثين (رسائل دكتوراه)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، توزيع دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م).

- **الجرح والتعديل**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ط١، (١٩٥٢م).

- **جزء ابن عمشليق**: لأبي الطيب أحمد بن علي الجعفري، (ق٤هـ)، تحقيق: خالد بن محمد ابن علي الأنصاري، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

- **جمهرة اللغة**: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٩٨٧م).

- **الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ**: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ـ مصر، ط٢، (١٤١٢هـ= ١٩٩٣م).

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، (١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م).

- **حلية الأولياء**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

- **الحيوان**: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ مصر، ط٢، (١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م).

- **خمس رسائل في علوم الحديث**: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت: ١٤١٧هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط٢، (٢٠١٠م).

- **الدر الفريد وبيت القصيد**: لمحمد بن أيدمر المستعصمي، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م).

- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م).

- **دول الإسلام**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: لابن فرحون المالكي، (ت: ٧٩٩هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة - مصر.

- **ديوان ابن الرومي**، **تحقيق**: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، ط٣، (٢٠٠٣م).

- **ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري**: تحقيق: درية الصقال ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط٢.

- **ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز**: جمع وتحقيق: سميح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق - سوريا، ط١، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

- **الذخيرة**: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

- **ذكر أخبار أصبهان**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي.

- **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**: لأبي الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسني المكي، (ت: ٨٣٢هـ)، تحقيق: محمد صالح بن عبد العزيز مراد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤١٥هـ).

- **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري**، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٢هـ= ١٩٩٢م).

- **رسالة في الخط والقلم**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، ضمن مجلة المورد العراقية، مجلد ١٩، العدد ١، (١٩٩٠م).

- **الرعاية لحقوق الله**: لأبي عبد الله الحارث المحاسبي، (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٤.

- **روضة العقلاء**: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد عايش موسى، أروقة للدراسات، عمّان - الأردن، ط٣، (١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م).

- **الزهد**: لعبد الله بن المبارك المروزي، (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **الزهد الكبير**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م).
- **زهر الآداب وثمر الألباب**: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، (ت: ٤٥٣هـ)، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٥، (١٤١٩هـ= ١٩٩٩م).
- **الزهرة**: لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط٢، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م).
- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**: لأبي الفضل محمد بن خليل بن علي المرادي، (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر.
- **سنن ابن ماجَهْ**: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط١، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).
- **سنن أبي داود**: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥)، طبعة ثانية: تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، دار الرسالة العالمية، بيروت - لبنان، طبعة خاصة، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).
- **سنن الترمذي**: لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، (ت: ٢٧٩)، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- **نسخة ثانية**: تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط١، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).
- **سنن الدارقطني**: لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤م).
- **سنن الدارمي**= مسند الدارمي.
- **السنن الكبرى**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

- **السنن الكبرى**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢١هـ= ٢٠٠١م).

- **سنن النسائي (المجتبى)**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا.

- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤٠٥= ١٩٨٥م).

- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: لمحمد بن محمد مخلوف، (ت: ١٣٦٠هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة - مصر، (١٣٤٩هـ).

- **شرح ديوان الحماسة**: لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، (ت: ٥٠٢هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان.

- **شرح ديوان المتنبي**: لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م).

- **شرف أصحاب الحديث**: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة - تركيا.

- **الشعر والشعراء**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة - مصر.

شعب الإيمان= الجامع لشعب الإيمان.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: عبده علي الكوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي - الإمارات، ط١، ١٤٣٤= ٢٠١٣هـ.

- **الشمائل المحمدية**: لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبده علي كوشك، مكتبة نظام يعقوبي، المنامة - البحرين، ط٥، (١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م).

- **الصحاح**: لإسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م).

- **صحيح البخاري = الجامع الصحيح.**

- **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر.**

- **الصداقة والصديق:** لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، (ت: ٤٠٠هـ)، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، ط١، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

- **الضعفاء الكبير:** لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١.

- **طبقات الشافعية:** لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، (ت: ٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م).

- **طبقات الشافعية:** لتقي الدين أبي بكر أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن - الهند، ط١، (١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م).

- **طبقات الشافعية الكبرى:** لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.

- **الطبقات الكبير:** لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

- **الطيوريات:** لأبي طاهر أحمد بن محمد السّلفي، (ت: ٥٧٦هـ)، تحقيق: دسمان يحيى معالي وعباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، (١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م).

- **العبر في خبر من غبر:** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد ومن معه، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، (١٩٦٠ - ١٩٨٦م).

طبعة ثانية: تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).

- **العزلة:** لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ط٢/ (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، حققه وعلق عليه: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل أباد - باكستان، ط١، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).
- **العلم**: لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، (ت: ٢٣٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م).
- **العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج**: لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا، ط١، (١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م).
- **علوم الحديث**: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن، ابن الصلاح الشهرزوري، (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق - سوريا، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م).
- **عيون الأخبار**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، ط٢، (١٩٩٦م).
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي ابن أبي أصيبعة، (ت: ٦٦٨هـ)، شرح وتحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، (١٤١٣هـ=١٩٩٣م).
- **فتح الباري**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ) رقَّمه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه: محب الدين الخطيب، وعلق عليه: عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية.
- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**: لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير ومحمد بن عبد الله آل فهيد، دار المنهاج، الرياض - السعودية، ط١، (١٤٢٦هـ).
- **الفقيه والمتفقه**: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٢هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام - السعودية، ط١، (١٤١٧هـ= ١٩٩٦م).
- **الفوائد السنية في شرح الألفية**: لشمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي، (ت: ٨٣١هـ)، تحقيق: عبد الله رمضان موسى، دار النصيحة، القاهرة - مصر، ط١، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م).

- **فوات الوفيات**: لمحمد بن شاكر الكتبي، (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، (ت: ١٠٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، (١٣٩١هـ= ١٩٧٢م).
- **القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره**: لعبد الجواد خلف.
- **القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره ومنهجه في تفسير القرآن مع تحقيق مخطوطة نادرة في مبهمات القرآن**: (رسالة دكتوراه) إعداد: عبد الجواد خلف عبد الجواد، جامعة البنجاب، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).
- **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**: لأبي طالب محمد ابن علي الحارثي المكي، (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).
- **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**: لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر، (ت: ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- **الكامل في التاريخ**: لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري، (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي ومحمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م).
- **الكامل في ضعفاء الرجال**: لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، (ت: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م).
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط١، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).
- **اللؤلؤيات**: لأبي مطيع مكحول بن الفضل النسفي، (ت: ٣١٨هـ)، تحقيق: فادي المغربي، (قيد الطبع).
- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (مطبوع مع ذيول تذكرة الحفاظ)**: لتقي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد المكي الهاشمي، (ت: ٨٧١هـ)، مطبعة التوفيق، دمشق - سوريا، (١٣٤٧هـ).

- **لسان العرب**: لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤١٤هـ).

- **المجالسة وجواهر العلم**: لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- **المجموع شرح المهذب**: لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- **محاضرات الأدباء** ومحاورات الشعراء: لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، (١٤٢٠هـ).

- **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**: للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، (١٣٩١هـ= ١٩٧١م).

- **مختار الصحاح**: لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، (ت: ٦٦٦هـ)، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق: حمزة فتح الله، دار الرسالة، بيروت - لبنان، (١٤٢١هـ= ٢٠٠١م).

- **مدارج السالكين بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، ط١، (١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م).

- **المدخل إلى السنن الكبرى**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط٢، (١٤٢٠هـ).

- **مسند ابن الجعد**: لعلي بن الجعد الجوهري البغدادي، (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).

- **مسند أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م).

مسند البزار = البحر الزخار.

- **مسند الدارمي**: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، الرياض - السعودية، ط١، (١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م).

- **مسند الشهاب**: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، (ت: ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م).
- **المسند الصحيح المختصر** : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- **مشيخة قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله ابن جماعة**: تخريج: علم الدين القاسم بن محمد البرزالي، (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي الحموي، (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- **المصنف**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م).
- **المصنف**: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة - السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا، ط١، (١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م).
- **معالم السنن**: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، (ت: ٣٨٨هـ)، صححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب - سوريا، ط١، (١٣٥١هـ= ١٩٣٢م).
معجم الأدباء = **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**.
- **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق ابن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة - مصر، (١٤١٥= ١٩٩٥م).
- **معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**: إعداد: علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري - تركيا.
- **معجم الشيوخ**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف - السعودية، ط١، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).
- **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، ط٢، (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م).
- **المعجم المختص بالمحدثين**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف - السعودية، ط١، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

- **المعجم الوجيز**: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، (١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م).
- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، ط٤، (١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م).
- **معرفة علوم الحديث**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، اعتنى بنشره: السيد معظم حسين، منشورات المكتبة العلمية، المدينة المنورة - السعودية، ط٢، (١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م).
- **المعرفة والتاريخ**: لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة - السعودية، ط١، (١٤١٠هـ).
- **المغني عن حمل الأسفار**: لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت: ٨٠٦هـ)، (بهامش إحياء علوم الدين).
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**: لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، صححه وعلق عليه: عبد الله محمد الصديق، وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).
- **مقدمة التمهيد (ضمن خمس رسائل في علوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبو غدة)**.
- **مقدمة ابن الصلاح= علوم الحديث**.
- **مناقب الشافعي**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة - مصر، ط١، (١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م).
- **المنتخب من كتاب الزهد والرقائق**: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).
- **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - السعودية، ط١، (١٤١٧هـ= ١٩٩٦م).
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٢هـ= ١٩٩٢م).

- **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**: لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط٢، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م).
- **الموضوعات**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: نور الدين بن شكري بوياجيلار، مكتبة أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م).
- **ميزان الاعتدال**: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي ومحمد بركات وعمار ريحاوي وغياث الحاج أحمد وفادي المغربي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).
- **نظم الدر في اختصار المدونة**: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحي، (ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: خالد محمد عبد الجبار الحوسني، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م).
- **نكت الهميان في نكت العميان**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (٧٦٤هـ)، المطبعة الجمالية، القاهرة - مصر، (١٣٢٩هـ= ١٩١١م).
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لمجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، الحلبي وشركاه، مصر، ط١، (١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م).
- **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: لإسماعيل بن محمد أمين باشا البغدادي، (ت: ١٣٩٩هـ)، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عن طبعة وكالة المعارف الجليلة، إستانبول - تركيا، (١٩٥١م).
- **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: إبراهيم بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- **الوافي بالوفيات**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لشمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

هَذَا الكِتَاب

يُعدّ كتاب «تذكرة السامع والمتكلّم» لشيخ الإسلام بدر الدين ابن جَماعة (ت٧٣٣هـ) من خير ما كُتب في الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلّى بها العالم والمتعلّم. جمع هذا المختصرُ - في خمسة أبواب - تذكرةً للعلماء بأخلاق الأنبياء، وتنبيهًا للطلّاب على ما يجب عليهم منها، وما يشتركان فيه من الأدب وحسن الخلق، وما ينبغي سلوكه في مصاحبة الكتب، ثم خُتمَ ببيان آداب سُكنى المدارس؛ لأنها كانت منازل طلبة العلم آنذاك. اعتمد المؤلف في مادة كتابه على نصوص القرآن والحديث، وكلام السلف، وخبرته الطويلة في التعليم والتربية. حُقّقت هذه النشرة عن ثماني نسخ خطية منتقاة، جمعناها من حواضر إسلامية متعددة: من الشام، ومصر، والحجاز، ونجد، وتركيا، والمغرب! منها نسختان كُتبت إحداهما في بيت المقدس، والأخرى قبالة الحجرة النبوية الشريفة! ليدلّ ذلك على ما حظي به هذا الكتاب من القبول في شتى أرجاء العالم الإسلامي. وقد ازدان الكتاب بتعليقات الدكتور عبد الإله العرفج حفظه الله، من واقع الحياة العلمية ومجالس العلماء التي حضرها. فجاءت هذه النشرة بمجموعها فريدةً فائقةً بحمد الله تعالى.

9789957235215

غراس الكلمة

هاتف: 5163564 6 (00962)
جوال: 777925467 (00962)
ص.ب: 19163 عمّان 11196 الأردن